
أجاثا كريستي

الأصبع المتحرك

The Moving Finger

1942 م

تأليف

أجاثا كريستي

دار الخلود

للنشر والتوزيع

اسم الكتاب: الأصبع المتحرك

تأليف: أجاثا كريستي

الناشر: دار الخلود للنشر والتوزيع

رقم الإيداع: 2014 / 2769

الترقيم الدولي: 5 - 020 - 758 - 977 - 978

الإشراف العام: وائل سمير

محفوظ
جميع الحقوق

دار الخلود

للنشر والتوزيع

جميع الحقوق محفوظة لدار الخلود

للنشر والتوزيع وغير مسموح بإعادة

نشر أو إنتاج الكتاب أو أي جزء منه أو

تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد

أو تسجيله على أي نحو بدون أخذ

موافقة كتابية مسبقة من الناشر.

٤٢ سوق الكتاب الجديد بالعتبة - القاهرة

محمول: ٠١٢٨١٦٠٧١٨٥ - محمول: ٠٠٢٠١٠٦٣٥٣٩٩٠٩

فاكس: ٢٥٠٦٩٥٨٢

E-Mail: DAR _ AIKHOLOUD@YAHOO.COM

الفصل الأول

١

فك الأطباء الجص عني أخيراً، ونظروا إلي بشفقة، وحاولت الممرضات استدراجي إلى تحريك أطرافي بحذر، وقد ضابقتي حديثهن معي كما لو كنت طفلاً رضيعاً، وقال ماركوس إنني يجب أن أعيش في الريف.



هواء نظيف، حياة هادئة، الامتناع عن فعل أي شيء هذا هو علاجك. وسوف تعتني بك أختك، فكل ما عليك هو أن تأكل وتنام وتقلد مملكة النباتات قدر الإمكان. لم أسأله ما إذا كنت سأستطيع الطيران مرة أخرى أم لا. فهناك أسئلة يخشى المرء من طرحها خوفاً من الإجابة. لذلك، لم أسأله في الأشهر الخمسة الأخيرة ما إذا كان قد حُكم علي أن أعيش طريح الفراش للأبد. كنت خائفاً من عبارات الطمأنينة البراقة التي تفوح منها رائحة النفاق كقول الممرضة لي: «ما هذا السؤال الذي تطرحه؟ إننا لا نسمح لمرضانا بالتحدث بهذه الطريقة أبداً!» لذا، لم أسأل وسارت الأمور على ما يرام. فلم يكن مقدراً لي أن أظل عاجزاً إلى الأبد. حيث أستطيع تحريك ساقَيّ، والوقوف عليهما، وأخيراً أستطيع المشي لبضع خطوات وإن كنت أشعر بأنني طفل مغامر يتعلم المشي، بركبتين مرتعشتين ولفائف من القطن والصوف تلتف حول قدمي حسناً، إن هذا مجرد ضعف سرعان ما سيزول. وقد أجاب الدكتور ماركوس كَنت وهو طبيب قدير عما أطرحة من أسئلة.

قال: «سوف تتعافى تماماً. لم نكن متأكدين من ذلك حتى الثلاثاء الماضي عندما أجرينا لك ذلك الفحص، ولكن بوسعي إخباري بذلك الآن وأنا مطمئن، غير أن ذلك سيستغرق وقتاً طويلاً. ستكون رحلة طويلة، وإن جاز لي القول،

فستكون شاقة بعض الشيء. فعندما يتعلق الأمر بشفاء الأعصاب والعضلات، فيجب أن يقوم العقل بمساعدة الجسم. وأي استعجال سوف يتسبب في انتكاسة، وأياً ما كنت تمارسه من قبل، فعليك التوقف عنه الآن، حاول أن تساعد نفسك على الشفاء بسرعة. إذا فعلت أي شيء من هذا القبيل، ستعود إلى دار الرعاية مجدداً. يجب عليك مراعاة البطء والتأمل. فليس جسّدك وحده هو الذي يحتاج إلى شفاء، بل إن أعصابك أيضاً أصابها الضعف نتيجة لإخضاعك للادوية لفترة من الزمن.

لذا، أنصحك بالعيش في الريف، استأجر منزلاً، واهتم بالسياسة المحلية، وبالفضائح المحلية، وبالقييل والقال في القرية، اهتم بجيرانك بشكل فضولي، وإذا كان لي أن أقترح اقتراحاً، فاذهب إلى جزء من العالم ليس لك فيه أصدقاء.» أومأت براسي قائلاً: «هذا ما فكرت فيه بالفعل.»

لا أعتقد أن ثمة شيئاً أفزع من زيارات الأصدقاء والأقارب، وإبداء تعاطفهم، والتحدث عن شؤونهم الشخصية.

سيقولون: «ولكن جيرى يبدو رائعاً أليس كذلك؟ يجب أن أخبرك يا صديقي خمن ما الذي فعله باستر؟»

كلا، لا أريد شيئاً كهذا يحدث معي. إن الكلاب تتمتع بالحكمة، فهي تنزوي بعيداً في أحد الأركان الهادئة وتلحق جراحها، ولا تعود للعالم من حولها حتى تبرا تماماً مرة أخرى.

لذا فقد قمت أنا وجوانا بعد طول بحث من خلال وكلاء العقارات في جميع أنحاء بريطانيا باختيار «ليتل فيرز» بقرية لايمستوك، كأحد المنازل التي يمكن رؤيتها. وخاصة أننا لم نذهب إلى لايمستوك أبداً ولا نعرف أي أحد هناك. وعندما رأت جوانا ليتل فيرز قررت أنه المنزل الذي نبحث عنه.

إنه يقع على نصف ميل تقريباً عن لايمستوك على الطريق المؤدي إلى المستنقعات. وهو منزل أنيق أبيض غير مرتفع، به شرفة على الطراز الفيكتوري، بلون أخضر باهت، ويطل على منحدر مغطى بنبات الخلق.

ويمتلك البيت أسرة تتكون من سيدات عوانس، من عائلة بارتون، واللاتي لم يبق منهن إلا واحدة فقط، وهي أصغرهن، الأنسة إيميلي بارتون. كانت الأنسة إيميلي سيدة ضئيلة الجسم، كبيرة السن وكانت تتناغم مع منزلها بشكل غريب. شرحت لجوانا بصوت ناعم وبه رنة أسف أنها لم تترك المنزل من قبل، ولم تفكر في ذلك أصلاً. قالت: «ولكنك ترين يا عزيزتي، فإن الظروف قد تغيرت هذه الايام الضرائب. بالطبع، وهناك أسهمي الأمانة، كما كنت أتخيل دائماً، والتي قد أوصاني مدير البنك نفسه بشرائها، ولكن يبدو أنها لا تدر عائداً هذه الايام ما أقوله لا علاقة له بموضوعنا، بالطبع! صارت الأمور صعبة جداً. إن المرء لا يحب فكرة ترك المرء لبيته للغرباء ولكن يجب فعل شيء ما، وبعدما رأيتمكما، فإنني سعيدة بوجودكما هنا إن المنزل بحاجة لوجود شباب. ويجب أن أعترف بأنني أتجنب فكرة وجود رجال هنا!»

عند هذه النقطة، كان على جوانا أن تخبرها بحالتي. وكان رد فعل الأنسة إيميلي رقيقاً.

«أوه يا عزيزتي، لقد فهمت. حادث طيران؟ إن هؤلاء الشباب يتمتعون بقدر هائل من الشجاعة. ولكن هل سيبقى شقيقك عاجز عملياً؟»

يبدو أن الفكرة هدأت السيدة الرقيقة. فمن الواضح أنني لن أستطيع ممارسة تلك الأنشطة الذكورية التي تخشاها إيميلي بارتون وسألت باستحياء عما إذا كنت أدخن. أجابتها جوانا: «كالمدخنة.» ثم أوضحت قائلة: «ولكنني أنا أيضاً أدخن.»

«بالطبع، بالطبع، يا لغباي. أخشى أنني لم أتغير مع الزمن. فقد كانت شقيقتي أكبر مني سناً، وقد عاشت أُمِّي العزيزة حتى وصلت التاسعة والسبعون تخيلوا وكانت صارمة إلى أبعد الحدود. نعم، نعم، إن الجميع يدخلون هنا بيد أنه لا توجد منفضة للتدخين في هذا البيت.»

قالت جوانا أننا سوف نحضر الكثير منها، وأضافت ابتسامة: «لن نقوم بإطفاء السجائر في الأثاث الفخم. لا شيء يضايقني بقدر رؤية بعض الناس يفعلون ذلك.»

وهكذا تمت تسوية الأمر واستأجرنا لیتل فيرز لستة أشهر، مع إمكانية مدّها لثلاثة أشهر أخرى، وأوضحت إيميلي بارتون أنها تشعر بالراحة لأنها ستقيم عند خادمتنا العجوز المخلصة فلورنسا، والتي تزوجت بعد أن قضت معنا خمسة عشر عاماً. قالت إيميلي: «إنها فتاة لطيفة، وزوجها يعمل في مجال العقارات. إن لديهما منزل جميل في منزل هاي ستريت وحجرتين جميلتين بالطابق العلوي، حيث سأكون أكثر راحة هناك، وستسر فلورنسا بوجودي معها.»

إذاً، يبدو أن كل شيء يسير على ما يرام، فقد تم توقيع العقد، ووصلنا أنا وجوانا في الوقت المناسب، ورحبت بارتريدج خادمة إيميلي بارتون بفكرة بقائها معنا. كما يتم الاعتناء بشؤونها بفضل «فتاة» كانت تأتي كل صباح والتي كان ذكاؤها محدوداً ولكنها لطيفة.

كانت بارتريدج سيدة في منتصف العمر نحيلة وقاسية الملامح تجيد الطهي، وعلى الرغم من رفضها تأخير موعد العشاء (كان من عادة إيميلي أن تتناول عشاء خفيفاً يتكون من بيض مسلوق) إلا أنها كيفت نفسها على أسلوبنا، حتى أنها اعترفت بأنني يجب أن أستعيد قوتي...

بعدما استقر بنا الحال وأقمنا في لیتل فيرز أسبوعاً، جاءت الأنسة إيميلي بارتون وتركت بعض البطاقات، وهكذا فعلت السيدة سيمينجتون. زوجة المحامي، والأنسة جريفيث، أخت الطبيب، والسيد باي «رئيس برايرز إند.»

لقد ترك ذلك انطباعاً جميلاً في نفس جوانا. قالت جوانا بصوت يعبر عن انبهارها: «أن هؤلاء الناس مهووسون فعلاً بالبطاقات.»

قلت: «هذا يا عزيزتي لأنك لا تعرفين شيئاً عن الريف.»

«هراء. لقد قضيت من عطلات نهاية الأسبوع في الريف.»

إنني أكبر من جوانا بخمس سنوات، وأتذكر ذلك البيت المطلي باللون الأبيض الباهت، وغير المتهاك والمنظم الذي كنا نعيش فيه أيام طفولتي، حيث كانت تمتد الحقول حتى النهر. وبوسعي تذكر قيامي بالزحف تحت أشجار التوت

دون أن يراني البستاني، ورائحة التراب الأبيض في الإسطبل، وقطة برتقالية تعبره، وسماع صوت حوافر الحصان وهي تضرب الأرض في الإسطبل. ولكن عندما بلغت السابعة وكانت جوانا في الثانية، ذهبنا للعيش في لندن مع عمتي، ومنذ ذلك الحين ونحن نقضي جميع العطلات و الأعياد في دور السينما والمسرح، حيث كنا نخرج للتنزه في حديقة كنجستون جاردنز ونركب القوارب، ثم مؤخراً أصبحنا نمارس رياضة التزلج. وفي شهر أغسطس كنا نحجز غرفة في أحد الفنادق المطلة على البحر.

وبينما كنت أشرد بذهني هكذا، قلت لجوانا متأملاً، وبإحساس من وخز الضمير وبعد أن أدركت كم أصبحت عاجزاً وأناشياً في نفس الوقت.

«أنا أسف، سيكون ذلك فظيلاً بالنسبة لك. سوف تفتقدين كل شيء.»

قلت ذلك لأن جوانا جميلة جداً ومليئة بالحيوية، وتحب الرقص والحفلات وقيادة السيارات بسرعة جنونية.

ضحكت جوانا وقالت أنها لا تبالي بذلك إطلاقاً.

«في الحقيقة، أنا سعيدة بالابتعاد عن ذلك كله. فقد مللت من الزحام، وعلى الرغم من أنك لن تبدي تعاطفك، فقد تأثرت كثيراً لفراق باول، وسيستغرق الأمر مني وقتاً طويلاً حتى أتناساه يا جيري.»

كنت أشك في هذا، فقصص الحب الخاصة بجوانا دائماً ما تسير على هذا النحو. فهي تفتتن بشاب ضعيف الشخصية، وتعتقد أنه عبقرى لا يستطيع الناس فهمه، وتنصت إلى شكواه التي لا تنتهي وتفعل أي شيء لتحوز تقديره، وعندما يجحد مجهوداتها، فإنها تتأثر بشدة وتقول أن قلبها قد جرح حتى يأتي شاب آخر، وعادة ما يأتي بعد ثلاثة أسابيع!

لذا لم أأخذ مسألة جرح قلب جوانا على محمل الجد. ولكن بدا لي أن العيش في الريف لعبة جديدة لشقيقتي الجذابة.

قالت: «على كل حال، فإن مظهري جيد، أليس كذلك؟»

تفحصتها بنظرة كلها نقد ولم أستطع الاتفاق معها.

كانت جوانا ترتدي ملابس رياضية، كانت ترتدي تنورة قصيرة وضيقة، وعلى نصفها العلوي كانت ترتدي قميصاً قصيراً يدعو للسخرية. كانت تلبس جوربين من الحرير الشفاف، وحذاء لا غبار عليه، وكله يعد من علامات الموضة. قلت: «كلا، إن مظهرك ليس مناسباً على الإطلاق، بل وبه الكثير من الأخطاء، ينبغي أن ترتدي تنورة ذات لون أخضر أو بني باهت، وحرى بك ارتداء سترة من الكشمير تناسبها، وربما معطف صوفي، ويمكنك أن تلبسي قبعة من اللباد وجوربين من قماش سميك وحذاء قديم. فقط، عندئذ، يمكنك السير عبر شارع هاي ستريت بلايمستوك دون أن تبدي شاذة عن الآخرين كما أنت الآن. وبالمناسبة، فإن وجهك كله أخطاء أيضاً.»

«ما الخطأ فيه؟ لقد وضعت مساحيق من الدرجة الثانية تناسب الريف.»
«نعم، إذا أردت العيش في لايمستوك، فلا تضعي إلا القليل من المساحيق حتى لا تلفتي النظر إلى أنفك، وربما يجب عليك وضع القليل من أحمر الشفاه مع عدم توخي الدقة الشديدة عليك وضع كل رموشك تقريباً بدلاً من ربعها.»
صاحت جوانا وبدت أنها وجدت المزيد من ضروب التسلية.
قالت: «أعتقد أنهم سيظنونني فظيعة؟»
قلت: «كلا، بل شاذة.»

استأنفت جوانا قراءتها للبطاقات التي تركها زوارنا. زوجة رجل الدين هي الوحيدة التي أسعدها، أو ربما ساءها الحظ بأن تستضيف جوانا في منزلها.
تمتت جوانا قائلة: «تبدو الأسر هنا سعيدة، أليس كذلك؟ فهذه زوجة محام، وتلك أخت طبيب... الخ» ثم أضافت بحماس: «أعتقد أن هذا المكان لطيف يا جيرى! عالم قديم جميل جداً. لا يمكنك التفكير بأن شيئاً شريراً سيحدث هنا، أليس كذلك؟»

وعلى الرغم من أنني أعرف أن ما تقوله محض هراء، إلا أنني وافقتها الرأي. ففي مكان مثل لايمستوك لا يمكن أن يحدث شيء شرير، والغريب أننا تلقينا أولى خطاباتنا بعد أسبوع واحد فقط.

- ٢ -

أعرف أنني بدأت بشكل سيء، فلم أعط وصفاً لقرية لايمستوك، وبدون فهم أوصاف لايمستوك لا يمكن فهم قصتي.

بادئ ذي بدء، فإن لايمستوك لها جذور ضاربة في الماضي. ففي أيام الغزو النورماندي، كانت لايمستوك على قدر كبير من الأهمية، وتتبع أهميتها من كونها مركزاً دينياً حينذاك. فقد كان في لايمستوك دير للرهبان وتعاقب عليه الكثير من الرهبان الطموحين وذوى النفوذ. وكان اللوردات والبارونات الذين يعيشون في الريف المحيط به يتركون جزءاً من أراضيهم تحت تصرف الدير. وازداد ثراء وأهمية الدير واكتسب نفوذاً لقرون عدة. بيد أنه بمرور الزمن قام هنري الثامن بالغاء كل تلك الامتيازات ولحق بالدير ما لحق بأقرانه. ومنذ ذلك الحين هيمنت قلعة البلدة. كانت لا تزال مهمة وألت لها الحقوق والميزات والثروات.

وثم، في حوالي القرن الثامن عشر، جاء المد التقدمي ليطيح بنفوذ لايمستوك ويتركها في غياهب التخلف. حيث انهارت القلعة، ولم يتم إنشاء شوارع رئيسية ولا سكك حديدية بالقرب من لايمستوك، التي تحولت إلى سوق محلي غير ذي أهمية تمتد بها المستنقعات والمزارع وتحيط بها الحقول الهادئة.

كان يقام بها سوق مرة كل أسبوع، وفي ذلك اليوم يصادف المرء قطعان الماشية في الأزقة والطرقات. وكان يقام بها سباق للخيل مرتين في السنة لا يتبارى فيه إلا الخيول الضعيفة.

وكان بها شارع رئيسي خلاب، تصطف على جانبيه المنازل التي تقف بشموخ، والتي كانت تبدو غريبة بعض الشيء بنوافذها المتواجدة في الطابق الأرضي والتي كان دائماً ما يوجد عليها الفطائر أو الفاكهة أو الخضروات. وكان بالشارع أيضاً متجر ضخم لتجارة اللبسة والجوخ يمتد على نحو متسق مع الشارع، وهناك أيضاً تجد متجراً هائلاً للحداثة، ومكتباً للبريد له أهمية في هذا المكان. وكذلك هناك في ذات الشارع مجموعة من المتاجر والمحال المتنوعة، فهناك متجران يتنافسان لبيع اللحوم، وكان بالشارع لافتة لعيادة طبيب

ومؤسسة قانونية يديرها السيدان جالبرث والسيد سيمنجتون، وكان بالشارع أيضاً إحدى دور العبادة والتي يرجع تاريخها إلى عام ١٤٢٠ م، ولا يزال يفوح منها رائحة العصر الساكسوني. وهناك أيضاً مدرسة أنشئت حديثاً وحانتين.

هذه هي لايمستوك، وبدافع إيميلي بارتون، حضر جميع من في البلدة لكي يتعرفوا علينا، ومن أجل هذا اضطرت جوانا لأن تبتاع زوجاً من القفازات وقلنسوة مخملية، بدلاً من ملابسها التي تفتقر إلى الذوق، حتى تتمكن من رد زيارتهم. بالنسبة لنا كان كل شيء جديد ومسلّي، فنحن لم نذهب إلى هناك للإقامة الدائمة. لقد كانت بالنسبة لنا شيئاً مؤقتاً. وقد استعددت لإطاعة تعليمات طبيبي والاهتمام بجيراني.

لقد وجدت أنا وأختي جوانا الأمر ممتعاً للغاية.

أعتقد أنني تذكرت تعليمات ماركوس كنت بالاستمتاع بالفضائح المحلية. بالطبع كنت أشك في كيفية معرفتي بهذه الفضائح.

والشيء الغريب أن مجيء ذلك الخطاب كان ممتعاً ومسلّياً لنا أكثر من أي شيء. أذكر أنه وصل بينما نحن نتناول الإفطار. قلبته في يدي، بتلك الطريقة الكسولة التي يتبعها المرء عندما يمر الوقت ببطء ويجب الغوص في كل حدث حتى نهايته. لقد كان مرسلًا من داخل البلدة وقد كتب عنوانه على آلة كاتبة.

فتحتة قبل الخطابين الآخرين اللذان يحملان طوابع بريد لندن، حيث إن أحدهم كان يحوي فاتورة والآخر كان من أحد أبناء عمومتي المضجرين.

وبداخله كانت هناك كلمات و حروف مطبوعة، وقد لصقت على ورقة بيضاء. أخذت أحرق لدقيقة أو دقيقتين إلى الكلمات دون أن أستوعبها، ثم شهقت.

نظرت إلى جوانا، التي كانت تطالع بعض الفواتير مقطبة جبينها.

وقالت: «مرحباً، ما هذا؟ تبدو مروعاً.»

لقد عبر الخطاب، الذي يستخدم مصطلحات بذينة، عن رأي الكاتب بأنني أنا وجوانا لسنا أخوين.

قلت لجوانا: «إنه خطاب قذر من مجهول.»

كنت لا أزال أعاني من آثار الصدمة. فلم أتوقع مثل ذلك الشيء في منطقة هادئة مثل لايمستوك.

وفجأة، أبدت جوانا اهتمامها، وقالت: «حقاً ماذا يقول؟»
كنت قد قرأت في الروايات أن الخطابات البذيئة والمثيرة للاشمئزاز لا ينبغي أن تطلع عليها النساء، ما أمكن ذلك. حيث يجب تجنب المرأة الصدمة التي قد يتعرض لها الجهاز العصبي الحساس.
ويؤسفني القول إنه لم يتراء لي أن أطلع جوانا على الخطاب، لذا سلمته لها فوراً.

قالت: «يا له من خطاب قذر! لقد سمعت كثيراً عن الخطابات المجهولة، لكنني لم يسبق لي أن رأيت أحدها. هل هي دائماً هكذا؟»
قلت: «لا أستطيع الجزم بذلك. فهذه أول مرة أشاهد فيها خطاباً مثل هذا.»
شرعت جوانا في الضحك.

«لأبد أنك كنت محقاً فيما يخص مساحيق التجميل التي كنت تضعها يا جيري. أعتقد أنهم يحسبونني فتاة هاربة من أهلها.»

قلت: «إضافة إلى حقيقة أن ابانا كان رجلاً طويلاً ذا فكين طويلين أسودين وأمنا كانت امرأة شقراء الشعر زرقاء العينين قصيرة القامة، وقد ورثت أنا صفات أبي، أما أنت فقد ورثت صفات أمي.»
أومأت جوانا برأسها مفكرة.

«نعم، نحن لسنا متشابهين إلى حد ما، ولن يظن المرء أننا أخوان.»

قلت: «لأبد أن أحدهم لاحظ ذلك.»

قالت جوانا إنها تعتقد أن الأمر ممتع.

أمسكت الخطاب من إحدى زواياه وتركته يتدلى، ثم سألتني عما ينبغي فعله به.

قلت: «أعتقد أن الإجراء الصحيح هو إلقاءه في النار مع إطلاق صيحة اشمئزاز.»
نفذت ما قلته عملياً، وصدفت جوانا بيديها.

أضافت: «لقد فعلتها بشكل جميل، كان ينبغي أن تكون ممثلاً. من حسن حظنا أن النار متقدمة، أليس كذلك؟»

وافقتها، قائلاً: «عندئذ كانت سلة المهملات ستصبح حلاً أقل إثارة. كان بوسعي بالطبع أن أشعله بعود ثقاب وأستمع به وهو يحترق ببطء..»

قالت جوانا: «إن الأشياء لا تحترق عندما تريدها أن تحترق، بل إنها تسلم من النيران، وربما كان عليك إشعال عود ثقاب بعد آخر..»

نهضت واتجهت نحو النافذة، وعندما وصلت إلى هناك التفتت فجأة، وقالت: «إنني أتساءل، من الذي قام بكتابتها؟»

قلت: «لن نعرف أبداً على الأرجح..»

«نعم لا أعتقد أننا قد نتمكن من ذلك.» صمتت لبرهة، ثم قالت: «يراودني إحساس أحياناً بأن الأمر ليس ممتعاً. أتعلم؟ لقد حسبت أنهم أحبونا هنا..»

أظن ذلك؟ أوه إنه عمل شرير!

عندما خرجت لتستمع بالشمس المشرقة، فكرت بيني وبين نفسي أثناء تدخينني لسيجارتي بأنها كانت محقة تماماً. إنه عمل شرير. لقد استاء أحدهم من مجيئنا إلى هنا، وكان مستاءً من جمال جوانا الخاطف، لقد أراد إيذاءنا. ربما كانت مقابلة مثل هذا الأمر بالضحك أفضل طريقة ولكن في أعماق نفوسنا لم يكن ممتعاً أبداً...

جاء الدكتور جريفيث هذا الصباح. لقد اتفقت معه على إجراء فحص أسبوعي. وقد أحببت أوين جريفيث، لقد كان ذا بشرة سمراء، ضئيل الجسم. يتحرك في رشاقة وخفة، ويداه ماهرتان في الفحص، وكان يتلعثم في حديثه قليلاً، وكان خجولاً إلى حد كبير.

أشار إلى تقدمي في العلاج كي يشجعني، ثم قال: «إنك تشعر بالتحسن، أليس كذلك؟ يبدو أنك متعكر المزاج هذا الصباح، أم هذا وهم مني؟»

قلت: «فعلاً، لقد تسلمت هذا الصباح خطاباً بديناً من مجهول، وقد شعرت ببعض الضيق والمرارة بعد قراءته..»

القى حقيبته على الأرض، واعتري وجهه النحيف الأسمر شعور بالإثارة.

«هل تعني أنك تسلمت واحداً منها؟»

شعرت بالاهتمام والإثارة. فقلت: «فإنه أمر شائع إذا؟»

«منذ فترة من الوقت.»

قلت: «أوه، فهمت. لقد حسبت أن وجودنا في هذا المكان أمر غير مرغوب فيه.»

«كلا، كلا، الأمر لا علاقة له بذلك. إنه مجرد «توقف عن الكلام ثم سألني:

«ماذا كان محتوى الخطاب؟ على الأقل «احمر وجهه وشعر بالخرج: «ربما لم

يكن لي أن أسأل مثل هذا السؤال.»

قلت: «ساخبرك بكل سرور، لقد قال إن الفتاة التي أحضرتها معي ليست اختي

ويمكنني القول بأن هذا ملخصاً لمحتوى الخطاب بعد تنقيحه من البذاءات.»

احمر وجهه غضباً. وقال: «اللعة، لعل أختك إنها ليست مستاءة، أليس كذلك؟»

قلت: «إن جوانا تبدو كملاك طاهر، ولكنها فتاة عصرية وصلبة جداً. لقد

وجدت أن الأمر مسيل للغاية. فهي لم تصادف مثل هذه الأشياء من قبل.»

قال جريفيث بحرارة: «أتمنى لو لم تصادفها في الحقيقة.»

قلت بحزم: «على أية حال، فإن هذا هو الأسلوب الأنسب لمواجهة مثل هذه

السخافات على ما أعتقد.»

قال أوين جريفيث: «نعم، لكن»

توقف عن الحديث، فسارعت قائلاً: «ولكن ماذا، ماذا تقصد؟»

قال: «المشكلة أن مثل هذه الأفعال إذا ما بدأت، فإنها تنتشر بشكل كبير.»

«علي أن أتوقع هذا.»

«إنها حالة مرضية بالطبع.»

أومأت برأسي ثم سألته: «ولكن هل من ثمة فكرة عمن يكون وراء إرسال

مثل هذه الخطابات؟»

قال: «ليتني كنت أعرف. أتدري إن الخطابات المجهولة نوعان؟ إما أنها

خاصة، أي إنها موجهة لشخص بعينه، أو مجموعة من الأشخاص، أي

تستطيع أن تقول إن هناك دافعاً لذلك، حيث إن الشخص الذي يرسل الرسائل يحمل ضغينة (أو يعتقد أنه كذلك) ضد أحد الأشخاص، ثم يختار أسلوباً قذراً ومنحطاً ليعبر عن كراهيته، إنه أسلوب دنيء، ويثير الاشمئزاز ولكنه لا ينم عن جنون صاحبه، وفي تلك الحالة يكون من السهل معرفة ما وراء الخطاب المرسل خادمة تم طردها امرأة غيورة وهكذا. ولكن إذا كانت عامة وليست خاصة، فإنها تسمى أكثر خطورة. حيث ترسل الخطابات دونما تفرقة وبطريقة عشوائية، وتؤدي الغرض بالتنفيس عن إحباط ما في ذهن الكاتب. وكما قلت فإنه أمر مرضي. وتزداد إصابة الشخص بالجنون. وفي النهاية تتعقب الشخص محل الشبهة غالباً ما يكون شخصاً مكروهاً من الجميع، وهذا كل ما في الأمر. لقد حدث شيء مثل هذا على الجانب الآخر من المقاطعة في العام الماضي وتبين أن رئيسة قسم القبعات بمؤسسة كبيرة للملابس هي من تقف وراء ذلك. كانت امرأة رقيقة جداً عملت هناك لسنوات. أذكر أن ذلك حصل في آخر سنة لي هناك عندما كنت أقضي فترة التكليف ولكن تبين أن ضغينة شخصية هي السبب. وكما أقول فإنني رأيت شيئاً من هذا القبيل، وبصراحة فإنه يخيفني!»

سألته: «هل يحدث ذلك منذ فترة طويلة؟»

«لا أعتقد، وإن كان يصعب الجزم بذلك، بالطبع، لأن من يتلقون هذه الرسائل لا يعلنون عنها، وإنما يكتفون بإحراقها... «توقف للحظة. ثم أكمل: «لقد تلقيت واحدة منها، كما أن سيمينجتون، المحامي، تلقى واحدة، وكذلك اثنان من مرضاي المساكين أخبراني بتلقيهما رسائل من هذا النوع.»

«كلها من نفس العينة؟»

«أوه، نعم، كلها تعزف على وتر الجنس. هذه هي الخاصية الرئيسية المشتركة بينها. «ثم ابتسم وأضاف: «لقد اتهم سيمينجتون بإقامة علاقة غير شرعية مع كاتبته السيدة جنش المسكينة، التي تبلغ من العمر بضعة وأربعين عاماً تقريباً، وترتدي نظارة سمكية وأسنانها تشبه أسنان الأرنب. ولقد أخذ سيمينجتون الرسالة وتوجه بها إلى الشرطة. أما الرسائل التي تلقيتها أنا، فإنها

تتهمني بانتهاك آداب المهنة مع مرضاي من النساء. لقد كتبت بأسلوب طفولي وسخيف، ولكنها سامة للغاية. «تغير وجهه، وبدأت عليه أمارات الحزن وهو يقول: «ولكن مع ذلك أشعر بالخوف، فهذه الأشياء يمكن أن تكون في غاية الخطورة، كما تعلم.»

«أعتقد ذلك.»

«لعلك ترى أنه على الرغم من تفاهة وسخافة هذه النكات، فإن إحدى هذه الرسائل ستصيب الهدف عاجلاً أو آجلاً. والله وحده يعلم ما سيحصل حينذاك! إنني خائف أيضاً من تأثيرها على أصحاب العقول الضعيفة الشكاكة الخالية من الثقافة والعلم. فإذا ما رأى أحدهم شيئاً مكتوباً، فسوف يعتقد بصحته، وعندئذ قد تظهر كل أنواع العقد.»

قلت متأملاً: «إنها تنم عن جهل كاتبها، إذ يبدو لي أنه شخص أمي.»

قال أوين: «أهي كذلك فعلاً؟» ثم خرج...

بينما كنت أفكر فيها فيما بعد وجدت أن عبارة «أهي كذلك فعلاً؟» محيرة

لي...

الفصل الثاني

١



لن ادعي أن الرسالة التي وصلتنا خالية من التوقيع لم تترك طعماً مراً في الفم. فهذا هو ما حدث بالفعل ولكن في الوقت نفسه نسيت أمرها سريعاً، ولم آخذها حتى هذه النقطة على محمل الجد.

واعتقد أنني أتذكر ما كنت أقوله بأن هذه الأشياء تحدث كثيراً في القرى النائية. لا بد أن امرأة مخبولة تريد تسلية نفسها هي التي تقف وراءها. على أية حال، ما دامت الرسائل هذه مكتوبة بأسلوب طفولي كمثل التي تلقيناها، فإنه لا ضرر منها على الإطلاق.

كانت الحادثة التالية إذا جاز لي القول بعد أسبوع، عندما أخبرتني بارتريدج وهي تزم على شفيتها أن بياترس، الخادمة اليومية، لن تأتي اليوم.

قالت بارتريدج: «أحسب يا سيدي أن الفتاة مستاءة..»

لم أكن متأكداً تماماً مما تعنيه بارتريدج بكلامها هذا، ولكني خمنت (خطأ) أن بياترس تعاني من بعض المتاعب في معدتها ولا تستطيع بارتريدج الإشارة إلى ذلك بشكل مباشر، لذا عبرت لها عن أسفي وتمنيت لها الشفاء العاجل.

قالت بارتريدج: «إن صحة الفتاة على ما يرام يا سيدي، إن مشاعرها هي المعتلة..» قلت متشككاً: «أوه..»

واصلت بارتريدج قائلة: «بسبب رسالة تلقتها. وأحسب أنها تعرض بها..» كانت نظرة الاشمئزاز في عيني بارتريدج، إضافة إلى تشديدها على كلمة (تعرض) قد جعلني أدرك أن ذلك التعريض له علاقة بي. وحيث إنني ما كنت

لاميز بياترس بصعوبة لو قابلتها في البلدة، فإنني لم أدرك مغزى تشديدها على هذه الكلمة فقد شعرت بأنه استياء غير مبرر. كما أن رجلاً يمشي على عكازين ليس من شأنه أن يفتن بنات القرية. لذا قلت بتوتر: «يا لهذه السخافات!»

قالت بارتريدج: «هذا ما قلته بالحرف لأمها يا سيدي، فقد قالت لها: «لم ولن يحدث شيء من هذا القبيل في هذا المنزل ما دمت أنا المسؤولة عنه.» وبالنسبة لبياترس، فقد قلت لها: «إن الفتيات مختلفات هذا الزمان ولا أعرف شيئاً عما يحدث بالخارج.»، ولكن الحقيقة يا سيدي أن صديق بياترس الذي يعمل في المراب قد تلقى رسائل شريرة أيضاً وهو لا يتصرف بحكمة على الإطلاق.»

قلت بغضب: «لم أسمع أبداً شيئاً بهذه الوقاحة.»

قالت: «في رأيي أن نتخلص من هذه الفتاة، فما كانت لتستاء هكذا بشدة، وتسلك هذا السلوك. لو لم يكن هناك شيء تخشى افتضاحه. لا دخان بدون نار. هذا قلّ لي.»

لم يكن لدي فكرة عما ستسببه هذه الكلمة لي من متاعب.

- ٢ -

اعتزمت هذا الصباح على سبيل المغامرة التجول عبر شوارع القرية. (كنت أنا وجوانا نطلق عليها دائماً اسم القرية، وإن كان اسماً خاطئاً علمياً، وكان من شأن سكان لايمستوك أن ينزعجوا إذا سمعونا نقول هذا).

كانت الشمس ساطعة، والهواء رائع تتخلله نسيمات الربيع الحلوة. اتكأت على عكازي وبدأت السير رافضاً بحزم مرافق جوانا لي.

قلت: «كلا، لن أصطحب حارساً يسير الهويني بجواري ويمطرني بعبارات التشجيع، وتذكري أن الرجل الأسرع هو من يسير بمفرده. كما أن لدي الكثير من الأعمال التي أريد قضاءها، فسوف أذهب إلى جالبريث وسيمينجتون، وأوقع عقد تحويل الأسهم، وسوف أذهب إلى الخباز وأشكو له من رغيف الزبيب، ثم سأعيد ذلك الكتاب الذي استعرتة. ويجب أن أذهب إلى البنك أيضاً. دعيني

بمفردي يا جوانا، فهذا الصباح قصير جداً.

اتفقنا على أن تصطحبني جوانا بالسيارة وتعود لتعيدني وقت الغداء.

قالت جوانا: «إن هذا سيتيح لك الفرصة لقضاء بعض الوقت في لايمستوك.»

قلت: «لا أشك في أنه كان ينبغي علي رؤية كل شخص ذي شأن منذ مجيئنا.»

كان الصباح في الشارع الرئيسي يعتبر مكاناً لتلاقي المولعين بالتسوق وتبادل الأخبار.

وعلى أية حال، لم أسر دون صحة، فما كدت أسير لمائتي ياردة حتى سمعت صوت جرس

دراجة يرن خلفي، ثم صوت احتكاك، ثم ميجان هنتر وهي تسقط عند قدمي.

قالت: «مرحباً.» وهي تلهث بينما تنهض من على الأرض وتنفض عن

نفسها التراب. لقد كنت أحب ميجان، وكنت أشعر بالأسف لما أصابها. كانت

ابنة السيدة سيمينجتون من زوجها السابق. لم يتحدث أحد كثيراً عن السيد

هنتر، وعلمت أنه كان يعتبر من الأفضل تناسيه. ويقال إنه كان يعامل السيدة

سيمينجتون بشكل بالغ السوء. وقد طلقها بعد عام أو عامين من زواجهما. لقد

كانت لديها مواردها المالية الخاصة وسكنت لايمستوك لكي تنسى، وفي النهاية

تزوجت من الأعزب الوحيد المؤهل في القرية، ريتشارد سيمينجتون. وقد

أثمر الزواج الثاني عن ولدين، وقد كرس والديهما نفسيهما لرعايتهما، وأعتقد

بأن ميجان تشعر بأنها شاذة في هذه الأسرة، فهي لم تكن تشبه أمها، والتي كانت

ضئيلة الحجم، وذات جمال باهت وتحدث بصوت ضعيف تكسوه نبرة كابة

بسبب متاعب الخدم وصحتها المعتلة.

أما ميجان فكانت فتاة طويلة القامة، خجولة بعض الشيء. وعلى الرغم

من أنها فعلية في العشرين من عمرها، فقد بدت مثل فتاة في السادسة عشر

من عمرها لا تزال في المدرسة. كان شعرها البني غير مصفف أبداً، وعيناها

ذات أخضر بندقي، وكان وجهها نحيفاً بارز العظام، وابتسامتها خلافة بشكل

غير متوقع. وكانت ملابسها قذرة وغير جذابة، وتلبس عادة جوربين بهما ثقوب.

لقد بدت، كما تراه لي هذا الصباح، أشبه بحصان أكثر منها إنسان. في

الواقع، كان بإمكانها أن تكون حصاناً جميلاً جداً ببعض التهذيب.

وكعادتها كانت تتكلم باندفاع. قالت: «لقد كنت متوجهة إلى المزرعة مزرعة لاشر كما تعلم لارى ما إذا كان لديهم بيض بط. فليدهم عدد كبير من الخراف الصغيرة الجميلة. إنها لطيفة! هل تحب الخراف؟ أنا أحبها، حتى إنني أحب رائحتها.»

قلت: «إن الخراف التي تتم رعايتها رعاية جيدة لا تكون رائحتها سيئة.»

«أليس كذلك؟ إنها في كل مكان هنا. هل أنت ذاهب للبلدة؟ لقد رأيتك وحدك، لذا فكرت في التوقف والسير معك، غير أنني توقفت فجأة.»

قلت «لقد مرقت جواربك.»

نظرت ميجان بحزن إلى رجلها اليمنى. ثم قالت: «نعم، ولكن كان به ثقوب بالفعل، لذا فإنه لا يهم كثيراً، أليس كذلك؟»

«هل أصلحت جواربك من قبل، ميجان؟»

«أحياناً، عندما تلاحظها أُمي، ولكنها لا تهتم كثيراً بما أفعله وهذا من حسن حظي، أليس كذلك؟»

قلت: «يبدو أنك لم تدركي أنك كبرت.»

«أتعني أنني يجب أن أشبه الدمية مثل أختك؟»

شعرت بالاستياء لوصف جوانا بهذا الشكل... قلت: «إنها تبدو نظيفة، وأنيقة، ورؤيتها محبة للعين.»

قالت ميجان: «إنها جميلة جداً. إنها لا تشبهك كثيراً، أليس كذلك؟ ما السبب في عدم تشابهكما؟»

«لا يشترط أن يكون الإخوة متشابهين دائماً.»

«نعم، بالطبع، فأنا لا أشبه كولين وبريان، كما أن بريان لا يشبه كولين.»

«توقفت للحظة ثم قالت: «إنه لأمر عجيب، أليس كذلك؟»

«ما هو؟»

أجابت ميجان باختصار قائلة: «الأسر.»

قلت متأملاً: «أعتقد ذلك.»

تساءلت عما يدور في ذهنها. سرنا في صمت لدقيقة أو دقيقتين، ثم قالت

ميجان بخجل: «أنت طيار، أليس كذلك؟»

«بلى.»

«وهذا هو سبب إصابتك؟»

«نعم، لقد تحطمت طائرتي.»

قالت: «لا أحد يمارس الطيران هنا.»

قلت: «كلا، لا أعتقد ذلك. هل تحبين الطيران يا ميجان؟»

بدت وكأنها فوجئت، فقالت: «أنا؟ يا إلهي! كلا، سأصاب بالدوار، إنني أصاب

بالدوار حتى عند ركوب القطار.»

توقفت لبرهة، ثم سألت بطريقة مباشرة كالأطفال: «هل ستستطيع

الطيران مرة أخرى، أم ستظل عاجزاً للأبد؟»

«يقول طبيبي أنني سوف أتعافى وأسترد صحتي.»

«نعم، ولكن هل هو من نوعية الرجال الكذابين؟»

أجبت: «لا أعتقد ذلك. في الحقيقة، أنا متأكد من ذلك تماماً، إنني أثق فيه.»

«إذا كان الأمر كذلك فلا بأس، ولكن الكثير من الناس يكذبون.»

تقبلت هذه العبارة التي لا يمكن إنكارها بصمت.

قالت ميجان بطريقة حكيمة: «إنني سعيدة، كنت أخشى أن تكون غاضباً

بسبب عجزك ولكن إن كان ذلك طبيعياً، إلا إنه مختلف.»

قلت ببرود: «إنني لست غاضباً.»

أنت سريع الانفعال إذا؟»

«أنا سريع الانفعال لأنني أتعجل الشفاء مرة أخرى وهذه الأشياء لا يمكن

استعجالها.»

«إذن، لماذا أنت قلق؟»

بدأت أضحك. ثم قلت: «عزيزتي، ألم تتعجلي حدوث شيء أبداً؟»

فكرت ميجان في السؤال ثم قالت: «كلا، وما الذي يدعوني لذلك؟ ليس هناك

شيء يدعوني للعجلة. فلا شيء يحدث أبداً.»

صدمت بنبرة اليأس في كلامها، فقلت بلطف: «ماذا تفعلين هنا؟» هوت كتفها.
 قالت: «ما الذي يمكن فعله هنا؟»
 «أليس لديك أية هوايات؟ أتمارسين ألعاباً؟ أليس لديك أصدقاء هنا؟»
 «إنني غبية في الألعاب، ولا أحبها كثيراً، ولا يوجد الكثير من الفتيات هنا،
 الفتيات الموجودات لا أحبهن. فهن يحسبنني فظيعة.»
 «هراء! لماذا يعتقدون ذلك؟»
 هزت ميجان رأسها. فقلت: «ألم تذهبي إلى المدرسة إطلاقاً؟»
 «بلا، ولقد عدت منها قبل عام.»
 «هل استمتعت بالمدرسة؟»
 لم تكن سيئة، وإن كانوا قد علموني الأشياء بطريقة سخيفة للغاية.»
 «ماذا تعنين؟»
 «حسناً مجرد قشور من هنا وهناك. ينحتون ويغيرون من شيء لآخر. لقد
 كانت مدرسة رخيصة، كما تعلم، ولم يكن المدرسون على درجة عالية من
 الكفاءة، فلم يكن بوسعهم الإجابة عن الأسئلة بشكل لائق.»
 قلت: «القليل من المدرسين من يستطيع ذلك.»
 «لِمَ لا؟ من المفترض أن يكونوا أكفاء.»
 وافقتها. فقالت: «بالطبع، أنا غبية جداً. ومثل هذه الأشياء تبدو لي متعفنة.
 التاريخ مثلاً، لماذا يختلف باختلاف الكتب؟»
 قلت: «لأن كتابها مختلفون.»
 واصلت ميجان حديثها قائلة: «والقواعد اللغوية، وموضوعات الإنشاء
 التافهة، وكل هذه السخافات التي كتبها شيلي متغزلاً في القبرات، ووردس ورث
 الذي أذهب شعره على نباتات النرجس البري. وشكسبير.»
 تساءلت باهتمام: «وما العيب في شكسبير؟»
 «إنه يتحذلق ويتحاذق ليقول أشياء في غاية الصعوبة، بحيث لا تستطيع
 فهم ما يعنيه، ومع ذلك فإنني أحب بعض أعماله.»

قلت: «إنني متأكد من أن ذلك يسعده كثيراً.»
يبدو أن ميجان لم تشك بنبرة السخرية التي تكسو كلامي، حيث قالت
متلهلة الأسارير: «فأنا أحب مثلاً شخصيتي جونريل وريجان.»
«لماذا هاتان بالذات؟»

«أوه، لا أدري، إنهما تشعراني بالرضا إلى حد ما. لماذا كانتا كذلك في رأيك؟»
«ماذا كانتا؟»

«كانتا كما هما، شريرتين في الرواية. أعني أنهما لابد أن هناك شيء جعلهما كذلك؟»
لاول مرة يطرح علي هذا السؤال، فقد كانت مستقرة دائماً في وجداني
فكرة أن ابنتي الملك لير فتاتان شريرتان، وهذا ما ارتضىته لنفسى، ولكن
تساؤل ميجان عن الأمر جعلني أهتم.
قلت: «سأفكر في ذلك.»

«أوه، إن الموضوع ليس ذا أهمية، وإنما كنت أتساءل فقط. فهذا هو الأدب
الإنجليزي على أية حال، أليس كذلك؟»
«تماماً، تماماً، ألم تعجبك أي مادة أخرى؟»
«الرياضيات فقط.»

تساءلت مندهشاً: «الرياضيات؟»
تهللت أسارير ميجان. وقالت: «لقد أحببت الرياضيات، ولكنها لم تُدرس على
الوجه الأمثل، لكم تمنيت لو تعلمتها بشكل جيد حقاً، إنها مادة ساحرة. أعتقد
أن الأرقام فيها نوع من السحر، أليس كذلك؟»
قلت بصدق: «لم أشعر بذلك مطلقاً.»

كنا الآن على وشك دخول شارع هاي ستريت. قالت ميجان بحدة: «هاهي
الآنسة جريفيث. يا لها من امرأة كريهة.»
«ألا تحبينها؟»

«إنني أمقتها. فهي تلح علي دائماً حتى أنضم إلى جماعتها من فريق
الكشفة المثيرات للاشمزاز. إنني أكره فتيات الكشفة. ما الذي يدفع الواحدة

منا إلى ارتداء أزياء خاصة والسير في مجموعات ووضع شارات على ملابسها من أجل شيء لم تتعلم فعله بطريقة صحيحة؟ أعتقد أنه مجرد هراء..»
كنت بصفة عامة متفق مع ميجان، غير أن السيدة جريفيث هبطت علينا قبل أصرارها بموقفي.

كانت أخت الطبيب التي تحمل اسم إيمي جريفيث تتمتع بقدر من الثقة بنفسها يفوق ما يتمتع به شقيقها. وقد كانت امرأة جميلة، ذات وجه أشهب نتيجة التعرض للشمس، وكان صوتها عميقاً ويحمل نبرة ودودة.
أشارت إلينا قائلة: «مرحباً بكما، إنه صباح لطيف، أليس كذلك؟ ميجان هي من أردت رؤيته. أريد مساعدتك في كتابة عناوين المظاريف إلى جمعية المحافظين.»
تمتعت ميجان بشيء مراوغ، ثم ألقت بدراجتها على حافة الطريق، واختفت بطريقة عمدية داخل المتجر الدولي.

قالت الأنسة جريفيث: «طفلة غريبة، إنها كسولة للغاية. فهي تقضي وقتها بالتسكع. لابد أنها تمثل مشكلة للسيدة المسكينة سيمينجتون. أعرف أن أمها حاولت أكثر من مرة تشجيعها على امتحان مهنة ما الكتابة على الآلة الكاتبة، أو الطهي، أو تربية الأرانب. إنها بحاجة لشيء تهتم به في الحياة.»
كنت أعتقد أن ذلك صحيح إلى حد بعيد، غير أنني شعرت لو أنني مكان ميجان لرفضت بحزم مقترحات الأنسة جريفيث وما ذلك إلا بسبب شخصيتها العدوانية التي كانت لتحول حياتي إلى جحيم...

الفصل الثالث

١

في عصر ذلك اليوم ذهبنا لتناول الشاي مع السيد باي. كان السيد باي رجل في غاية البدانة، ذا منتهي أنثوي، وكان يقضي كل وقته في العناية بمقتنياته من الأثاث البرجوازي الطراز، وتمائيل راعيات الأغنام ومجموعة أخرى من التحف.

وكان يعيش في منزل برايلولودج والذي كان يقع في أرض كانت في الماضي تابعة لدار عبادة قديمة.

وبكل تأكيد كان لطبيعة السيد باي في الاهتمام بالمنزل بكل رعاية أثرها في إضفاء جمال عليه، فقد كان هذا المنزل منزلاً في غاية الروعة، وكانت كل قطعة أثاث فيه تبدو لامعة وبراقة وموضوعة في المكان الذي يناسبها تماماً. وكانت الستائر تتناغم تناغماً لونياً بديعاً مع الأثاث الذي كان يكسوه أغلى أنواع الحرير. ولقد كان من المستحيل تصديق أن هذا المنزل يسكن فيه رجل بمفرده، فلقد أصابني الدهشة لأنني وجدت أن من يعيش في هذا المنزل سوف يكون كمن يعيش في متحف. وكانت متعة السيد باي الكبرى هي أن يجول بضيوفه في أرجاء المنزل. وعندها لن يكون بوسع أي أحد أن يهرب من هذه الجولة، حتى أولئك الذين يدركون قيمة ما في المنزل من أثاث فخم وتحف ثمينة. فحتى لو كان مفهومك متطلبات المعيشة يقتصر على الأشياء الأساسية والتي هي المذياع والمائدة والمغطس والفراش وما يحيط بهذه الأشياء من الجدران، فلن يالو السيد باي جهداً في أن يدلّك على أشياء أفضل.

وكانت يداه الصغيرتان المكتنرتان ترتعشان عندما كان يصف لنا ثرواته، وكان صوته يرتفع بحدة عندما كان يروي لنا الملابس التي استطاع من خلالها

احضار هيكل فراشة الإيطالي هذا من فيرونا. ولأنني وأختي كنا نعشق التحف والأثاث ذات الطراز العتيق فقد لقينا استحساناً لديه.

وقال السيد باي: «إنني لسعيد أيما سعادة بصحبتكما هذه. إن هؤلاء الناس الأعزاء الذين يعيشون حولنا - كما تعلمون - هم بكل أسف مجموعة من القرويين السذج - لا أريد أن أقول إنهم أجلاف. إنهم لا يدركوا أي شيء. ما هم إلا مجموعة من الجهلة - جهلة تماماً! والوضع في داخل منازلهم قد يدفعك للبكاء يا سيدتي العزيزة، أؤكد لك أنه سيدفعك للبكاء، أو ربما قد تكونين بكيّتي بالفعل إذا رأيت منازلهم.» ولكن جوانا قالت إن الأمر لم يصل معها إلى هذا الحد.

تذمر السيد باي، وارتجف قليلاً ثم غمغم في حزن: «إلا أنك تتفهمين ما أقول، أليس كذلك؟ إنهم يضعون الأشياء المتنافرة بجانب بعضها البعض بشكل مريع! لقد رأيت ذلك بأم عيني. قطعة أثاث من طراز شيراتون قطعة في غاية الجمال لابد أنهم اشتروها من جامع تحف بلاستيك، ورأيت بجانبها مائدة مناسبات فيكتورية الطراز، أو لعلها كانت مصنوعة من خشب البلوط المدخن الذي يستخدم في صنع حافظات الكتب نعم بلوط مدخن.»

ثم استطرد قائلاً: «لماذا يتصف الناس بهذا القدر من الجهل؟ إنكم توافقونني. أنا واثق من أنكم توافقونني على أن الجمال هو الشيء الوحيد الذي يستحق أن نحيا من أجله.»

أجابته جوانا وهي مأخوذة بمدى صراحتة: «نعم، نعم كما تقول.» فتساءل السيد باي: «إذا فلماذا يملأ الناس حياتهم بالقبح؟»

قالت جوانا: «إن هذا شيء غريب.»

صاح السيد باي: «شيء غريب؟ إنها جريمة نكراء! إن هذا هو ما أسميه بالجريمة النكراء! فلا يستطيع هؤلاء أن يسوقوا إلى مبررات لما يفعلون إلا أن يقولوا إن هذا يشعرهم بالارتياح. أو إنه جذاب وفريد من نوعه، فريد من نوعه يا له من قول فظيع!»

ثم استطرد السيد باي قائلاً: «إن ذلك المنزل الذي أخذتماه، هو منزل الأنسة إيميلي بارتون. وهو أمر رائع، فهي تمتلك بعض التحف الجميلة، إنها رائعة للغاية. ولعل واحدة أو اثنتين من هذه التحف هي تحف من الدرجة الأولى. ولديها أيضاً حس جمالي عالٍ على الرغم من أنني حالياً لست على يقين من هذا كما كنت في السابق. فأحياناً يراودني إحساس بأن سبب هذا هو الألفة لا أكثر. أنها تحب أن تحتفظ بهذه الأشياء على الصورة التي كانت دائماً عليها، ولكنها لا تفعل هذا للدافع الصحيح إنها لا تحافظ على تناسق هذه القطع بدافع من حسها الجمالي، وإنما لأن أمها تعودت أن تضع هذه التحف على هذا النسق.»

ثم تحول باهتمامه إلي وتغيرت نبرة صوته. من نبرة صوت فنان حالم إلى نبرة أب ناصح: «إنكما لم تتعرفا على أحد من أفراد العائلة، اليس كذلك؟ نعم، بالقطع تعرفتما عليهما عن طريق السماسرة. ولكن يا أعزائي عليكم أن تتعرفا على أفراد العائلة! عندما حضرت إلى هذا المكان لأول مرة كانت الأم الكبيرة لا تزال على قيد الحياة. لقد كانت إنسانة فوق العادة بكل ما تحمل الكلمة من معانٍ! لقد كانت وحساً إذا كنتم تدركان ما أقول، وحش بكل تأكيد. كانت تشبه وحشاً كلاسيكياً من العصر الفيكتوري وهي تلتهم صغارها. نعم هذا هو ما أقصده. لقد كانت إنسانة عتيقة الطراز لقد كان لها ثقل ومكانة، وكانت بناتها الخمس يدرن في فلکها. كانت دائماً تشير إليهن بكلمة «البنات»! وفي حين أن كبراهن كانت قد تجاوزت الستين من عمرها في ذلك الحين. وأحياناً كانت تتنديهن بالبنات الحمقاوات. كنَّ كالإماء، وكنَّ دائماً يطعنهن، ويحضرن لها ما تريد ويحملن لها ما تشاء. وكان عليهن أن يخلدن للنوم مع دقات الساعة العاشرة مساءً، ولم يكن يسمح لهن بأن يوقدن ناراً في مخادعهن، ولم تكن إحداهن تجرؤ على أن تدعو صديقة لها بالمنزل. تعلمون أنها قد حرمتهم من الزواج، وقامت بتخطيط حياته بشكل لا يتمكن به عملياً من مقابلة أي إنسان. أعتقد أن إيميلي، قد دخلت في علاقة قصيرة الأجل مع أحد رعاة الأبرشية. ولكن عائلته لم تكن عريقة بما فيه الكفاية، وسرعان ما وضعت الأم حداً لهذه العلاقة.»

قالت جوانا: «إن هذا يبدو ككلام الروايات.»

قال السيد باي: «نعم عزيزتي، هذا صحيح. ثم حدث أن ماتت تلك السيدة المسنة، ولكن بالطبع بعد أن فات الأوان كثيراً. لقد ظلت البنات يعشن في ذات المكان، ويتكلمن بأصوات هامسة عما كانت ستتمناه الأم المسكينة. حتى أنهن لم يجرؤن على تغيير أوراق الحائط في غرفة نومهن. إلا أنهن مع هذا استطعن أن ينلن بعض التسلية في الأبرشية بوسيلة أو بأخرى... إلا أنه سرعان ما توفيت إحداهن تلو الأخرى لأنهن لم يستطعن مواصلة الحياة من دون أمهن. فماتت إيديث بمرض الإنفلونزا، وماتت ميني من عملية جراحية لم تتعافى منها، أما ماييل المسكينة فأصببت بسكتة دماغية وتولت إيميلي رعايتها بكل إخلاص وتفان. وبالفعل لم تفعل تلك المرأة المسكينة في العشر سنوات الماضية إلا رعاية أختها. يا لها من إنسانة رائعة، ألا توافقاني؟ إنها تشبه تحفة ثمينة. إنه لشيء مؤسف أن تعاني من تلك الأزمات المالية. إلا أنه من المعروف أن جميع الاستثمارات قد عانت من هذا الكساد.»

قالت جوانا: «إننا نشعر بالضيق لأننا سوف نسكن في منزلها.»

قال السيد باي وهو ينحني بعض الشيء: «كلا، كلا يا عزيزتي. عليك ألا تفكري بهذه الطريقة. لقد أخبرتني صديقتها العزيزة فلورنسا والتي تقوم على خدمتها بأنها في غاية السعادة لأنها حظيت بمستأجرين على هذا القدر من اللطف مثلكما، لقد رأت هذا من يمن طالعتها.»

قلت: «إن ذلك المنزل يتمتع بجو باعث على الاسترخاء. «وعندئذ نظر إلي باي نظرة خاطفة وقال: «حقاً؟ هل تشعر بذلك حقاً؟ إن هذا شيء مشوق. لقد كنت أتعجب كما تعلمان، نعم لقد كنت أتعجب.»

سألت جوانا: «ماذا تعني يا سيد باي؟»

قال السيد باي وهو يفرق كفيه المكنترتين: «لا شيء. لا شيء. إن الإنسان ليعجب أحياناً، هذا هو كل ما في الأمر. إنني أؤمن بفكرة الجو المحيط هذه. إنني أؤمن بأن أفكار الناس هذه وأحاسيسهم تنطبع على الأثاث والجدران.»

ولم أنبس بعدها بكلمة لدقيقة أو دقيقتين. كنت أنظر في المكان من حولي وأتساءل كيف يمكنني أن أصف جو منزل برايبولودج. لقد كان أكثر ما لفت انتباهي أنه منزل ليس به أثر لأي روح! لقد كان شيئاً عجيباً بالفعل. لقد استولت علي هذه الفكرة تماماً لدرجة أنني لم أسمع حرفاً من المحادثة الدائرة بين جوانا ومضيفها. إلا أنني انتبهت لنفسي عندما سمعت جوانا تقول بعض العبارات التي تدل على مغادرتنا، فاستيقظت من أحلام اليقظة وأدليت بدلوي في هذه العبارات.

وخرجنا جميعاً إلى الردهة. وعندما وصلنا إلى باب المنزل، وجدنا أن هناك خطاباً كان قد وصل عبر البريد، وكان ساقطاً على ممساحة الأقدام أمام الباب. غمغم السيد باي وهو يلتقط الخطاب: «يريد بعد الظهيرة. والآن يا أعزائي، إنكما سوف تكررا الزيارة، أليس كذلك؟ لقد حظيت بسعادة بالغة لصحبة شخصين مثلكما ذوي عقول متفتحة، عقول تقدر الفن بالفعل، فانتما تعلمان أن كل هؤلاء الناس الذين يعيشون في هذه المنطقة لا يمتلكون أي حس فني على الإطلاق، فمثلاً إذا ما ذكرت أمامهم كلمة باليه فكل ما تعنيه هذه الكلمة لديهم هو الرقص على أصابع الأقدام، والتنورات الحريرية والسادة المهيئين ذوي عوينات الأوبرا الزجاجية الذين تبلغ أعمارهم تسعين عاماً. هذا بالفعل هو كل ما تعنيه الكلمة لهم. إنني أراهم أناس يتخلفون عن وقتنا هذا بنصف قرن على الأقل. إن إنجلترا لبلد بديع، وبه كما تعلمان المناطق المعزولة. وبلدة لايمستوك هي واحدة من تلك المناطق المعزولة. إنني من خبرتي كجامع للتحف أراها بلدة مثيرة للاهتمام فعندما أكون هنا أشعر كما لو أنني في داخل واجهة زجاجية ينظر الناس من خلالها. إنني أشعر كما لو أنني أعيش في مياه راكدة، حيث لا شيء يكسر نمط الحياة الرتيب.»

وبعد أنا صافحنا السيد باي مرتين، ساعدني بعناية بليغة على الصعود إلى العربة، واتخذت جوانا مكانها خلف عجلة القيادة، ودارت بحرص حول مساحة من الأرض مغطاة بعشب مشذب، ثم مضت في خط مستقيم، ورفعت يدها

ملوحة لمضيفنا الذي وقف عند درجات مدخل البيت. وملت بجسدي للامام مودعاً
إياه أنا أيضاً بدوري.

إلا أنه لم يلاحظ إشارتنا المودعة تلك. فقد كان مستغرقاً في قراءة
الخطاب الذي وصله للتو.

كانت جوانا قد وصفته ذات مرة بأنه ملاك مكتنز وردي اللون. لقد كان ما يزال
في هذه اللحظة مكتنزاً، ولكنه كان يبدو أبعد ما يكون عن شكل الملاك. فلقد
انقلب وجهه الملائكي إلى وجه تكسوه الحمرة من فرط الغضب وشدة الصدمة.
وفي هذه اللحظة، لاحظت أن مظهر الخطاب يبدو مألوفاً. لم أكن قد
لاحظت هذا مسبقاً لقد كان هذا من الأشياء التي تشعر بأنها مألوفة حينما
تقع عليها عينك دون أن تدرك أنك قد فعلتها من قبل، ولكن أين ومتى لا تعلم.
قالت جوانا: «يا إلهي، ما الذي أزعج ذلك المسكين؟»

قلت: «إنني أتعجب أنا أيضاً، ترى هل هي الأيدي الخفية مرة أخرى؟»
نظرت لي بدهشة، فأنحرفت السيارة عن مسارها. قلت لها: «احترسي يا فتاة.»
عادت جوانا تنتبه للطريق. وقالت لي بوجه متجهم: «أتعني أن ذلك الخطاب
مثل الذي تلقيته أنت؟»

قلت لها: «هذا ما أظن.»

تساءلت جوانا: «ما هذا المكان؟ إنه يبدو كأكثر مكان هادئ في إنجلترا.»
قاطعتها قائلاً وكما قال السيد باي، لا شيء يكسر نمط الحياة الرتيب. لقد
اختر الوقت الأسوأ لهذا القول، فهناك شيء قد كسر نمط الحياة الرتيب.

قالت جوانا: «ولكن من الذي يكتب مثل هذه الخطابات يا جيري؟»
هرزت كتفي قائلاً: «وكيف لي أن أعرف يا عزيزتي؟ لا بد أنه أحد القرويون
ذوي العقول غير الناضجة.»

قالت: «ولكن لماذا؟ إن هذا لتصرف في غاية الحماقة.»

قلت: «إذا قرأت لفروير أو لـ يونج فستجدين إجابة على سؤالك، أو يمكنك
أن تسألني الدكتور أوين. «هرت جوانا رأسها قائلة: «إنني لا أروق له.»

قلت لها: «ولكنه لم يرك إلا قليلاً». قالت: «لكن من الواضح أنه رأيي بدرجة تكفي لأن يغير طريقه إذا صادف وأن رأيي قادمة من نفس الطريق». قلت لها بتعاطف: «إنه رد فعل غير اعتيادي، ولا يبدو أنك معتادة عليه. عبست جوانا مرة أخرى وقالت: «كلا، ولكن حقاً لماذا يكتب الناس رسائل مجهولة كالتي تصلنا؟»

قلت لها: «كما قلت لك، لأن عقولهم غير ناضجة. أعتقد أن هذا يعوض نقصاً في نفوسهم. فمثلاً إذا كنت مهملة أو محبطة أو منبوذة، وتشعرين بالسؤم والخواء، فسوف تحسّين ببعض القوة عندما تطعنين الآخرين في الظلام، هؤلاء الآخرون الذين يحييون في سعادة ورفاهية». ارتجفت جوانا قائلة: «إن هذا ليس جميلاً على الإطلاق، هكذا يكون علي أن أتخيل أناس هذه القرية كأناس بدائيين يقومون بتصرفات شاذة، أعتقد أن من قام بهذا شخص أُمي، أعتقد أنه لو كان متعلماً ل... ط توقفت جوانا ولم تكمل جملتها، ولم أعلق أنا بكلمة. فلم أكن قادراً أبداً على أن أقبّل الاعتقاد الذي يقول بأن التعليم هو دواء لكل داء. وبينما كانت السيارة تنطلق باتجاه طريق مرتفع، وقبل أن نمضي صاعدين ذلك الطريق الرئيسي، أخذت أختلس النظر بفضول إلى معالم الطريق السريع. ورأيت إحدى النساء الريفيات ذوات الأجسام الممشوقة القوام وكانت عيناها تحملان الكثير من الحقد والخبث، وربما كانت تخطط للمزيد من التصرفات الحاقدة. ولكنني مع هذا لم أستطع أخذها على محمل الجد....

- ٢ -

بعد انقضاء يومين، ذهبنا إلى إحدى الحفلات التي كان يقيمها آل سيمينجتون. لقد كان هذا في عصر يوم سبت فال سيمينجتون دائماً ما يقيمون احتفالاتهم يوم السبت، لأنهم في هذا اليوم يغلقون مكاتبهم.

لقد كانت هناك طاولتان للعب الورق، وكان اللاعبون هم آل سيمينجتون، ونحن، والأنسة جريفيث، والسيد باي والأنسة بارتون، والكولونيل أبلتون والذي لم نكن قد التقيناه من قبل، والذي كا يعيش في بلدة كومبيكر وهي بلدة تبعد عن بلدتنا حوالي سبعة أميال. لقد كان نموذجاً للشخص الساذج شديد المحافظة في نظرفته إلى شؤون البلاد العامة، وكان في الستينيات من عمره، وكان يحب أن يلعب بأسلوب يسمى «اللعب الهجومى». (والذي كان دائماً ما ينتهي بإحراز خصمه لمكاسب كبيرة على حسابه) ولقد كان معجباً للغاية بجوانا، لدرجة أنه لم يرفع عنها عينه طوال الأمسية.

ولهذا السبب كنت مضطراً لأن أوافقه على أن أختي هي أكثر شيء جذاب شوهد في لايمستوك منذ زمن بعيد.

وعندما وصلنا إلى الحفل كانت إليسي هولاند مربية الاطفال تحاول تجميع ألعاب الورق وإحراز المزيد من النقاط، وكانت تقوم باللعب على منضدة مزينة بأسلوب جذاب. كانت تختال في رشاقة وخفة، بنفس الطريقة البديعة الخلافة التي رأيتها تسير بها لأول مرة. ولكن لم أشعر بنفس تأثير سحرها، كما شعرت به من قبل وهذا ما يبعث على الحنق والغيط لقد كانت آية في الرشاقة والجمال، ولكنني لاحظت لها أسناناً بيضاء عريضة بشكل غير طبيعي، وكانت عندما تضحك وتظهر لثتها تبدو كإحدى الفتيات الثرثارات.

وسمعتها تقول: «هل هذه هي أوراق اللعب الصحيحة يا سيدة سيمينجتون؟ إنني دائماً أكون على قدر من الحماقة. بحيث لا أذكر أبدا أين وضعتها. إنه خطئي. لقد كانت في يدي آخر مرة عندما نادى علي برايان قائلاً أن محرك سيارته قد أصابه عطب، فهرعت إليه وانشغلت معه، ولا بد أنني ألقيت بها في أي مكان بحماقه. وهذه الأوراق ليست هي الأوراق الصحيحة، لقد أدركت هذا الآن، إنها تميل إلى الاصفرار بعض الشيء عند حوافها. هل علي أن أخبر أجنس بأن ميعاد تناول الشاي في الساعة الخامسة؟ سوف أصطحب الاطفال إلى لونغ بارو حتى لا يسببوا الضوضاء.»

يا لها من فتاة لطيفة وحنونة وذات شخصية براقية. والتقت عيناى بعيني جوانا. لقد كانت تضحك، نظرت اليها ببرود، فقد كانت جوانا على الدوام تستطيع أن تعرف ما يجول في ذهني. عليها اللعنة.

ثم جلسنا امام طاولة اللعب، وبدأت أتعرف على قدرات أهل لايمستوك في لعب الورق. فالسيدة سيمينجتون كانت على قدر كبير من البراعة في اللعب، وكانت توجه كامل اهتمامها للعبة. وكانت كباقي النساء غير المتعللمات لا تنقصها الفطنة والفراسة. وكانت حادة الطباع بعض الشيء. وكان زوجها كذلك لاعبا ماهرا إلا أنه كان مبالغا في حذره. أما السيد باي فقد كان مبهرا في طريقة لعبه، لقد كان تأثيره النفسي على الحاضرين طاغيا. ولما كان هذا الحفل على شرفنا. فقد لعبنا على ذات الطاولة مع السيدة سيمينجتون والسيد باي. لقد كان السيد سيمينجتون يضطلع بمهمة تهدئة المنافسة إذا ما حمى وطيسها بين اللاعبين، وأن يصفى أي خلافات قد تنشب بينهم وهم على الطاولة. وكما ذكرت سابقا كان الكولونيل أبلتون مولعا بالأسلوب الهجومي في اللعبة. ولقد كانت السيدة بارتون بكل تأكيدات أسوأ لاعبة رأيتها في حياتي. إلا أنها كانت تستمتع باللعب كثيرا، ولقد استطاعت أن تحفظ دروسا في اللعبة، إلا أنها لم تستطع أن تفهم كيفية إحراز النقاط في هذه اللعبة. وكانت دائما ما تختلط عليها الأوراق فلم تلق بورقة صحيحة واحدة طوال مدة اللعبة. أما عن أسلوب لعب إيمي جريفيث فيمكن تلخيصه في كلماتها التي قالتها عن نفسها: «إنني أفضل لعب الورق عندما لا يتخلل اللعبة الكثير من الهراء، فانا لا أحب تلك الطرق المخادعة بتمرير المعلومات خلصة إلى شركاء اللعب. وإنني أعني ما أقول، وكذلك لا أحب أن ننخرط في تحليل ونقد اللعبة بعد انتهائها. ففي نهاية الامر ما هي إلا مجرد لعبة! وهو الامر الذي لم يجعل من مهمة السيدة سيمينجتون مهمة يسيرة. وهكذا بدأ اللعب، وقد نسي الكولونيل أبلتون أن يلعب دوره عدة مرات لانشغاله بالنظر إلى جوانا.

ثم تم تقديم الشاي، وقد وُضع على طاولة كبيرة مستديرة. وبعد أن

انتهينا من اللعب، دلف إلى الغرفة طفلان صغيران وقامت السيدة سيمينجتون بتقديمهما إلينا وهي في غاية الفخر، وكذلك كان والدهما. وبينما نحن نستعد للرحيل، لاح لي ظل أثار انتباهي فنظرت وإذا بميجان واقفة عند الشرفة.

قالت الأم: «أوه، ميجان.»

كانت نبرة صوتها تحمل قدراً من المفاجأة وقد بدا أنها نسيت وجود ميجان. ودلفت الفتاة إلى المنزل، وصافحتنا بأسلوب خالٍ من أي لباقة.

قالت السيدة سيمينجتون بصوت يحمل نبرة اعتذار: «أخشى أنني نسيت أن أعد لك الشاي يا عزيزتي، فقد أخذت الأنسة هولاند قذح الشاي الخاص بها معها وكذلك فعل الأولاد، ولم يتبق شيء من شاي الأطفال اليوم، لقد نسيت تماماً أنك لم تنهبي معهم.»

أومأت ميجان برأسها قائلة «لا بأس، سوف أذهب إلى المطبخ.» ثم خرجت من الغرفة وهي تمشي الهويني. وكانت كعادتها مهلهلة الملابس، وترتدي الجوارب المثقوبة عند الكعبين.

قالت السيدة سيمينجتون وهي تضحك بطريقة تنم عن الاعتذار: «يا لميجان المسكينة، إنها الآن تمر بتلك السن الحرجة كما تعلمون، تلك السن التي تكون الفتيات فيها خجولات ومرتبكات لأنهن قد تركن المدرسة قبل أن يتم نضجهن ويصبحن سيدات بحق.»

نظرت إلى جوانا، فوجدتها تميل برأسها إلى الورا وهي بادرة عنف وأعرفها جيداً، وقالت: «ولكن ميجان في العشرين من عمرها، اليس كذلك؟»

«بلى بالفعل، ولكنها متأخرة ذهنياً عن سنها الفعلي، فهي لا تزال طفلة، إنه شيء لطيف ألا يكبر أطفالنا بسرعة.» ثم ضحكت مرة أخرى وقالت: «أراهن على أن كل الأمهات يجبن أن يظل أطفالهن رضعاً.»

قالت جوانا: «لا أستطيع أن أدرك السبب في هذا، فلا بد أن أمر مخز أن يكون العمر العقلي للإنسان لا يتجاوز السادسة، بينما جسده جسد شخص في العشرين

من عمره.»

قالت السيدة سيمينجتون: «هذه الأمور لا تؤخذ على علاتها يا أنسة بيرتون.» أحسست في تلك اللحظة أنني لا أميل كثيراً للأنسة سيمينجتون. لقد أحسست أن خلف هيئتها النحيفة ذات الجمال الباهت تلك طبيعة أنانية مهيمنة. ثم بدأت تتكلم كلاماً زاد من كراهيتي لها. «يا لميجان المسكينة، إنها لطفلة صعبة المراس، لقد كنت أبحث لها عن أمر تشغل به أعتقد أن هناك أشياء كثيرة يمكن للمرء أن يتعلمها من خلال المراسلة. كتصميم وتفصيل الثياب أو يمكنها أن تتعلم الكتابة الاختزالية.»

وكان لا يزال تطل من عيني جوانا نظرة حنق. وقالت عندما جلستا ثانية قبالة طاولة اللعب: «أعتقد أنها تستطيع أن تحضر بعض الحفلات وما شابه ذلك. ألا تفكرين فس إقامة حفل راقص على شرفها؟»

قالت السيدة سيمينجتون بمنتهى الدهشة: «حفلة راقصة؟ كلا بالطبع، إننا لم نعتد القيام بمثل هذه الأمور هنا.»

«فهمت، إنكم لا تقيمون إلا حفلات التنس أو ما شابه ذلك.»

«إن ملعب التنس الخاص بنا لم يمارس أحد اللعب عليه منذ سنين. وإنني لا أمارس التنس ولا ريتشارد أيضاً. ولكن ربما عندما يشب الولدان سوف تجد ميجان الكثير من الأمور لكي تفعلها. إنها الآن تجد سعادتها في التجول في الأنحاء القريبة. ترى هل نسيت أن أوزع الورق؟»

بينما كنا في طريق عودتنا بسيارتنا، قالت جوانا وهي تضغط على دواسة البنزين بقوة جعلت السيارة تندفع بسرعة «إنني أرثى لحالة هذه الفتاة بشدة.» «أتعنين ميجان؟»

«نعم، إن أمها لا تحبها.»

«لا يا جوانا، الأمر ليس بهذا السوء.»

«بل هو بهذا السوء، هناك الكثير من الأمهات لا يحببن أطفالهن. إنني أستطيع أن أتخيل هذا الأمر: فميجان هي مصدر للإحراج في هذه العائلة. إنها

تفسد الصورة المثالية لعائلة سيمينجتون، فبدونها تبدو العائلة كياناً متكاملًا لا يعبه شيء وهذا الأمر يسبب لهذه المخلوقة الحساسة ضرراً لا يفوقه أي ضرر.»
قلت لها: «نعم، إنني أراها إنسانة حساسة للغاية.»

ران علينا الصمت لحظة.

قال جوانا: «إن الحظ لم يحالفك مع مربية الأطفال تلك.»

قلت لها بكبرياء: «لا أدري ماذا تعنين.»

«كفاك من هذا الهراء، إنك تعلم جيداً ما أعني، لقد كسا وجهك حنق ذو طابع ذكوري عندما كنت تنظر إليها، إنني أوافقك أنها ساخرة.»
«لا أعرف عم تتحدثين.»

«إلا أنني مع هذا سعيدة. إنها إشارة جيدة على أنك عدت إلى الحياة من جديد. لقد كنت في المصحّة، فهناك لم تكن حتى لم تلق بالاً لتلك الممرضة الحسنة التي كانت تقوم على رعايتك، رغم أنها كانت آية في الحسن.»
«إنني أجد في كلامك ابتذالاً يا جوانا.»

إلا أنها واصلت حديثها كأنها لم تسمعني وقالت: «ولهذا شعرت براحة كبيرة عندما رأيته تبدي اهتماماً بفتاة حسنة. إنها بالفعل حسنة ولكن الغريب أنها ليست جذابة. هناك شيء لا أعرفه يجعل بعض الفتيات جذابات والبعض لا. ما الذي يجعل الرجال يفتنون ببعض النساء حتى وإن لم يقلن إلا عادياً على شاكلة: «يا لهذا الطقس السيء.» وهناك نساء يملكن وجوهاً آية في الحسن والجمال (أفروديت) ولكنهن غير جذابات على الإطلاق. وتجد أن النساء الأقل جمالاً يمتلكن هذا السحر وهو الأمر الذي يقود الفتيات الأخريات إلى الجنون، ويقلن: لا أعرف ماذا يرى الرجال في تلك المرأة، إنها غير جميلة على الإطلاق.»
«هل انتهيتي يا جوانا؟»

«ألا توافقني الرأي؟»

ابتسمت قليلاً وقلت: «أعترف بأنني أصبت بشيء من خيبة الأمل.»
«وإنني لا أرى لك بديلاً غيرها وقد تضطر إلى أن تحول اهتمامك إلى إيمي جريفيث.»

قلت لنفسي: «لا سمح الله.»
 قالت جوانا: «إنها فتاة حسنة كما تعلم.»
 «إنها تبدو لي كواحدة من مقاتلات الامازون.»
 قالت جوانا: «يبدو لي أنها تستمتع بحياتها جيداً. وهي طيبة القلب أيضاً.
 إنني لن أندesh لو علمت أنها تستحم بماء بارد كل صباح.»
 سألتها: «وماذا أنت فاعلة في نفسك؟»
 «في نفسي؟»

«نعم، إنك تحتاجين لأن تشغلي نفسك بأمر ما، فانا أعرفك جيداً.»
 تنهدت جوانا بعمق وقالت: «من لاذي يتحدث بابتذال الآن؟ وغير هذا أنك نسيت بول.»
 «إنني لن أنساه بأسرع مما تنسيه أنت، إنك خلال عشرة أيام سوف تقولين:
 بول؟ بول من؟ إنني لا أعرف أحداً يدعى بول.»
 قالت جوانا: «إنك تظنني امرأة متقلبة المزاج.»
 «عندما يتعلق الأمر بأناس مثل بول فإنني أكون سعيداً لتقلب مزاجك هذا.»
 «إنك لم تحبه يوماً، إلا أنه كان على درجة شديدة من العبقريّة.»
 «ربما، مع أنني أشك في هذا. على أي حال سمعت أن العباقرّة أناس لا
 يطاقون. والجيد في الأمر أنك لن تستطيعي أن تجدي عبقرياً هنا.»
 فكرت جوانا بعض الوقت وهي تحني رأسها ثم قالت بنبرة نادمة: «أخشى
 أن يكون هذا صحيحاً يا جيري.»

قلت لها: «على أية حال ليس لديك إلا أوين جريفيث. إنه هو الأعرب الوحيد
 في هذه البلدة. إلا إذا كنت تفكرين في الكولونيل أبلتون؛ فلقد كان ينظر إليك
 كالكلب الجائع طوال جلستنا.»
 ضحكت جوانا قائلة: «نعم لقد كان يحرق إلي بشدة، أليس كذلك؟ لقد كان
 هذا الأمر محرّجاً للغاية.»

«كفّي عن التظاهر، إنك لم تشعري بالإحراج للحظة.»
 مضت جوانا في القيادة وتجاوزت البوابة إلى المرائب. ثم قالت: «ربما تكون

محققاً إلى حد ما في فكرتك تلك..»

«أية فكرة؟»

«لا أفهم لماذا يقدم رجل ما على أن يغير من طريقه لكي يتجنبني، إن هذا

لتصرف وقح بصرف النظر عن أي شيء..»

قلت لها: «فهمت، إنك تريدي اصطياذ الرجل بدم بارد..»

«إنني لا أحب أن يتجنبني أحد..»

خرجت من السيارة بحذر، وتوكلت على عكازي ثم قدمت لأختي نصيحة..

«دعيني أقول لك هذا يا فتاة. أوين جريفيث ليس كأي من رفاقك الخاملين

ذوي الطبيعة المحبة للفن. وإذا لم تأخذي حذرك سوف تفتحي عش الدبابير.

إنه لرجل خطير..»

قالت جوانا وبدا أنها تستمتع بهذا الأمر: «هل تعتقد هذا؟»

قلت لها بإصرار: «هلا تركت ذلك الرجل لحاله؟»

«كيف يجرؤ على تغيير طريقه ليتجنبني؟»

«إن النساء لهن ذات الطبع. كلكن تعزفن على نفس النغمة. وإذا لم أكن

مخطئاً فسوف تجددين أخته إيمي تشتكي منك..»

قالت جوانا: «إنها من البداية تكرهني. «كانت تتحدث وهي في حالة من

التأمل ولكن بشيء من الرضا.

قلت لها مصرأ: «إننا قد جئنا لهذا المكان طلباً للهدوء وراحة البال، وإنني

حريص على أن أجدهما..»

إلا أن الهدوء وراحة البال كانا أبعد ما يكونا عنا.

الفصل الرابع

- ١ -

كان قد مضى أسبوع عندما أخبرني بارتريدج أن السيدة بيكر تريد التحدث إلي قليلاً.
لم يبد لي اسم السيد بيكر مألوفاً على الإطلاق.

تساءلت في تحير: «من الأنسة بيكر، ألا يمكنها التحدث مع الأنسة جوانا؟» ولكن علمت أنها لا تريد أن تتحدث معي أنا بالذات، ثم علمت فيما بعد أن السيدة بيكر هي والدة الفتاة بياترس.

كانت بياترس قد غابت عن ذهني تماماً، ولم أنتبه لهذا إلا عندما رأيت تلك المرأة التي تجاوزت الأربعين عاماً، ونال الشيب من بعض خصلات شعرها، والتي كانت جاثية على ركبتها تغسل أرضية الحمام والسلام والردهات. ولقد أدركت أنها الخادمة الجديدة. ولولا تلك المرأة لما خطرت بياترس بذهني أبداً. ولم أستطع أن أرفض مقابلة والدة بياترس، خاصة بعد أن علمت بأن جوانا ليست موجودة في المنزل، ولكنني أعترف بأنني كنت أشعر ببعض الضيق حيال هذا الأمر.

ولقد كنت أمل بشدة ألا أتهم بالتلاعب بعواطف بياترس. وأخذت ألعن في داخلي تلك التصرفات السخيفة التي يقوم بها كاتب هذه الرسائل المجهولة، ولكنني لم أفعل شيئاً إلا أن أطلب من بارتريدج أن تحضر والدة بياترس لمقابلتي.

كانت السيدة بيكر ضخمة الجثة طويلة القامة، وكانت تتحدث بسرعة شديدة. ولكنني شعرت بالكثير من الراحة عندما لم ألمح في صوتها أي نبرة غضب أو اتهام. بدأت السيدة بيكر الحديث ما أن انفلق باب الغرفة خلف

بارتريدج قائلة: «أرجو يا سيدي أن تغفر لي جرأتي في طلب مقابلتك. ولكنني ظننت يا سيدي أنك الشخص المناسب الذي ينبغي أن آتي إليه، ولسوف أكون شاكراً إذا ما كنت ستنصحنني بما ينبغي عمله في ظل هذه الظروف الراهنة، لأنه في رأيي يا سيدي لا بد من القيام بشيء ما في هذا الصدد، وإنني لست من هؤلاء الناس الذين يتركون الأمور تتفاقم، وما أقوله هنا هو أنه لا فائدة من الشكوى والتذمر، وإنما لا بد من ترك الكلام والبدء في الفعل كما قال رجل الدين الأسبوع قبل الماضي.»

شعرت ببعض الحيرة لأنني أحست كأن هناك شيئاً أساسياً فاتني أن أفهمه في هذه المحادثة.

قلت لها: «بكل سرور، ألن تتفضلي بالجلوس يا سيدة بيكر؟ إنني سوف أسعد بتقديم العون لك.»

ثم صمت للحظة منتظراً منها أن تجلس.

وجلست السيدة بيكر على حافة مقعدها بعد أن قالت: «أشكرك يا سيدي، إن هذا تصرف في غاية الكرم من جانبك يا سيدي. وإنني في غاية السعادة لأنني أتيت لمقابلتك، ولقد قلت هذا لـ لبياترس عندما كانت تبكي في فراشها، لقد قلت لها إن السيد بيرتون سوف يعرف ما ينبغي عمله، فهو سيد مهذب قادم من لندن. ولا بد بالفعل من عمل شيء ما، ما بال هؤلاء الشباب المندفعين الذين لا يصغون إلى صوت العقل، ولا يصغون إلى أي كلمة تقولها فتاة؟ وعلى كل حال لقد قلت لبياترس إنني لو كنت مكانها لفعلت كل ما في وسعي لكي أنتقم منه، وماذا عن تلك التاة في الطاحونة؟»

ازدادت حيرتي مع كلامها، فقلت: «معذرة، ولكنني لا أفهم، ما الذي حدث؟»
«إنها الخطابات يا سيدي، خطابات بذيئة. وغير لائقة كذلك. وبها كلمات سيئة ومثير للاشمئزاز بشدة.»

وهنا استرجعت شريط الأحداث في ذهني وتكشفت لي الأمور؛ فقلت لها بياس: «هل تلقت ابنتك المزيد من الرسائل؟»

ليست هي يا سيدي، هي لم تتلق إلا رسالة واحدة. تلك الرسالة التي كانت سبب رحيلها من هذا المنزل..»

قلت لها: «لم يكن هناك ما يدعو لأن -!»، إلا أن السيدة بيكر قاطعتني بأسلوب حازم ولكنه مهذب وقالت: «لا داعي لأن تكمل يا سيدي، إن كل ما جاء في هذه الخطابات لا يدعو أن يكون بعض الأكاذيب الدينية. إنك يا سيدي لست من هذا النوع من الرجال، لقد أكدت الأنسة بارتريدج هذا ولقد لمست هذا بنفسي. ما هي إلا أكاذيب حقيرة، ولكني قلت إنه من الأفضل أن تغادر بياترس المنزل لأنك تعرف جيداً ما يقال يا سيدي، إن الناس سيقولون لا دخان بلا نار، ولقد انزعجت الفتاة بشدة، لقد وافقت بياترس عندما رفضت المجيء إلى هنا ثانية، رغم أن كلينا قد شعر بالأسف للارتباك الذي سببناه لكم بهذا..»

توقفت السيدة بيكر قليلاً وأخذت نفساً عميقاً ثم قالت بعد جهد: «ولقد كنت أمل أن يوقف هذا التصرف هذه الشائعات الحقيرة. ولكن جورج عامل الممراب، وهو خطيب بياترس، قد تلقى واحدة من هذه الرسائل التي تفتري على ابنتي بياترس افتراءً فظيماً، وكيف أنها على علاقة أئمة مع توم ابن فريد ليد بيبترز... وأؤكد لك يا سيدي أن ابنتي لم تقترب أبداً شيئاً ينافي الذوق والأخلاق..»

وهنا بدأ رأسي يطن، فلقد زاد الأمر تعقيداً بظهور قصة توم ليد بيبترز هذا. قلت لها امنحيني فرصة لكي أستوعب هذا الأمر جيداً، لقد تلقى خطيب بياترس رسالة مجهولة المصدر تتهم بياترس بتورطها في علاقة مع شاب آخر، اليس كذلك؟

«هذا صحيح يا سيدي - ولقد كانت رسالة بعيدة كل البعد عن التهذيب، ولقد كانت مليئة بالفاظ بذينة أثارت جنون جورج، فجاء مسرعاً إلى بياترس وقال لها إنه لا يقبل أبداً هذا التصرف من جانبها، ويرفض بأن تواعد رجلاً آخرين من وراء ظهره... وعندما أخبرته أن هذا كذب حقير، قال لها: «لا دخان بلا نار..» واندفع خارجاً من المنزل في غاية الغضب، وبدأت التعاسة على بياترس المسكينة. وعندها قلت لها إنني سوف أرتدي قبعتي وأذهب لمقابلتك يا سيدي...»

صمتت السيدة بيكر متوقعة مني أن أرد عليها تماماً كما يتوقع الكلب الحصول على جائزة بعد أن يؤدي حركة جيدة. ولكنني سألتها: «ولكن لماذا لماذا أتيتي إلي أنا بالذات؟»

«لقد علمت يا سيدي أنك تلقيت واحدة من هذه الرسائل الدينية، ولقد فكرت في أنك تعرف وأنت القادم من لندن ما الذي يتوجب فعله لعلاج هذا الأمر؟» قلت لها: «لو كنت ميكانيكي لذهبت إلى الشرطة؛ فلا بد من وضع حد لهذا الأمر.» نظرت لي السيدة بيكر وعلى وجهها أمارات الصدمة وقالت: «كلا يا سيدي، لا أستطيع أن أذهب للشرطة.» «ولم لا؟»

«لم يسبق لي أن تعاملت مع الشرطة، ولا أي أحد من عائلتي كذلك.» «قد يكون هذا صحيحاً، ولكن الشرطة فقط هي من تستطيع أن تضع حداً لهذا الأمر، فهم موكلون بهذا.» «هل أذهب إلى بيرت راندل؟»

كنت قد علمت أن بيرت راندل هو أحد رجال الشرطة. «لابد أن هناك رقيباً أو مفتشاً في قسم الشرطة.» «أنا أذهب إلى قسم الشرطة.»

قالت لها السيدة بيكر بصوت خافت جعلني أشعر بالضيق «هذه هي النصيحة الوحيدة التي يمكنني أن أسديها لك.»

صمتت السيدة بيكر وكان واضحاً أنها لم تقتنع بكلامي. ثم قالت بحزم وصرامة: «لابد لهذه الرسائل أن تتوقف يا سيدي، يجب أن تتوقف، وإلا سوف تحدث مصيبة عاجلاً أم آجلاً.»

قلت لها: «أعتقد أن المصيبة قد وقعت بالفعل؟» «إنني أعني العنف يا سيدي، هؤلاء الشباب تنتابهم المشاعر العنيفة وكذلك الرجال الكبار.»

سألتها: «هل هناك الكثير من هذه الرسائل وصلت إلى الناس في هذه البلدة؟»

أومأت السيدة بيكر بالإيجاب، وقالت: «إن الأمر يزداد سوءاً على سوء يا سيدي. فمثلاً، السيد بيدل وزوجته، اللذان كانا يعيشان في سعادة وهناء في منطقة بلوبور والآن بعد أن تلقى السيد بيدل هذه الرسائل بدأ يفكر في أمور سيئة يا سيدي.»

ملت بجسدي للأمام وقلت لها: «سيدة بيكر هل لديك أية فكرة عن هوية كاتب هذه الرسائل المجهولة؟»

ولدهشتي الشديدة كالت برأسها للأمام. قالت: «كلنا لديه فكرة يا سيدي، كلنا يعرف بالضبط من يفعل هذا، من هو ذلك الأثم؟»

فكرت أنها تتردد في ذكر اسم معين، ولكنها أجابت بصراحة: «إنها السيدة كليت هذا هو ما نحن جميعاً متأكدون منه إنها كليت ولا شك.»

لقد سمعت الكثير من الأسماء الغريبة هذا الصباح.

ولقد اكتشفت أن السيدة كليت زوجة لرجل كهل يعمل بستانياً. وكانت تعيش في كوخ على طريق الطاحونة. إلا أنني لم أجد أي إجابات مرضية عنها. ولما سألتها لماذا تقدم السيدة كليت على فعل هذا أجبتني قائلة: «لأن هذا هو من صفاتها الشخصية.»

وفي النهاية تركتها تذهب بعد أن كررت لها نصيحتي بالذهاب للشرطة، والتي كنت متأكداً من أنها لن تأخذ بها. ولقد تركتني وأنا أشعر بأنني خذلتها بشكل ما. وفكرت ملياً فيما قالته. فرغم غموض هذا الدليل الذي ساقته السيدة بيكر، أحسست بقبول فكرة أنه إذا ما اتفقت القرية كلها على أن السيدة كليت هي كاتبة هذه الخطابات فلا بد أنهم محقون: وقررت أن أستشير جريفيث في هذا الأمر. فلا بد أنه يعرف هذه المرأة المدعوة كليت، وإذا قبل نصيحتي فسأستطيع أنا أو هو أن نخبر الشرطة بأن هذه المرأة هي سبب كل الإزعاج الذي نشعر به.

وذهبت إلى جريفيث في الوقت الذي افترضت فيه أنه سيكون قد انتهى من عملياته الجراحية. وعندما خرج المريض الأخير من عنده، دلفت على غرفة الجراحة.

«مرحباً، أهذا أنت يا بيرتون؟»

«نعم، أريد أن أتحدث إليك.»

لخصت له محادثتي مع السيدة بيكر إلى أن انتهيت إلى اتهامها للسيدة كليت بأنها السبب في هذا الأمر.

«لأنني أصبت بالإحباط عندما هز جريفيث رأسه قائلاً: «ليس الأمر بهذه البساطة.»

«ألا تظن أن تلك المرأة المدعوة كليت هي السبب في هذا كله؟»

«ربما كانت بالفعل، ولكنني أستبعد هذا الاحتمال.»

«إذن لماذا يتهمها الجميع بهذا؟»

ابتسم قائلاً: «إنك لا تفهم. إن السيدة كليت تعتبر الساحرة الشريرة في القرية.»

صحت متعجباً: «يا إلهي الرحيم!»

«نعم، هذا الكلام يبدو غريباً في وقتنا هذا، إلا أن هذا هو الواقع بالفعل. هناك اعتقادات راسخة تقول أن هناك بعض الأشخاص الذين ليس من الحكمة أن تهينهم. إن السيدة كليت تنتمي إلى أسرة من ((النساء الحكيمات))، ولقد بذلت جهداً كبيراً كي تشر هذه الأسطورة وتنميتها. إنها امرأة شاذة الطباع وذات روح دعابة عالية. إنها قد لا تظهر أي قدر من التعاطف إذا ما حدث على سبيل المثال أن قطع طفل إصبعه أو سقط بشدة على الأرض أو أصيب بداء النكاف، فكل ما قد تفعله هو أن تهز رأسها قائلة: «هذا أفضل، فقد سرق تفاحاتي الأسبوع الماضي.» أو «لقد جذب ذيل قطتي.» ومع الوقت بدأت الأمهات تبعدن أطفالهن عنها، وبعضهن بدأن في إهدائها العسل والكعك حتى يأمن ألا تتمنى المرض لأطفالهن. إنه لأمر خرافي وسخيف ولكنه حقيقي. ولذا فمن الطبيعي أن يعتقد أنها سبب كل هذا.»

«ولكن أليست هي كذلك؟»

«كلا إنها ليست من هذا النوع... ليس الأمر بهذه البساطة.»

نظرت له بفضول وقلت له: «أليس لديك أية فكرة؟»

أخذ يهر رأسه ولكن عيناه كانتا شاردتين وقال: «كلا ليس لدي أي فكرة، ولكن هذا الأمر لا يروقني يا بيرتون هناك سوء كبير سوف ينجم عن هذا الأمر.»

- ٢ -

عندما عدت إلى المنزل وجدت ميجان جالسة على درجات الشرفة، وكانت تسند ذقنها إلى ركبتها.

حيثني بدون حرارة كالمعتاد قائلة: «مرحباً، هل تعتقد أنه يمكنني أن آتي إلى مأدبة الغداء؟».

قلت لها: «بكل تأكيد».

«إذا كان الغداء هو أضلاع اللحم أو أي شيء معقد آخر ولن يكفي، فقط أخبرني.»، صاحت ميجان بهذا بينما كنت ذاهباً لأخبر بارتريدج بأن ثلاثة أشخاص سيكونون على الغداء اليوم.

واندهشت عندما رأيت ردة فعل بارتريدج. لقد أبدت لي دون أن تتبس ببنت شفة أنها لا تبالي على الإطلاق بالانسة ميجان.

وعدت إلى الشرفة مرة أخرى.

سألتي ميجان بقلق: «هل كل شيء على ما يرام؟».

قلت لها: «نعم، كل شيء على ما يرام، سيكون غداؤنا اليخنة الأيرلندية».

«حسناً إنها لا تختلف كثيراً عن غداء الكلاب، أليس كذلك؟ أعني أنها لا تزيد

على البطاطس والدقيق.»

قلت لها: «نعم، بالضبط.»

أخرجت علبة سجائري، ومددت يدي بها إلى ميجان إلا أن الحمرة كست

وجهها وقالت: «لكم كان هذا لطيفاً منك.»

«ألن تأخذي واحدة؟»

«كلا، لا أدخن، ولكنني أراه تصرفاً غاية في اللطف أن أتعرض على هذا -

تماماً كما لو أنني كنت شخصاً حقيقياً.»

قلت لها بتعجب: «ألست شخصاً حقيقياً؟»

هزت رأسها وحاولت تغيير الموضوع بأن مدت ساقها الطويلة التي يغطيها

التراب أمام ناظري وقالت بفخر: «لقد قمت برتق جواربي.»

أنا لا أعلم الكثير عن رتق الجوارب، إلا أنني حدثت نفسي أن حياكة بعض قطع الصوف المفتوحة ليس بإنجاز يستحق المرء أن يفخر به.
 قالت ميجان: «ولكنني أشعر بأن جواربي كانت مريحة أكثر عندما كانت مثقوبة.»
 قلت لها: نعم هذا ما يبدو.

«هل أختك بارعة في رتق الجوارب؟»
 حاولت أن أتذكر إذا ما كانت جوانا لها أي خبرة في مجال الاعمال اليدوية من هذا النوع.

واضطرتت إلى أن أقرب لها قائلًا: «لا أدري!»
 «ولكن ماذا تفعل إذا ثقب أحد جواربها؟»

قلت متردداً: «أعتقد أنها تتخلص منه وتبتاع زوجاً جديداً.»
 قالت ميجان: «هذا شيء جميل، ولكن لا يمكنني أن أفعل هذا. فإن كل مصروف جيبني الذي أحصل عليه لا يتعدى الأربعين جنيتها سنوياً. وهو مبلغ لا يستطيع المرء أن يفعل به الكثير.»

وافقتها على ذلك. فقالت بحزن: «لو أنني أمتلك جوارب سوداء، لكان بإمكانني أن أطلي قدمي باللون الأسود لكي لا تظهر الثقوب. وهذا هو ما كنت أفعله أيام المدرسة. فقد كانت الانسة باتورثي ناظرة المدرسة، والتي كانت تولي اهتمامها لمظهرنا العام، كانت تماماً مثل اسمها كالخفاش الأعمى. وكنا نستغل هذا بشكل كبير.»

قلت لها: «لابد أنها كانت كذلك بالفعل.»
 ران علينا الصمت كنت أدخن غليونني. لقد كان صمتاً مطبقاً. ولكن سرعان ما كسرت ميجان حاجز الصمت هذا قائلة فجأة وبحدة: «لابد أنك تعتقدي إنسانة فظيعة كما يعتقدي الآخرون.»

أجفلت بشدة، لدرجة أن غليونني سقط من فمي، لقد كان مصنوعاً من الميرشوم وكانت ألوانه جميلة. فقلت لميجان وأنا غاضب: «انظري ماذا فعلت.»
 إلا أنها تصرفت تماماً كالاطفال الذين لا يمكن التنبؤ بردود أفعالهم وقالت

وهي تبتسم: «إنك تروق لي بالفعل.»

كانت عبارتها تلك عبارة في غاية الدفء، عبارة قد يقولها كلبك إذا استطاع التحدث. لقد خطر لي أن ميغان ما هي إلا مجرد جواد يتخذ وضعية كلب. إنها لم تكن بشرية كاملة بكل تأكيد.

سألتها وأنا أجمع شظايا غليونني المكسور بحذر: «ماذا كنت تقولين قبل أن يسقط غليونني؟»

قالت: «لقد قلت أنك ربما تعتبرني إنسانة فظيعة.» «إلا أنها لم تنطق هذه العبارة بنفس اللهجة التي قالتها بها المرة السابقة. ولماذا قد اعتقد هذا؟»

قالت ميغان بكآبة: «لأنني كذلك بالفعل.»

قلت: «لا تكوني حمقاء.»

هزت ميغان رأسها وقالت: «إن هذا هو الواقع، أنا لست حمقاء، إن الناس يعتقدون هذا، وهم لا يعلمون أنني أعلم حقيقتهم، وأنني أكرههم.» «تكرهينهم؟»

قالت ميغان: «نعم أكرههم.»

نظرت بعينيهما الكئيبتين اللتين لا يمتان بصلة إلى مظهرها الطفولي إلى عيني مباشرة، دون أن ترمش ولو لمرة واحدة. لقد كانت نظرة طويلة كئيبة. وقالت: «لقد كنت لتكره الناس لو كنت مكاني، إذا كنت منبوذاً.»

قلت لها: «ألا تظنين أنك تبالغين في هذا الأمر قليلاً؟»

قالت ميغان: «نعم، هذا ما يقوله الناس دائماً عندما تخبرهم بالحقيقة. وهذه هي الحقيقة. إنني غير مرغوب في ولا أدري لماذا! لعلي أذكرها بأبي والذي كان قاسياً جداً عليها، وكان في غاية الفظاظة كما سمعت. إلا أن الأمهات لا يمكنهن أن يصرحن بأنهن يكرهن أطفالهن، أو أن يتخلصن منهن. إن القطط تاكل ما لا يروقها من صفارها، إن هذا أمر عقلاني، ولكن بشكل فظيع، فهو يسبب فوضى أو أذى. ولكن الأمهات من البشر لا يمكنهن ذلك، فعليهن أن

يحفظن صفارهن وأن يعتنين بهم. ولكن الحقيقة أن أمي لا تريد سوى أن تعيش بمفردها هي وزوجها والأولاد..»
 قلت لها بتمهل: «ما زلت أراك تهولين في الأمر يا ميجان، ولكن إذا ما كان كلامك صحيحاً، فلماذا لا تغادري هذا المنزل وتستلقي حياتك؟»
 ابتسمت ابتسامة طفولية وقالت: «أتعني أن أحصل على عمل، وأكسب قوتي بنفسى؟»

«نعم.»

«وأي عمل هذا؟»

«أعتقد أنك يمكنك أن تتدربي على عمل ما، كان تكوني كاتبة اختزال مثلاً، أو تكوني مسنولة حسابات..»
 «لا أعتقد أنه بإمكانى فعل هذا. فأنا خرقاء للغاية في هذه الأمور. وبالإضافة إلى هذا»

«ماذا هناك؟»

أشاحت بوجهها عني، ثم ادارته ببطء ناحيتي من جديد. وكان وجهها مربداً، وترقرقت بعض الدموع في عينيها. وأخذت تتحدث وفي صوتها نبرة طفولية للغاية وقالت: «لماذا يجب علي أن أرحل؟ وأن أجبر على الرحيل؟ إنهم لا يريدونني ولكنني سأبقى. سأبقى وأسبب لهم التعاسة. سوف أجعلهم يشعرون بالضيق والتعاسة. يا لهم من خنازير حقودة! إنني أكره كل من في لايمستوك. إنهم جميعاً يرونني حمقاء وقبيحة. لسوف أريهم. لسوف أريهم. لسوف»
 لقد كانت ثورة غضبها طفولية مثيرة للشفقة بشكل غريب. سمعت وقع أقدام على الأرضة المفروشة بالحصى التي تحيط بالمنزل، فقلت لها بغلظة: «انهضي وذهبي إلى الطابق الأول، حيث الحمام في نهاية الممر كي تفلسي وجهك، هيا أسرعى.»

قفزت ونظرت إلي بحرج وارتباك، واندفعت نحو النافذة عندما ظهرت جوانا بجواري وقالت: «يا إلهي، إنني أشعر بالحر الشديد، إنني أمقت هذه الاحذية

الاييرلندية اللعينة. لقد مشيت بها لأميال، إن المرء لا يجدر به أن يجعل هذه الأحذية تشقب، فالحصى بنفذ من خلالها إلى القدم، وأعتقد يا جيري أننا نحتاج لأن نقطني كلباً.»

قلت لها: «وأنا كذلك أعتقد هذا. بالمناسبة، إن ميجان ستتناول الغداء معنا اليوم.» «حقاً، عظيم!»

سألتها: «هل تروق لك؟»

قالت جوانا: «أعتقد أنها طفلة، طفلة كالتي في تلك الخرافة تقول، إن الجنيات يستبدلن بعض الأطفال بأطفال آخرين، إنه من الممتع أن يلتقي المرء بإحدى الأطفال الآخرين. إيه علي أن أذهب وأغتسل.»

قلت لها: «ليس الآن؛ فميجان تغتسل الآن في الحمام.»

«لقد تلطخت قدمها بالوحل مرة أخرى، أليس كذلك؟»

ثم أخرجت جوانا مرآتها وأخذت تنظر إلى وجهها باهتمام وقالت: «لا أعتقد أنني أحب أحمر الشفاة هذا.»

وهنا دلفت ميجان من الباب، وكانت مهندمة الثياب ونظيفة، ولم تبد عليها أي من آثار ثورتها السابقة. وأخذت تنظر إلى جوانا بريية.

قالت لها جوانا وهي لا تزال منشغلة بالنظر إلى وجهها: «مرحباً، لقد سعدت تماماً عندما صنعت أنك ستتناولين طعام الغداء معنا اليوم. يا إلهي! إن هناك نمشاً على أنفي، لابد أن أفعل شيئاً حيال ذلك. إن النمش هو شيء خطير. ذو طابع اسكوتلاندي.»

وهنا أنت بارتريدج وأخبرتنا أن الطعام قد أُعد.

قالت جوانا: «هيا، إنني أتضور جوعاً.»

وتأبطت ذراع ميجان ورافقتها إلى المنزل.

الفصل الخامس

١

أعلم أن هناك شيئا مفقودا في قصتي هذه. فحتى الآن لم أذكر شيئا عن السيدة دين كالثروب، وكذلك عن رجل الدين كاليب دين كالثروب.



والشيء الغريب أن رجل الدين هذا وزوجته كانا ذوي شخصيتين مختلفتين تماما. كان دين كالثروب أكثر من رأيتهم زهدا في الحياة الدنيوية على الإطلاق. وكانت حياته كلها تدور في نطاق كتبه ودراسته وعلمه الغزير بالتاريخ الديني. ولكن على النقيض من هذا، كانت زوجته إنسانة اجتماعية بشكل مبالغ فيه. إنني ربما أغفلت ذكرها لأنني كنت أخشاها بعض الشيء. لقد كانت امرأة ذات شخصية متميزة، وذات علم غزير. لم تبد لي مناسبة لأن تكون زوجة لرجل الدين - ولكنني عندما فكرت في الأمر قليلا، سألت نفسي ما الذي أعرفه أنا عن زوجات رجال الدين؟ فالإنسانة الوحيدة التي كنت أعرفها وكانت لزوج رجل الدين، كانت السيدة عادية لا يميزها شيء، وكانت في غاية الإخلاص لزوجها الذي كان ضخّم الحجم قوي الشكيمة، له طريقة ساحرة في اجتذاب الآخرين إليه.

وقد كانت متشددة الفكر بحيث لا يمكن للمرء أن يكمل محادثة معها. وغير هذا منت أستمد رؤيتي لزوجات رجال الدين من تلك الصورة الهزلية التي كانت تصورهن نسوة فضوليات يدسسن أنوفهن في كل شيء، ويتلفظن بالتفاهات. إلا أنني أشك أن هذه الصورة حقيقية.

فالسيدة دين كالثروب لم تدس أنفها يوما في أي شيء، إلا أنه كانت لديها قدرة فير قابلة للتفسير على الإحاطة بكل الأمور علما، وسرعان ما اكتشفت أن كل من في القرية يخشونها. مع إنها لم تكن تتدخل فيما لا يعينها ولم تكن كذلك تسدي النصح لأي كائن من كان، ومع ذلك كانت بالنسبة لهؤلاء الذين

يخشونها سيفاً مسلطاً على رقابهم.

لم أر في حياتي امرأة لا تبالي بالطبيعة حولها مثل هذه المرأة. في الأيام التي يكون الطقس فيها حاراً، كانت ترتدي تنورة من الصوف، أما في الأيام التي تهطل فيها الأمطار كنت أراها تسير شاردة الذهن وهي ترتدي ثوباً قطنياً أو قميصاً خفيفاً زاهي الألوان. لقد كان لها وجه نحيف يشبه وجوه كلاب الجري هاوند وكان لها أسلوب في الكلام مبالغاً في الصراحة.

في ذلك اليوم الذي أتت فيه ميجان لتناول الغداء معنا، قابلتني السيدة دين كالثروب في الشارع الرئيسي وأوقفتني لتتحدث معي، ولقد شعرت بالدهشة كالعادة لأن طريقة مشي السيدة دين كالثروب كانت أقرب إلى الركض منها إلى السير، وكانت دائماً ما تثبت عينيها على الأفق البعيد فتشعر وكأنها تسعى لهدف على بعد الميل ونصف الميل.

قالت: «أوه، سيد بيرتون!»

قالتها بانتصار وكأنما نجحت في حل أحجية عويصة، قلت لها إنني بالفعل السيد بيرتون، فتوقفت السيدة دين كالثروب وهي تنظر إلى الأفق البعيد، وكانت تتظاهر بأنها تنظر إلى.

«والآن ما الذي كنت أريدك بشأنه؟»

لم يكن باستطاعتي مساعدتها، فوقفت وهي متجهمة ومرتبكة للغاية. قالت: «إنه لشيء بغيض».

قلت لها وأنا مذهول: «إنني أسف لهذا».

صاحت السيدة دين كالثروب: «أه، إنني أرى هذه القصة شيئاً بغيضاً، ما هذه القصة التي أحضرتها إلى البلدة، أعني قصة الخطابات هذه؟ تلك الخطابات مجهولة الهوية؟»

قلت لها: «لم أحضرها، لقد كانت موجودة قبل حضوري».

قالت لي وفي صوتها نبرة اتهام: «لم يتلق أي أحد خطاباً قبل حضورك».

قلت لها: «بلى، لقد كان بالفعل هناك من تلقى مثل هذه الخطابات يا سيدة دين كالثروب، لقد كانت المشكلة موجودة منذ فترة».

قالت السيدة دين كالثروب: «يا إلهي، إن هذا لا يروق لي..» وظلت واقفة تشخص بنظرها ثم قالت: «لا أستطيع إلا أن أشعر بأن هذا الأمر كله سيء.. إننا لسنا معتادين على هذا، لسنا معتادين على الاحقاد والضغائن، وكل أنواع الخطايا الصغيرة تلك. ولكنني لا أستطيع أن أفكر في شخص ما يمكنه أن يأتي بمثل هذا العمل كلا، لا أستطيع. وهذا ما يزعجني ويسبب لي الضيق، لأنني كما تعلم ينبغي لي أن أعرف..»

وهنا تحولت عينها عن الأفق البعيد وتركزت على عيني وكانت هاتين العينين قلقتين قلقاً طفولياً.

«إنني دائماً ما أعرف، فلطالما ظننت أن هذه هي مهمتي في الحياة، إن كاليب بارع في إلقاء المواعظ وإسداء النصح وهذا هو دور رجل الدين، ولكن إذا ما كان هناك شيء يسمى الزواج من رجل دين فستكون مهمة الزوجة هي أن تعرف ما يفكر به الناس حتى وإن كانت لا تستطيع فعل شيء إزاء هذا الأمر، ولكنني لا توجد لدي أدنى فكرة عما يكون قد...»

قطعت حديثها لفترة ثم قالت: «هناك بعض الخطابات السخيفة الأخرى..»

«هل تلقيت أي رسائل من هذا النوع؟»

كنت أشعر ببعض الحرج عندما سألتها هذا السؤال، إلا أنها أجابت بكل تلقائية وعيناها متسعتان: «نعم، إثنان منها، بل ثلاث، لكنني نسيت ما كان مكتوباً فيها بالضبط. ولكنه شيء سخييف عن علاقة كاليب بإحدى المدرسات، كما أذكر أنه شيء في غاية العبث، لكن كاليب هو أزهد الناس في النساء، ولم يكن يوماً لديه الرغبة فيهن. من حسن حظي أن أصبح رجل دين..»

قلت لها: «هذا صحيح تماماً.»

قالت: «لقد كان كاليب غارقاً دائماً في طلب العلم..»

لم أجد في نفسي الصلاحية لكي أرد على هذا النقد، وعلى أي حال مضت السيدة كالثروب في التحدث تارة عن زوجها، وتارة أخرى عن تلك الخطابات، حتى أنها أصابتني بالارتباك.

«الغريب في الأمر هو أن هناك العديد من الأمور التي يمكن أن تفصح عنها

هذه الرسائل، إلا أنها لا تفعل هذا، وهذا هو الأمر المحير..
قلت لها بضيق: «لا اعتقد أن هذه الرسائل تركت حداً للتهذيب والأخلاق ولم تتجاوزهُ».
قالت: «ولكن كتاب هذه الرسائل يبدو أنهم لا يعرفون شيئاً. إن أي شيء
يذكرونه لا يمت للحقيقة بصلة على الإطلاق».
«ماذا تعنين؟»

ومن جديد تلاقت عيناها الغامضتين بعيني وقالت: «إن هذه البلدة متخمة
بالفساد الخلقي، وكل شيء آخر، كل الأسرار تتواجد في هذه البلدة. لماذا لا
يكتب مرسل هذه الخطابات عنها؟»

توقفت للحظة عن الحديث ثم سألتني: «ماذا كان فحوى رسالتك؟»
«لقد زعموا بأن أختي ليست أختي في الحقيقة».

سألتني السيدة دين كالثروب دون أدنى حرج: «وهل هي أختك بالفعل؟»
«بالتأكيد جوانا هي أختي».

أومات السيدة دين كالثروب برأسها وقالت: «هذا هو ما أعنيه، وإنني لاجرؤ
على القول بأن هناك أموراً أخرى أيضاً»

ثم أخذت تحقق إلي بعينيها الضافيتين الشاردتين، وفجأة أحسست بأنني
أفهم لماذا يخشى كل سكان لايمستوك السيدة دين كالثروب.
في حياة كل منا مواقف وأشياء خفية نريد ألا يكتشفها أحد. ولقد شعرت
بأن السيدة دين كالثروب تعلم هذه الأشياء الخفية.

وللمرة الأولى في حياتي شعرت بالسرور عندما سمعت صوت إيمي جريفيث
يشق السكون قائلاً: «مرحباً يا مود، إنني سعيدة لأنني قابلتك. كنت أريد أن
أقترح عليك تأخير موعد المزداد، صباح الخير يا سيد بيرتون».

ثم أكملت قائلة: «علي أن أذهب إلى محل البقال وأوصيهم بإعداد طلب لي،
ثم سأذهب إلى المعهد مباشرة، إذا كان هذا يناسبك».

قالت السيدة دين كالثروب: «حسناً، حسناً، هذا يناسبني تماماً».

ودفعت إيمي جريفيث إلى محلات ((إنترناشونال ستورز)).

قالت السيدة دين كالثروب: «يا لها من مسكينة».

أصابتنى دهشة عظيمة، إذ لم أكن أعرف لماذا تشفق هي على إيمي جريفيث.
إلا أنها تابعت قائلة: «كما تعلم يا سيد بيرتون أنني أخشى أن»
«هل تعنين هذه الخطابات؟»

«نعم، كما ترى، إنها تعني لابد أنها تعني»
صمتت في حيرة لبعض الوقت وزاغت عيناها، ثم قالت بلهجة من حل لغزاً:
«الكراهية العمياء... نعم الكراهية العمياء. ولكن حتى الرجل الأعمى قد يطعن
في القلب عن طريق الصدفة البحتة... وماذا سيحدث بعد يا سيد بيرتون؟»
ولقد كان لنا أن نعلم هذا قبل انقضاء يوم آخر.

- ٢ -

لقد كانت بارتريدج هي من حملت لنا خبر الكارثة. وبارتريدج تحب الكوارث.
ودائماً ما كان أنفها يختلج في نشوة عندما تكون حاملة لاية أخبار سيئة.
فقد دخلت غرفة جوانا وأنفها أخذ في الاختلاج، وعيناها تلمعان، وشفتاها
ممطوطتان تتصنعان الحزن. قالت وهي تزيح ستائر الغرفة: «هناك أخبار
مفرزة هذا الصباح يا أنستي.»

وكانت جوانا تمتلك تلك العادة في أن تستغرق دقيقة أو دقيقتين لكي
تستعيد وعيها بعد أن تستيقظ في الصباح. ولهذا فكل ما قالت هو: «أوه. ثم
تقلبت في فراشها دون أدنى اهتمام.

وضعت بارتريدج قذح شاي الصباح بجوارها، ثم بدأت تتحدث من جديد
قائلة: «أخبار رهيبة، صدمة لم أستطع أن أصدقها حين سمعتها في البداية.»
قال جوانا وهي تجاهد لتستعيد وعيها: «أية أخبار مفرزة تلك؟»

قالت بارتريدج: «السيدة سيمينجتون المسكينة.»

ثم صمتت للحظة بشكل درامي ثم أردفت: «ماتت.»

ثم انتفضت جوانا في فراشها قائلة: «ماتت؟»

«نعم يا أنسة جوانا، لقد حدث هذا البارحة بعد الظهر، وأسوأ ما في الأمر

أنها انتحرت.»

«يا إلهي! مستحيل يا بارتريدج.»

كانت جوانا مصدومة للغاية، فالسيدة سيمينجتون لم تكن من نوعية الفتيات التي تصيبهم المآسي.

«نعم يا أنسة، لقد تعمدت قتل نفسها. ولكن هذا لم يكن ليحدث لو لم يكن هناك ما يدفعها لاقتراف ذلك. يا لها من مسكينة..»

قالت جوانا: «يدفعها شيء ما؟»

فأومأت بارتريدج برأسها موافقة وقالت: «هذا صحيح يا أنستي، بسبب واحد من تلك الخطابات البغيضة..»

«وماذا جاء في هذا الخطاب؟»

ولكن هذا ما عجزت بارتريدج عن معرفته وهو الأمر الذي جعل بارتريدج في غاية الأسف.

قالت جوانا: «إنها تصرفات دينية، ولكن مع هذا لا أفهم ما الذي في هذه الخطابات يمكنه أن يجعل المرء يقتل نفسه؟»

أخذت بارتريدج نفساً عميقاً ثم قالت: «قد تفعل فقط إذا ما كانت حقيقية..»

قالت جوانا: «يا إلهي..»

تناولت جوانا قذح الشاي بعد أن غادرت بارتريدج الغرفة ثم ارتدت معطفها وأتت إلي لكي تبلغني هذه الأخبار.

أخذت أتفكر فيما قاله أوين جريفيث. لقد قال إن عاجلاً أو آجلاً ستنتقل الرصاصة ولا ندري من ستصيب. ويبدو أنها أصابت السيدة سيمينجتون. إنها لم تكن تبدو من طراز هؤلاء النساء اللاتي يحملن أسراراً خفية في ماضيهم... لقد كان إحساسي صحيحاً، لقد كنت أرى وراء شراستها الشديدة تلك امرأة هشة ضعيفة. لقد كانت من طراز النسوة الضعيفات اللاتي يعتمدن على الآخرين واللاتي ينهرن بسهولة. وكزنتي جوانا بذراعها وسألتنني عما أظنه بشأن هذا الأمر.

فكررت لها ما قاله أوين جريفيث، فقالت: «بالطبع، لابد أنه يعرف كل شيء على الموضوع. فهذا الرجل يعرف كل شيء..»

قلت: «إنه بارع..»

قالت جوانا: «بل هو متفطرس، متفطرس للغاية..»

ثم صمتت لدقيقة أو اثنتين وقالت: «يا له من أمر فظيع لزوجها ولابتها. ترى ما هو شعور ميجان الآن؟»

لم يكن لدي أدنى فكرة، وأعلنت لها ذلك بصراحة، لقد كان من العجيب أنه لا يستطيع أحد أن يخمن ما تشعر به ميجان الآن أو بماذا تفكر.

أومأت جوانا برأسها قائلة: «لا يستطيع أحد أن يعرف ماذا يدور بخلد تلك الطفلة ربيبة الجنيات.»

ثم صمتت للحظة وقالت: «هل تعتقد إذا ما كنت توافق على هذا أنها قد تحب أن تأتي وتمكث معنا ليوم أو يومين؟ لقد تلقت هذه الفتاة صدمة شديدة.»

قلت لها موافقاً: «يمكننا أن نقترح عليها هذا.»

قالت جوانا: «أعتقد أن الأولاد سيكونون بخير، فليدهم مربية الأطفال تلك. ولكن أعتقد أن تلك المرأة يمكنها أن تقود ميجان إلى الجنون.»

فكرت أن هذا محتمل للغاية، فقد كان يمكنني أن أتخيل تلك المرأة وهي تستمر بالتفوه بتلك التفاهات، ولا تنفك تعرض عليها احتساء المزيد من أقذاح الشاي. إنها مخلوقة طيبة السريرة ولكنني لا أظنها مناسبة لإنسانة حساسة كميجان.

لقد كنت أفكر بالفعل بأن تبتعد ميجان عن منزلها في هذه الفترة العصيبة. ولقد سعدت عندما علمت أن جوانا تفكر في نفس الشيء بشكل عفوي دون إيعاز مني. وبعدها انتهينا من تناول الإفطار ذهبنا إلى بيت آل سيمينجتون.

وكن منزعجين بعض الشيء، فقد كان قدومنا يبدو تطفلاً شديداً. ولكن لحسن الحظ قابلنا أوين جريفيث وهو خارج من بوابة القصر. وقد بدا قلقاً ومنشغلاً.

إلا أنه حياني بشيء من الحرارة وقال: «مرحباً يا بيرتون، إنني مسرور لرؤيتك. إن ما كنت أخشى أن يقع عاجلاً أو أجلاً قد وقع بالفعل. إنه لأمر لعين.»

قالت جوانا بصوت لا تستخدمه إلا عندما تتحدث مع إحدى عماتنا الصم: «صباح الخير دكتور جريفيث.»

فوجئ جريفيث وكست وجهه الحمرة وقال: «أو صباح الخير يا أنسة بيرتون.»

قالت جوانا: «لقد ظننت أنك ربما لم تلاحظ وجودي.»

ازداد وجه جريفيث احمراراً، وكاد يذوب خجلاً. قال: «إنني في غاية الأسف،

لقد كنت منشغلاً بأمر ما، فلم أنتبه..»

إلا أن جوانا تابعت كلامها دون رحمة وشفقة: «مع أنني في ذات حجم البشر
الأسوياء ويمكن لأي أحد أن ينتبه لوجودي..»

انتحيت بها جانباً وقلت لها: «على رسلك أينها الشرسة..»

تابعت حديثي مع جريفيث قائلاً: «لقد كنت وأختي نتساءل يا جريفيث إذا ما
كانت فكرة جيدة أن تمكث الفتاة معنا ليوم أو يومين. ما رأيك؟ إنني لا أريد أن
أدس أنفي في الموضوع ولكن لا بد أن الموقف عصب لل غاية على تلك الطفلة
المسكينة، فماذا تظن رأي سيمينجتون في الأمر؟»

أخذ جريفيث يقلب الفكرة في رأسه لدقيقة أو اثنتين، ثم قال في النهاية:
«أعتقد أن هذه الفكرة ممتازة، فهي فتاة عصبية، متقلبة المزاج، وسوف
يكون من مصلحتنا أن تبتعد تماماً عن هذا الأمر. صحيح أن الأنسة هولاند
تفعل العجائب مع الأولاد والسيد سيمينجتون نفسه، ولكن هذا يكفيننا. فالسيد
سيمنجتون مفطور القلب مشئت التفكير..»

سألته بتردد: «هل كانت المسألة انتحاراً؟»

أوما جريفيث برأسه قائلاً: «نعم بالفعل، لا يوجد احتمال في أن يكون الأمر
حادثة. لقد كتبت رسالة قبل أن تموت قالت فيها: «لا يمكنني أن أستمر. «لا بد أن
البريد وصل في الظهيرة بالبارحة. لقد كان المظروف على الأرض بالقرب من
مقعدها بينما كان الخطاب نفسه مكوراً ومرمياً في المدفأة.»

«ماذا كان»

ثم توقفت عن الكلام وأنا منزعج من نفسي.

ثم اعتذرت قائلاً: «أستميحك عذراً.»

ابتسم جريفيث ابتسامة خاطفة وحرينة وقال: «لا تخجل من سؤالك، لا بد
وأن يقرأ الخطاب في أثناء سير التحقيقات. إن هذا الأمر حتمي مع أنه فطيع.
لقد كانت واحدة من تلك الرسائل التي تعرفها بذات الأسلوب البذيء. ولقد كان
الاتهام هذه المرة بأن الصبي الأصغر كولین ليس من صلب سيمينجتون.»

سألته وأنا أكاد لا أصدق: «وهل تظن هذا صحيحاً؟»

هرز جريفيث كتفيه وقال: «لا أستطيع أن أقطع برأي في هذا الأمر. إنني أعيش في هذه البلدة منذ خمس سنوات فقط، ولم أعرف عن الزوجين سيمنجتون سوى أنهما زوجين سعيدين في حياتهما الزوجية ومخلصان لعلاقتهما ولأطفالهما. صحيح أن ذلك الولد لا يشبه والديه تماماً فهو ذو شعر أحمر لامع لكن الأطفال غالباً ما يشبهون أجدادهم وجداتهم.»

«لعل عدم التشابه هذا قد يكون هو ما أدى إلى هذه الشائعات، إنه اتهام شرير ولا يستند إلى دليل.»

«إنه من المحتمل جداً لأن أصحاب هذه الأقلام المسمومة لا يكونون ذوي معرفة كبيرة بهؤلاء الناس، لأنهم يتحركون بدافع حقد أعمى.»

قال جوانا: «ولكن يبدو أن هذا الاتهام قد نكأ جرحاً غائراً، وإلا لم تكن لتقتل نفسها، أليس كذلك؟»

قال جريفيث في تشكك: «أشك في هذا، لقد كانت السيدة سيمنجتون تعاني من بعض المتاعب الصحية لبعض الوقت، ولقد كانت تمر بنوبات عصبية وهستيرية، لقد كنت أعالجها من حالتها العصبية المضطربة تلك. من المحتمل أن الصدمة التي نتجت عن تلقيها هذه الرسالة قد وضعتها في تلك الحالة مرة أخرى، وأصابها بنوبة فرح دفعها للانتحار، ولعلها خشيت ألا يصدقها زوجها إذا ما أنكرت هذه القصة، أو لعله اعتراها شعور بالخزي والاشمئزاز مما جعلها تتخذ هذا القرار غير المتزن.»

قالت جوانا: «إذن فهو انتحار ناتج عن حالة عقلية مضطربة؟»

قال جريفيث: «بالضبط، وأعتقد أنه سيقابل ذلك بتفهم كبير أثناء التحقيقات.»

قالت جوانا: «هذا صحيح.»

كان هناك شيء في نبرة صوتها جعل جريفيث يقول بصوت غاضب: «نعم سوف تلقى تفهماً، ألا تتفقين معي يا أنسة بيرتون.»

قالت جوانا: «بل أتفق معك تماماً، وكنت لأفعل نفس الشيء لو كنت مكانك.»

نظر لها أوين بشك، ثم سار مبتعداً عنا، ودلفت أنا وجوانا إلى داخل المنزل. كان باب المنزل مفتوحاً، ولقد رأينا أن ندخل مباشرة بدلاً من قرع الجرس،

خاصة وقد سمعنا صوت إلسي هولاند يدوي من داخل المنزل. كانت تخاطب السيد سيمينجتون الذي كان يجلس على أحد المقاعد، وكان في حالة إعياء شديدة. قالت له: «إنك لم تتناول طعام الإفطار، وكذلك لم تأكل شيئاً من الليلة الماضية، ناهيك عن الصدمة التي تلقيتها. إنك بهذا الشكل سوف تضر صحتك، وأنت في هذه المرحلة تحتاج لكل قواك. هذا ما قاله الطبيب قبل أن ينصرف..» قال سيمينجتون بصوت لا حياة فيه: «إنك عطوفة للغاية يا أنسة هولاند، لكن» قالت الأنسة هولاند: «إليك قذح الشاي هذا. «قالتها وهي تدفع إليه القذح بحزم. كنت أفضل شخصياً أن تعطينه بعض الصودا أو العصائر. فقد بدا بحاجة إليها بالفعل، إلا أنه تناول منها الشاي وقال وهو ينظر إليها: «لا أستطيع شكرك بما يكفي يا أنسة هولاند، إنك إنسانة رائعة.»

فاحمر وجه الفتاة خجلاً وبدت مسرورة لهذا الإطراء. ثم قالت: «ولطيف منك أن تقول هذا يا سيد سيمينجتون، ولكن عليك أن تدعني أفعل ما بوسعي لأساعدك. ولا تقلق بشأن الأولاد إنني سوف أعتني بهم، ولقد استطعت أن أسيطر على الخدم وأهدأ من روعهم، وإذا كان بإمكانني أن أفعل أي شيء يمكنني فعله كأن أكتب خطاباً لأحد ما، أو أن أتصل بأحد ما، فرجاء لا تتردد في طلب ذلك مني.»

كرر السيد سيمينجتون: «إنك عطوفة للغاية.»

وبينما كانت إلسي هولاند تستدير لتمضي إلى شأنها، لمحتنا فهرعت إلينا في بهو المنزل، وقالت بصوت هامس: «أليس هذا أمراً فظيلاً؟»

وبينما كنت أنظر إليها: «خطر لي أنها فتاة لطيفة للغاية ؛ فهي عطوفة، وذات كفاءة، وعملية جداً في وقت الأزمات. كانت عيناها الواسعتان الزرقاوان تحيط بهما هالتان ورديتان مما يدل على أنها رقيقة القلب للغاية لكي تذرف الدمع لوفاة مستخدمتها.

قالت لها جوانا: «هل يمكننا أن نحدثك قليلاً، فنحن لا نريد أن نزعج السيد سيمينجتون..» أومأت إلسي هولاند برأسها وقادتنا نحو غرفة الطعام في الجانب الآخر من البهو، وقالت: «لقد كان أمراً فوق احتمال، يا لها من صدمة. من كان يظن أن شيئاً مثل هذا قد يحدث؟ ولكنني الآن أدرك بالطبع أنها أحياناً كانت غريبة

الاطوار. أحياناً كانت تنتابها نوبات عصبية، وكانت تبكي بشكل غريب. كنت أظن أنها مريضة، رغم أن الدكتور جريفيث كان يؤكد دائماً أنها سليمة ولا شيء بها. ولكنها كانت عدوانية وسريعة الغضب وأحياناً لم تكن نستطيع التعامل معها.» قالت جوانا: «لقد أتينا اليوم لكي نسال إذا كان من الممكن أن نصطحب ميجان لكي تمكث معنا لأيام قليلة إذا كانت هي تريد هذا.»

قالت في شيء من الدهشة: «ميجان؟ لا أدري. إن هذا لطف منكما، ولكنها فتاة غريبة الاطوار، ولا أحد يمكنه أن يعلم بماذا تفكر أو بماذا تشعر.»

قالت جوانا بغموض: «إننا نعتقد أننا بهذا نقدم بعض المساعدة.» «بالتأكيد، إنكما بهذا سوف تساعداني كثيراً. فإنني أعتني بالوالدين، فهما الآن مع الطاهية وكذلك السيد سيمينجتون المسكين إنه بالفعل بحاجة للرعاية كأي أحد آخر، وهناك العديد من الأشياء الأخرى علي القيام بها. وإنني بالقطع ليس لدي أي وقت لأعتني بميجان. أعتقد أنها في الطابق العلوي في غرفة الاطفال القديمة التي في أعلى المنزل. لا أدري إذا»

نظرت لي جوانا بسرعة، فهرعت إلى الغرفة في الطابق العلوي. كانت غرفة الاطفال القديمة في أعلى المنزل. فتحت الباب ودلفت، كانت الغرفة التي تحتها تطل على الحديقة ولم تكن ستائرهما قد أسدلت بعد. أما الغرفة التي كانت تطل على الطريق فقد كانت ستائرهما مسدلة.

رأيت ميجان من خلال ضوء الغرفة الخافت. كانت تجلس على أريكة في مقابل الجدار، وذكرى مشهدها هذا بالحيوانات المذعورة التي تختبئ من مفترسيها. لقد كانت في غاية الخوف. ناديتها قائلاً: «ميجان.»

تقدمت إليها ودون وعي مني اكتسب صوتي نبرة من يهدئ حيواناً مذعوراً. ولقد شعرت بأنني أمد لها يدي بجزرة أو بقطعة سكر. أخذت تحديق إلي دون أن تتحرك قيد أنملة، أو يتغير الترتيب الذي كان مرتسماً على وجهها. قلت لها مرة أخرى: «ميجان، لقد أتيت أنا وجوانا لنسالك إذا كنت تحبين أن تأتي معنا لتقضي معنا أياماً قليلة.»

قالت بصوت خاو من وراء الضوء الخافت: «أمكث معكما؟ في منزلكما؟»
«نعم.»

«أتعني أنكما سوف تأخذاني من هنا؟»

«نعم يا عزيزتي.»

فجأة بدأت ترتجف من رأسها حتى أخمص قدميها، لقد كانت ترتعب بقوة وبشكل مرعب.

«نعم، خذاني من هنا أرجوكم، إنه لشيء فظيع أن أبقى هنا وأشعر بأنني شريرة.»
تقدمت لها فأمسكت بكم معطفي وتشبثت به بقوة، واستطردت: «إنني جبانة وحقيرة، لم أكن أعرف أنني جبانة إلى هذا الحد.»
قلت لها: «لا عليك يا طفلي العزيزة. إن الأمور مختلطة بعض الشيء، هيا بنا.»

«هل يمكننا أن نذهب الآن؟ دون أن نمكث هنا لدقيقة؟»

«أعتقد أنك عليك أن تحضري بعض أغراضك.»

«أية أغراض؟ لماذا؟»

«يا طفلي العزيزة، إننا سنوفر لك فراشاً وحماماً وأشياء أخرى، ولكنني لا أستطيع أن أعيرك فرشاة أسناني مثلاً.»

ضحكت ضحكة خفيفة مرهقة وقالت: «فهمت، أعتقد أنني حمقاء بعض الشيء اليوم: لا تبال بي. سوف أذهب لكي أحزم بعض الأغراض. وأنت لن تذهب؟ سوف تنتظرنني؟»

«سوف أنتظرك على الباب.»

«أشكر. أشكر. أشكر شكراً جزيلاً، أنا أسفة للغاية. ولكنك تعرف أن الوضع يكون خطيراً عندما تموت أمك.»

قلت لها: «أنا أعرف.»

وربت علي كتفها بعطف، فنظرت لي بامتنان ثم توارت في غرفة النوم. وذهبت أنا نازلاً الدرج وقلت لإلسي هولاند: «لقد قابلت ميجان، وستأتي معنا.»

قالت إلسي هولاند: «هذا شيء طيب، إن هذا سوف ينسيها حزنها، إنها لفتاة

عصبية كما تعلم، إنها صعبة المراس. إنني سوف أرتاح جداً عندما أخرجها من دائرة الأشياء التي يجب أن أقلق بشأنها. وهذا لطف منك أنت أيضاً يا أنسة بيرتون. أرجو ألا تسبب لك إزعاجاً. يا إلهي، إن جرس الهاتف يدق، لابد أن أرد عليه. إن السيد سيمنجتون لا يستطيع أن يرد عليه.»

قالتها وأسرعت تغادر الغرفة، فقالت جوانا: «يا لها من ملاك متفان.»
قلت لها: «إنك تسخرين منها، مع أنها فتاة لطيفة و عطوفة، وتؤدي عملها بكفاءة إلى حد ما.»

«إلى حد ما، وهي تعرف هذا.»
قلت لها: «هذا لا يليق بك يا جوانا.»
«أعني لماذا لا تستطيع الفتاة أن تُعنى بنفسها.»
«فعلاً.»

قالت جوانا: «إنني لا أطيق هؤلاء الناس الذين يختالون بأنفسهم، فهذا يثير طباعي السيئة. كيف وجدت ميجان.»
«وجدتها في غرفة مظلمة جالسة على أريكة كظبي شارد.»
«يا للطفلة المسكينة، هل رحبت بالفكرة؟»
«لقد كانت تتوق لذلك بشدة.»

وسمعنا صوت ميجان، وهي تخرج حقيبته في طريقها إلينا، فذهبت إليها وأخذت منها الحقيبة. وقالت جوانا: «هيا، فلدي أقذاح شاي كثيرة علي أن أتناولها.»
ذهبنا إلى السيارة، وضايقني أنه تعين على جوانا أن تدخل الحقيبة بنفسها في السيارة. لقد كنت أستطيع في هذا الوقت أن أمشي بعكاز واحد، إلا أنني لم أكن أستطيع القيام بأي حركات رياضية.
قلت لميجان: «هيا ادخلي السيارة.»

استقللنا السيارة، فادارت جوانا المحرك، ومضينا في طريقنا. وصلنا إلى ليتل فيرز وجلسنا في غرفة الرسم.
تهاوت ميجان على مقعدها وانفجرت باكية. أخذت تنتحب بشكل طفولي غادرت الغرفة طلباً للراحة. وأعتقد أن جوانا وقفت هناك عاجزة عن فعل شيء.

ثم سمعت ميجان تقول بصوت مخنوق: «أنا أسفة لأنني أفعل هذا، هذا يبدو تصرفاً أحمق.»

قالت جوانا: «لا، لا عليك، إليك منديل آخر.»
أعتقد أنها قامت بالتصرف السليم. دلفت الغرفة وقدمت لميجان كوباً من العصير.
«ما هذا؟»

قلت لها: «بعض العصير الطازج.»

قالت ميجان وقد جفت دموعها بسرعة: «حقاً؟ أشكر بك بشدة.»
ارتشفت ميجان شرابها باستمتاع، ثم أشرق وجهها بابتسامة، ثم أعادت رأسها إلى أسفل وازدرت شرابها حتى الثمالة. ثم قالت: «إنه لذيذ، هل يمكنني أن أحصل على كوب آخر.»
قلت لها: «لا.»

«لماذا؟»

«حتى لا تفقدي شهيتك للطعام.»

«يا إلهي.»

ثم حولت ميجان اهتمامها إلى جوانا قائلة: «إنني في غاية الأسف لأنني أحدثت هذه الضوضاء، عندما أخذت أبكي وأنتحب بهذا الشكل. ولا أري لماذا، لقد كان هذا سخيفاً جداً خاصة أنني في غاية السعادة لوجودي هنا.»
قالت جوانا: «هذا صحيح، نحن في غاية السرور لأنك معنا.»

«لا يمكن أن تكونا سعداء لوجودي. إنه عطفكما وورقتكما، ولكنني ممتنة لكما.»
قالت جوانا: «لا أريدك أن تتفوهي بهذه الكلمات، إن هذا يحرجني للغاية. إنني صديقة للغاية عندما أقول إننا سعداء لوجودك معنا. فأنا وجيري قد تحدثنا في كل الموضوعات الممكنة، ولا يمكننا أن نجد أي شيء أخ يمكننا أن نقوله لبعضنا البعض.»
قلت: «ولكن الآن، سوف نستطيع أن نتحدث عن جونريل وريجان وأشياء من هذا القبيل.»

تهللت أسارير ميجان وقالت: «لقد كنت أفكر في هذا الأمر، أعتقد أنني أعرف لماذا. إن هذا لأن والدهما المسن البغيض هذا كان يريدتهما دائماً أن

يتملقاه. فعندما يضطر المرء لان يقول دائماً شكراً، وهذا عطف منك، فسوف ينتهي به الامر لان يصبح غريب الأطوار وفاسد الاخلاق، لانه سوف يتوق لان يكون سريراً على سبيل التغيير وعندما ينال الفرصة، سوف يتمادى في الامر ويغالي فيه. إن العجز لير كان بغياً للغاية، اليس كذلك؟ إنه يستحق ذلك الازدراء الذي عاملته به كورديليا.»

قلت: «أرى أننا سوف نحظى بمناقشات شقية عن شكسبير.»

قالت جوانا: «أرى أننا سوف تكثران من التحذلق.

فإنني دائماً ما أرى شكسبير في غاية الملل، حيث هذه الفصول المسرحية الطويلة التي يكون فيها الجميع مخمورين ويحاولون أن يبدوا مضحكين.»

قالت لميجان: «كيف حالك الآن؟»

«بخير شكراً لك.»

«ألا تشعرين بالدوار، ألا ترين اثنين من جوانا، أو أي شيء من هذا القبيل.»

«كلا، كل ما هنالك هو أنني أشعر بأنني أريد أن أتحدث كثيراً.»

قلت لها: «ستكونين بخير يا صغيرتي، والآن عليك الذهاب لتأخذي قسطاً من الراحة.»

صحبتها جوانا للطابق العلوي لتخرج الأشياء من حقيبتها. وأنت بارتريدج

وقد بدت متكدرة، وقالت أنها لم تصنع إلا كوبين من الكاسترد فقط من أجل

الغداء، ولا تدري ما العمل.

الفصل السادس

١



بدأ التحقيق بعد الحادث بثلاثة أيام. لقد تم كل شيء على شكل لائق قدر الإمكان، إلا أن الحضور كان كبيراً، وكما لاحظت جونا كان هناك العديد من النسوة.

تم تحديد الوقت الذي توفيت فيه السيدة سيمينجتون وقد كان بين الثالثة والرابعة ظهراً، لقد كانت بمفردها في المنزل؛ فقد كان السيد سيمينجتون في مكتبه، وكانت الخادمتان في إجازة، والسيدة هولاند والأطفال في الخارج. وميجان كانت في نزهة على الدراجة.

لابد أن الخطاب وصل في بريد بعد الظهر، ولابد أن السيدة سيمينجتون أخرجته من الصندوق، وقرأته ثم لابد وأنها في ثورة غضبها ذهبت إلى خزانة المطبخ وأخرجت منها بعض السيانييد الذي كان ملفوفاً هناك لكي يوضع في شبكة صيد الدبابير، ثم أذابت بعض الماء في تجرعتة بعد أن كتبت هذه الكلمات الأخيرة «لا أستطيع أن أستمّر».

وأدلى أوين جريفث بشهادته الطبية، وشدد على وجهة نظره التي أوضحها لنا بخصوص الحالة العصبية للسيدة سيمينجتون وضعف قدرتها على التحمل. كان المحقق لطيفاً وحكيماً، فقد تحدث بمرارة عن إدانته لهؤلاء الذين يكتبون هذه الأشياء الحقيرة، الرسائل المجهولة. وقال أياً كان كاتب هذه الرسائل الشريرة الكاذبة فهو مسئول أخلاقياً عن جريمة القتل. وقد تمنى أن تكشف الشرطة المجرم سريعاً وتتخذ الإجراءات اللازمة ضده أو ضدها، فعمل قدر كهذا تفوح منه رائحة الحقد الأعمى يستحق أقصى عقوبة يفرضها القانون. وبناء على توجيهاته، نطق القضاة بالحكم النهائي، ألا وهو، انتحار أثناء

جنون مؤقت.

لقد بذل المحقق ما بوسعه، وكذلك أوين جريفيث أيضاً، ولكنني سمعت فيما بعد من نساء القرية نفس الهمسات الكريهة والتي بدأت ~ أعرفها جيداً. «لا دخان بلا نار. هذا رأيي! لا بد أن هناك شيئاً، وإلا ما كنت لتقدم على هذه الفعلة...» كرهت لايمستوك وحدودها الضيقة ونساءها النمامات الهامسات.

- ٢ -

من الصعب تذكر الأشياء بترتيبها الزمني الصحيح. بالطبع، كانت زيارة المفتش ناش ثاني أهم المعالم. ولكني أعتقد بعد ذلك أننا تلقينا زيارات من أشخاص مختلفين بالقرية، وكانت كل زيارة مهمة في حد ذاتها، وقد ألفت بعض الضوء على بعض الشخصيات وصفاتهم.

جاءت إيمي جريفيث في الصباح بعد الاستجواب، كانت تبدو كعادتها وافرة الصحة والنشاط ونجحت كعادتها أيضاً في مضايقتي على الفور. وبما أن ميجان وجوانا كانتا بالخارج فقد قمت أنا بواجبات الضيافة.

قالت الأنسة جريفيث: «صباح الخير، لقد سمعت أنكما تستضيفان ميجان هنا.» «أجل.»

«هذا تصرف كريم من جانبكم، أنا متأكدة من ذلك، ولكن أخشى أن يسبب لكم بعض الإزعاج. وقد جئت لأقول إنه بإمكانها المجيء إلينا إذا كنتم تريدان ذلك. يمكنني القول بأنه بوسعي جعلها مفيدة في البيت.»

نظرت إلى إيمي جريفيث باستياء شديد. ثم قلت: «يا لعطفك الشديد، ولكننا سعداء بوجودها. إنها تقضي وقتاً طيباً هنا معنا.»

«لا يمكنني القول بأن تلك الطفلة مغرمة بالتسكع، وأظنها لا تستطيع فعل شيء سوى ذلك، فهي ذات ذكاء محدود للغاية.»

قلت: «أعتقد أنها فتاة غاية في الذكاء.»

حدقت إلى جريفيث بقسوة، ثم علقت قائلة: «لأول مرة أسمع شخصاً يقول

هذا عنها. فعندما تتحدث إليها تنظر إليك كما لو أنها لا تفهم ما تقوله.»

قلت: «ربما كانت لا تهتم بما يقال، وهذا كل ما في الأمر.»

قالت إيمي جريفيث: «إذا كان الأمر كذلك، فهي تتسم بالوقاحة.»

قلت: «ربما، ولكنها ليست ذات ذكاء محدود.»

أعلنت الأنسة جريفيث بحدة: إنها شاردة الذهن غافلة، على أفضل تقدير

إن ما تحتاج إليه ميجان هو العمل الجاد شيء يجعلها تهتم بالحياة. لا تتصور

مدى الفارق الذي يشكله هذا بالنسبة لفتاة. إنني أعرف الكثير عن الفتيات. حتى

أنه ليدهشك مدى الاختلاف الذي يحدثه كون الفتاة عضواً في فريق الكشف.

إن ميجان أكبر من أن تقضي وقتها في التسكع والبطالة.»

قلت: «إن من الصعب عليها فعل أي شيء الآن، فيبدو أن السيدة سيمينجتون

كانت تعتبرها في الثانية عشر من عمرها.»

تنهدت الأنسة جريفيث بحنق: «أعرف، ولم أكن أطيق موقفها ذاك. لقد

رحلت الآن، لذا لا أريد قول المزيد، ولكنها كانت مثالا لما أطلق عليه ربة منزل

ليست ذكية، لا تهتم إلا بلعب الورق والقيال والاهتمام بشؤون أطفالها حتى

الأطفال كانت الفتاة تعتني بهم. أخشى أنني لم أكن معجبة بالسيدة سيمينجتون،

على الرغم من ذلك فلم أشك بالحقيقة أبداً.»

قلت محتداً: «الحقيقة؟»

احمر وجه الأنسة جريفيث، وقالت: «لقد أسفت بشدة على ديك سيمينجتون

لنشر كل تلك الأشياء في الاستجواب، لقد كان ذلك شيئاً فظيماً بالنسبة له.»

«ولكنك بالتأكيد سمعته يقول أن ما ورد بالخطاب لا أساس له من الصحة

على الإطلاق لقد كان متأكداً من ذلك تماماً.»

«لقد قال ذلك بالطبع، وهذا صحيح، فالرجل لابد أن يدافع عن زوجته، هذا

ما كان ليفعله ديك.»

لقد عرفت ديك سيمينجتون منذ وقت طويل.»

اندهشت بعض الشيء..

قلت: «حقاً! لقد علمت من أخيك أنه اشترى هذه العيادة منذ بضع سنوات قليلة.»
«أوه، نعم، ولكن ديك سيمينجتون قد اعتاد على المجيء والإقامة عندنا في الشمال. لقد عرفته منذ سنوات.»

إن النساء يتوصلن إلى نتائج لا يتوصل إليها الرجال. إلا أن النعومة المفاجئة التي طرأت على إيمي جريفيث جعلت على حد وصف خادمنا العجوز بعض الأفكار تدور في رأسي.

نظرت إلى إيمي بفضول، بينما واصلت هي حديثها بنفس النبرة الناعمة: «أعرف ديك حق المعرفة... إنه رجل يعتز بكبريائه ومتحفظ جداً، ولكنه مع ذلك غيور جداً.»

قلت متعمداً: «وهذا يفسر سبب خشية السيدة سيمينجتون من أن تريه الرسالة أو أن تخبره بما ورد فيها. فلعلها كانت تخشى ألا يصدق إنكارها لما ورد بها، وذلك بسبب غيرته.»

نظرت إلى الأنسة جريفيث نظرة تنم عن الحنق والاحتقار.
«يا إلهي، أعتقد أن امرأة يمكن أن تقدم على ابتلاع سيانيد البوتاسيوم بسبب اتهام كاذب.»

«يبدو أن المحقق اعتقد أن ذلك ممكن. كما أن أخاك أيضاً»
قاطعتني إيمي: «أنتم معشر الرجال تفكرون بنفس الطريقة. فكلكم تريدون المحافظة على الآداب العامة. ولكنني لا أصدق هذا السخف، فإن تلقت امرأة بريئة رسالة حقيرة من مجهول، فإنها تضحك أو تلقيها في سلة المهملات. وهذا ما فعلته» توقفت فجأة، ثم أنهت كلامها قائلة: «ما كنت لأفعله.» ولكنني لاحظت مقاطعتها هذه، كنت متأكداً تقريباً من أنها كانت بصدد قول: «فعلته.»

قررت أن أنقل المعركة إلى ساحة العدو.
قلت ضاحكاً: «إذن، هل تلقيت أنت أيضاً واحدة من هذه الرسائل؟». كانت إيمي جريفيث من النساء اللواتي يحتقرن الكذب. صمتت لبرهة واحمر وجهها،

ثم قالت: «نعم، ولكنني لم أدعها تقلقني».

سألها بتعاطف: «أكاذيب بذيئة؟»

«بالطبع، فهذه الأشياء بذيئة دائماً. إنها هذيان شخص مخبول. لقد قرأت كلمات قليلة منها، فأدركت فحواها فألقيتها في سلة المهملات بلا تردد».

«ألم تفكري في إبلاغ الشرطة».

«كلا، فكثرة الكلام تزيد المشاكل سوءاً هذا هو ما فكرت فيه عندئذ».

ألح علي هاجس أن أقول لها: «لا دخان بدون نار!» ولكنني منعت نفسي، ولكي أتجنب هذا الإغراء غيرت مجرى الحديث إلى ميجان. فسألتها: «أليديك فكرة عن وضع ميجان المالي؟ إنه ليس نوعاً من الفضول، وإنما أريد أن أعرف إذا ما كان يتحتم عليها العمل لكسب قوتها».

«لا أعتقد أنه يتحتم عليها بمعنى الكلمة، فقد تركت لها جدتها لاييها مصدراً صغيراً للدخل على ما أظن، وعلى أي حال، فإن ديك سيمينجتون كان يوفر لها السكن ويتكفل بها حتى لو لم تترك لها أمها شيئاً. غير أنها مسألة مبدأ».

«أي مبدأ؟»

«العمل يا سيد بيرتون، فليس هناك شيء أهم من العمل بالنسبة للرجل

والمرأة. فالكسل ذنب لا يغتفر».

قلت: «لقد فصل السيد إدوارد جيرى، الذي أصبح وزيراً للخارجية فيما بعد، من جامعة أكسفورد بسبب كسله الفظيع. كما أن الدوق ويلنتجون على حد علمي كان كسولاً وغير مهتم بكتبه. ثم، ألم يخطر ببالك يا أنسة جريفيث أنك لم تكوني لتستطيعي استقلال القطار إلى لندن لو أن جورج ستيفنسون كان قد خرج مع أقرانه من الشباب للعمل بدلاً من التسكع في مطبخ أمه شاعراً بالملل حتى انتبه عقله الكسول إلى الحركة الرتيبة لغطاء غلاية الشاي؟»

لم تقل إيمي شيئاً سوى أن تنهدت بحنق.

فقلت معضداً فكرتي: «إنها نظريتي الخاصة. إذ أرى أننا ندين للكسل سواءً كان اختيارياً أو جبرياً بمعظم ابتكاراتنا وإنجازاتنا العظيمة. فالعقل البشري

يفضل أن يتغذى على أفكار الآخرين دون بذل جهد يذكر، ولكن إذا حرم من تلك الرفاهية، فسوف يبدأ التفكير لنفسه وتذكرني أن مثل هذا التفكير الخلاق ربما يؤدي إلى نتائج قيمة..»

واصلت حديثي قبل أن تتاح لإيمي فرصة لإطلاق تنهيدة حانقة أخرى: «فضلاً عن ذلك، فإن الكسل به جانب فني..»

نهضت وأخذت من علي مكتبي صورة طالما لازمته، إنها صورتي الصينية المفضلة، وهي تصور رجلاً عجوزاً جالساً تحت شجرة يلعب تشبيك الخيوط بأطراف أصابع يديه.

قلت: «كانت في المعرض الصيني وقد أعجبته، اسمحي لي بأن أريك إياها. إنها تدعى «رجل عجوز يستمتع بالكسل..»

لم تعجب إيمي بصورتي الجميلة، فقالت: «أوه، حسناً، إننا جميعاً نعرف طبايع الصينيين..»

سألتها: «ألا تروق لك؟»

«بصراحة كلا، فانا لا أهتم بالفن كثيراً، كما أن طريقة تفكيرك يا سيد بيرتون لا تختلف عن طريقة تفكير معظم الرجال. فأنتم تكرهون عمل المرأة ومنافستها لكم»

أصابته الدهشة، فهاأنذا قد أصبحت عدواً للحركة النسائية. استمرت إيمي في دفاعها وقد احمرت وجنتاها.

«إنه لا تروق لك فكرة خروج المرأة من لميدان العمل، تماماً كوالداي. فقد كنت مهتمة بدراسة الطب ولكنهما لم يكونا مهتمين بدفع مصاريف الدراسة، ومع ذلك فقد كانا مستعدين لدفعها لأوين. لقد كان بإمكانني أن أصبح طبيبة أفضل من أخي..»

قلت: «أنا أسف لما حدث معك، فلا بد أنه كان شيئاً قاسياً عليك. فحينما يريد المرء فعل شيء»

واصلت كلامها بسرعة: «أوه، لقد تغلبت على هذا الآن، فلدي إرادة شديدة

لا تقهر، وحياتي مشحونة بالأنشطة المختلفة. إنني واحدة من أسعد الناس في لايمستوك، ولدي الكثير لأفعله. ولكنني أسعى لهدم الفكرة البالية القائلة بأن مكان المرأة هو بيتها.»

قلت: «أسف إن كنت قد المتك. وهذه لم تكن وجهة نظري حقاً، وأنا لا أتصور أن ميجان يمكن أن تصبح ربة منزل تقليدية.»

«كلا، إنها طفلتي المسكينة، ولكنني أخشى لا تصلح لأي شيء. «هدأت إيمي وعادت لتتكلم بطريقتها المعتادة مرة أخرى قائلة: «إن أباه، كما تعرف» توقفت، فقلت مغتاضاً: «لا أعرف، فالجميع هنا يقولون ((إن أباه)) ثم يخفضون أصواتهم، ثم لا شيء. ماذا فعل ذلك الرجل؟ ألا يزال حياً؟»

«في الحقيقة، لا أعرف، وأخشى أنه غامض بالنسبة لي شخصياً، ولكنه كان بلا ريب سيئاً. أعتقد أنه من أرباب السجون، وشخصية غريبة الأطوار إلى حد كبير، لذلك لن أدهش إذا كانت ميجان مختلفة بعض الشيء.»

قلت: «إن ميجان في كامل قواها العقلية، وكما قلت من قبل، فإنني اعتبرها فتاة ذكية. وأختي تعتبرها كذلك أيضاً، إن جونا تحبها كثيراً.»

قالت إيمي: «أخشى أن أختك تجد الحياة مملة هنا بالتأكيد.»

ما أن قالتها، حتى عرفت شيئاً آخر، إن إيمي جريفيث تكره أختي، فلقد بدا ذلك واضحاً في نبرة صوتها.

«لقد تساءلنا جميعاً كيف يمكنكم العيش هنا في هذه البقعة النائية.»

لقد أجبت عن هذا السؤال سابقاً.

صمتُ لبرهة ثم أضفت قائلاً: «إنها أوامر الأطباء، أن أذهب إلى مكان هادئ جداً لا يحدث فيه شيء مزعج. ولكن هذا لا ينطبق على لايمستوك في الوقت الراهن.» «كلا، كلا، أنت محق.»

بدت قلقة ثم نهضت وهي تهم بالمغادرة، وقالت عندئذ: «يجب وضع حد لكل هذه الوحشية! فنحن لا نستطيع استمرار تحمل هذا الوضع.» «ألا تفعل الشرطة شيئاً؟»

«من المفترض أن يفعلوا، ولكنني أعتقد أنه يجب أن نتعامل مع هذه السخافات بأنفسنا.»

«إننا لا نمتلك ما يملكونه من أسلحة.»

«هراء! ربما كنا أكثر منهم حنكة وذكاء. ولا ينقصنا سوى القليل من العزيمة.»
ثم ودعتني بسرعة وذهبت. وعندما عادت جوانا وميجان قدمت صورتي الصينية لميجان، فتهللت أساريرها وقالت: «إنها رائعة، أليس كذلك؟»
«هذا هو رأيي.»

قطبت جبينها بالطريقة التي أعرفها جيداً.

«ولكنه أمر صعب حقاً، أليس كذلك؟»

«أن يكون الأمر كسولاً؟»

«لا، ليس أن يكون كسولاً بل أن يستمتع به، لا بد أنه عجوز جداً»

توقفت عن الكلام، فقلت: «إنه رجل عجوز بالفعل.»

«لا أقصد أن يكون عجوزاً بهذا المعنى. بل أقصد أن يكون عجوزاً ب...»

قلت: «تقصدين أن على المرء أن يرقى إلى درجة عالية من التحضر حتى تظهر له الأمور على هذا النحو إنها وجهة نظر معقدة؟ أعتقد أنه يجب أن تكلمي تعليمك يا ميجان عن طريق قراءة مائة قصيدة مترجمة عن الصينية.»

- ٣ -

قابلت سيمينجتون في وقت متأخر من اليوم.

سألتها: «هل تمناع في أن تبقى ميجان معنا لبعض الوقت؟ إن جوانا سعيدة بها فهي تشعر بالوحدة أحياناً لعدم وجود أحد من أصدقائها.»
«أوه من ميجان؟ أوه، هذا كرم بالغ منك.»

كرهت سيمينجتون منذ ذلك الحين كراهية لم أتمكن من التغلب عليها. فقد بدا واضحاً أنه نسي كل شيء يمت بصلة لميجان. لم أكن لأبالي لو أنه كره الفتاة فالرجل أحياناً يغار من أطفال الرجل السابق بيد أنه لم يكن يكرهها، بل إنه لم

يكن يلاحظ وجودها من الأساس. فمثل سيمينجتون وميجان مثل رجل لا يهتم بالكلاب وكان هناك كلب بمنزله، فلا ينتبه لوجوده إلا عندما يصطدم به فيوبخه، وأحياناً يربت عليه شذراً عندما يأتي ويتمسح به. لقد ضايقتني اللامبالاة التي أبداها سيمينجتون تجاه ابنة زوجته.

قلت: «ما خططك بشأنها؟»

بدا وكأنه فوجئ بسؤالي، فقال: «بشأن ميجان؟ حسناً، سوف تعيش كما كانت في المنزل. أقصد بالطبع، أنه منزلها.»

كانت جدتي التي أحببتها كثيراً، تغني أغاني قديمة على الجيتار الخاص بها. وأذكر أن نهاية إحدى هذه الأغاني كانت كالتالي:

(أوه يا عزيزتي، أن لست هنا

ليس لي مكان أو بيت،

لم يعد لي مأوى، في البحر أو على الشط،

فمكاني الوحيد في قلبك.)

ظلمت أردادها وأنا في طريق المنزل.

- ٤ -

جاءت إيميلي بارتون بعد أن انتهينا من تناول الشاي مباشرة. كانت تريد الحديث عن الحديقة، فأخذنا نتحدث ونحن نتجول هناك لمدة نصف ساعة تقريباً. ثم عدنا أدراجنا إلى المنزل.

وعندئذ أخفضت صوتها، وتمتعت قائلة: «أتمنى ألا تكون هذه الطفلة مستاءة من هذا الحدث المروع.»

«أتقصدين موت أمها؟»

«نعم، بالطبع، ولكنني في الحقيقة قصدت الإساءة المتخلفة عنه.»

اعتراضي الفضول، فأردت أن أعرف ردة فعل الأنسة بارتون.

«ما رأيك في تلك الإساءات؟ أكانت حقيقية؟»

«كلا، كلا، بالتأكيد لم يكن بها شيء من الحقيقة. فانا متأكدة تماماً أن السيدة سيمينجتون لم تكن لم أعني أنه لم يكن.» احمر وجه الأنسة بارتون وارتبكت «أقصد أن تلك الإساءات ليست حقيقية على الإطلاق على الرغم من أنها قد تكون بمثابة حكم.»

قلت محققاً إليها: «حكم؟»

ازداد احمرار وجه إيميلي بارتون وارتعشت شفتاها. «لا أستطيع منع نفسي من الشعور بأن هذه الخطابات المروعة، وكل الحزن والالام الذي سببته، ربما يتم إرسالها لغرض ما.» قلت مقطباً جبیني: «لقد أرسلت لغرض ما بكل تأكيد.»

«كلا، كلا يا سيد بيرتون، لقد أسأت فهمي. إنني لا أتحدث عن هذا المخلوق الضال الذي كتبها فلا بد أنه شخص منبوذ تماماً. وإنما أعني أن الله قد ابتلانا بها ليوقظ ضميرنا وينبها إلى أخطائنا.»

قلت: «إن الله لا يجبر الإنسان على فعل الشر، فالإنسان هو الذي يوعز إلينا بالشروع.»

«ما لا أستطيع فهمه أبداً هو ما الذي يدفع أي إنسان إلى فعل شيء كهذا؟» هزرت كتفي قائلاً: «عقلية مريضة.»

«يبدو أنه إنسان تعيس جداً.»

«لا يبدو لي أنه تعيس، وإنما هو ملعون، وأنا لست نادماً على هذا الوصف، بل أعنيه تماماً.»

اختفت الحمرة عن وجنتا الأنسة بارتون وأصبحتا شاحبتين.

«ولكن لماذا يا سيد بيرتون، لماذا؟ أية سعادة يحصل عليها المرء من شيء كهذا؟» «لا أستطيع أنا ولا أنت فهم ذلك، وهذا من فضل الله علينا.»

أخفضت إيميلي بارتون صوتها قائلة: «يقولون أنها السيدة كليت ولكنني لا أستطيع تصديق هذا.»

هزرت رأسي، بينما واصلت حديثها مهتاجة: «لم يحدث شيء كهذا من قبل،

على أن أذكر أنه قد كان مجتمعاً صغيراً يعيش في سعادة. ترى ماذا كانت أمي العزيزة لتقوله عما يحدث الآن؟ حسناً، إنني أحمد الله لأنها ماتت قبل أن ترى مثل هذه الأشياء..»

من خلال ما عرفته عن السيدة بارتون الراحلة فإنها كانت صلبة بما فيه الكفاية لتحمل أي شيء، بل وربما كانت لتستمتع بهذا الحديث المثير.

واصلت إيميلي حديثها: «إنها تحزنني كثيراً..»

«ألم ألتق رسالة من هذه الرسائل المجهولة؟»

احمر وجهها وقالت: «أوه، لا أوه، لا، حقاً. أوه! هذا الشيء كان ليصيبني بالرعب..» اعتذرت بسرعة، ولكنها غادرت مستاءة.

دخلت إلى المنزل، كانت جوانا تقف في حجرة الرسم بجوار النار التي أشعلتها للتو، حيث كان الجو بارداً الليلة.

«جيري! لقد وجدت هذا في صندوق الخطابات، مرسلاً باليد. حيث تقول بداية الخطاب: «أنت أيتها الساقطة..»

«ماذا بها أيضاً غير ذلك؟»

«قطبت جوانا جبينها قائلة: «نفس السخافات السابقة..»

ألقته في النار، فقفزت قفزة سرعت أمت ظهري والتقطتها قبل أن تلمسها النار.

قلت: «كلا، قد نحتاج إليها..»

«نحتاج إليها؟»

«لتقديمها للشرطة..»

- ٥ -

في صباح اليوم التالي جاء المفتش ناش لرؤيتي. منذ اللحظة الأولى التي رأيته فيها أعجبت به، فقد كان نموذجاً مثالياً لرجل الشرطة، كان طويل القامة، ذا مظهر عسكري، وعيناه تمانان عن الذكاء والفطنة.

قال: «صباح الخير يا سيد بيرتون، أعتقد أنك تعرف سبب مجيئي إليك..»

«نعم، أعتقد أنها مسألة الرسائل.»

أوما برأسه قائلاً: «أظن أنك تلقيت واحدة منها.»

«نعم، بعد وصولنا هنا مباشرة.»

«ما فحواها بالضبط؟»

فكرت قليلاً ثم ذكرت له كلمات الرسالة بأكبر قدر ممكن من الدقة. استمع مفتش الشرطة بوجه خال من التعبيرات، وعندما أنهيت كلامي قال: «إذن لم تحتفظوا بالرسالة سيد بيرتون؟»

«أسف، لم نفعل. فقد كنت أظنه مجرد نوعاً من النكايه في وافدين جدد في القرية.»

أحني مفتش الشرطة رأسه متفكراً. ثم قال في اقتضاب: «يا للأسف.»

قلت: «ومع ذلك فقد تلقت أختي واحدة في الأمس. وأنقذتها بصعوبة بعدما ألقته في النار.»

«شكراً لك يا سيد بيرتون، فقد كان هذا جميلاً منك.»

ذهبت إلى مكثبي وفتحت الدرج الذي وضعته فيه، فقد فكرت أنه ليس من المناسب أن تراها بارتريدج. أخذتها وأعطيتها لناش. فنظر إليها بسرعة، قم نظر إلي وقال:»

هل لها نفس مظهر الرسالة السابقة؟»

«أعتقد ذلك، إن لم تخني الذاكرة.»

«نفس الفارق بين المظروف ونص الرسالة.»

قلت: «نعم، فقد كان المظروف مطبوعاً على آلة كاتبة، أما الرسالة نفسها فقد كانت عبارة عن كلمات مأخوذة من كتاب وملصقة على ورقة بيضاء.»

أوما ناش ووضعها في محفظته، ثم قال: «إنني أتساءل يا سيد بيرتون إن كنت تمنع في مرافقتي إلى قسم الشرطة؟ حيث نستطيع هناك التحاور مع أفراد آخرين ونوفر على أنفسنا الكثير من الوقت والتداخل.»

قلت: «بالطبع، هل يمكن أن آتي الآن؟»

«إن لم يكن لديك مانع.»

كانت سيارة الشرطة تنتظر أمام الباب، فاستقللنا السيارة متوجهين نحو قسم الشرطة.

قلت: «أتظن أنك ستصل إلى نتيجة بخصوص هذه المشكلة؟»
أوما ناش بثقة واضحة.

«أوه، نعم، سوف نصل إلى الفاعل بسهولة. إنها مسألة وقت وروتين، فهذه القضايا تسير ببطء، ولكن حلها أمر مؤكد. إنها مسألة تضيق الاحتمالات.»

قلت: «أتعني التركيز على أسماء بعينها واستثناء الأخرى؟»

«نعم، بالإضافة إلى بعض المهام الروتينية.»

«أتقصد مراقبة صناديق البريد، وفحص الآلات الكاتبة، والبصمات، وما إلى ذلك؟»

ابتسم قائلاً: «تماماً، كما تقول.»

في قسم الشرطة وجدنا سيمينجتون وجريفيث هناك وعرفني ناش على رجل ذي ذقن بارز وطويل يرتدي ملابس مدنية، وقال لي إنه المفتش جريفر.

شرح ناش قائلاً: «لقد جاء المفتش جريفر من لندن لمساعدتنا. إنه خبير في الرسائل مجهولة المصادر.»

ابتسم المفتش جريفر ابتسامة كئيبة. فترأى لي على الفور أن الحياة التي يمضيها صاحبها في اقتفاء أثر كاتبي الرسائل المجهولة لأبد وأن تصيبه بالاكئاب. ومع ذلك فقد أظهر المفتش جريفر حماساً به مسحة من الكابة.

قال بصوت عميق حزين أشبه بكلب بوليسي محبط: «إن هذه القضايا متشابهة إلى حد كبير. فقد تدهش من مدى تشابه كلمات وصياغة هذه الرسائل.»

قال ناش: «لقد قابلنا قضية مشابهة قبل سنتين وساعدنا المفتش حينئذ.»

رأيت بعض الرسائل على الطاولة أمام جريفر، لأبد وأنه كان يتفحصها.

قال ناش: «من الصعب الحصول على رسائل من هذه النوعية، وذلك لأن الناس إما يحرقونها أو أنهم لا يعترفون بتلقيها من الأساس. فالناس هنا كما رأيت

بنفسك أغبياء، ويخشون التعامل مع الشرطة، فهم متخلفون إلى حد كبير.» قال جريفز: «غير أننا تلقينا عدداً من هذه الرسائل يكفي لبدأ التحري وكشف الجاني.» «في تلك الاثناء أخرج ناش من جيبه الرسالة التي أعطيته إياها وسلمها لجريفز.

القي الاخير نظرة سريعة عليها، ثم وضعها بجانب الرسائل الاخرى وقال في سعادة ورضى: «رائع جداً رائع جداً.» لم أكن اظن أن هذه الرسائل البذيئة قد تبث السعادة في نفس أحد، غير أنه يبدو أن للخبراء وجهة نظر خاصة في هذا الصدد.

قال المفتش جريفز: «أعتقد أننا حصلنا على عدد كاف من الرسائل للبدء في العمل، وسوف أطلب منكم أيها السادة، إذا تلقيتم المزيد منها، أن تبلغونا على الفور؛ وكذلك إذا سمعتم أن أحداً تلقى رسالة مجهولة المصدر وبخاصة أنت، أيها الطبيب بين مرضاك، فابذلوا ما بوسعكم لإقناعه بالمجيء إلينا وإبلاغنا عنها. لدينا «قلب الرسائل بأطراف أصابعه، مستطرداً: «واحدة للسيد سيمينجتون تلقاها منذ شهرين، وواحدة للسيد جريفث، وواحدة للأنسة «جينش»، وأخرى لجينيفر كلارك، النادلة بمطعم «ثري كراونز»، والرسالة التي تلقتها السيدة سيمينجتون، وأخيراً تلك التي تسلمتها الأنسة بيرتون. أوه، نعم، ورسالة بعثها لنا مدير البنك.»

قلت: «إنها مجموعة تمثل جميع الشرائح.»

«ولا تختلف عن القضايا المماثلة! فهي شديدة الشبه بتلك الرسائل التي كانت تكتبها تلك المرأة المخبولة، كما أنها صورة طبق الأصل من تلك الرسائل التي واجهناها في نوثرميلاند والتي كتبتها إحدى الطالبات بالمدرسة. بوسعي أن أعلن لكم أيها السادة أنني أود رؤية شيء مختلف.»

قلت متمتماً: «لا جديد تحت الشمس.»

«بالضبط يا سيدي. ولو كنت تعمل في نفس مهنتنا لتبين لك صدق هذه المقولة.» تنهد ناش قائلاً: «نعم، بالفعل.»

سأل سيمينجتون: «هل توصلتم إلى رأي محدد بشأن كاتب هذه الرسائل؟»
 «هناك أوجه شبه مشتركة بين كل هذه الرسائل. وسوف أوضحها لكم
 أيها السادة لعلها توحى لكم بشيء يساعدنا. إن نص الرسائل يتألف من كلمات
 مصنوعة من أحرف منفصلة قطعت من كتاب مطبوع، إنه كتاب قديم وأظنه
 طبع عام ١٨٣٠. ومن الواضح أن هذا النهج قد اتُبع لتجنب خطر التعرف على
 الكاتب من خلال خط يده والذي يعتبر أمراً في غاية السهولة. كما يعرف الجميع
 الآن.... وما يسمى استخدام اليد الخفية في الكتابة أصبح أمراً غير ذي جدوى
 إن واجهه خبير محنك. وليس هناك بصمات على الرسائل، كما أن المظاريف لها
 أشكال مختلفة، وقد تعامل معها رجال البريد، والمرسل إليهم، وهناك رسائل
 أخرى عليها بصمات غير واضحة، ولكن لا يجمعها شيء واحد، مما يشير إلى
 أن الراسل كان حريصاً على أن يرتدي قفازات، وقد تمت كتابة العناوين على
 المظاريف بالة كاتبة مهترئة من طراز وندسور ٧ بها حرفا الالف والتاء خارجان
 على الخط المستقيم. وقد أرسل معظمها من البريد المحلي أو وضعت باليد في
 صندوق الرسائل المنزلي. وقد كتبتها امرأة، وأنا أعتقد أنها امرأة في متوسط
 العمر أو أكبر، وربما كانت غير متزوجة، على الرغم من أنني غير متأكد.»
 استمعنا بإنصات لدقيقة أو اثنتين دون أن نقاطعه، ثم قلت: «إنك تراهن
 على الآلة الكاتبة، أليس كذلك؟ فلا بد أنه من السهل الوصول إليها في قرية
 صغيرة كهذه.»

هر المفتش جريفز رأسه بحزن وقال: «إنك مخطئ في هذا يا سيدي.»
 قال مراقب الشرطة ناش: «الآلة الكاتبة، للأسف، يسهل الوصول إليها. فهي آلة
 قديمة من مكتب السيد سيمينجتون، وقد تبرع بها لصالح جمعية المرأة، وأعتقد
 أنه من السهل الوصول إليها، حيث يذهب الكثير من السيدات هنا إلى الجمعية.»
 «ألا تستطيع تحديد شيء معين من اللمسة الفنية، كما تطلقون عليها؟»
 أوما جريفز مرة أخرى.
 «نعم، هذا ممكن بالطبع غير أن المظاريف قد طُبعت كلها بواسطة

شخص يستخدم إصبعاً واحداً.»

هو إذن شخص غير بارع في استخدام الآلة الكاتبة؟
«كلا، أنا لا أعني ذلك. بل أعني أنه شخص يجيد استخدام الآلة الكاتبة ولكنه لا يريدنا أن نتعرف على حقيقته.»

«أياً كان كاتب هذه الأشياء فلا بد أنه ماكر.»

قال جريفرز: «إنها يا سيدي تستخدم كل الحيل الممكنة.»

قلت: «لم أكن أظن أن هؤلاء النسوة القرويات لديهن هذه العقول.»
سعل جريفرز، قائلاً: «أخشى أنني لم أكن واضحاً، ولكن هذه الرسائل كتبت على يد امرأة مثقفة.»

«ماذا؟ أتعني أنها «ليدي»؟»

خرجت مني الكلمة عفوياً. فلم أستخدم هذه الكلمة منذ سنوات. ولكنها الآن جاءت على شفتي تلقائياً، بعد مضي أيام طوال منذ أن عرفتھا، منذ أن كانت جدتي تقول بصوت تفوح منه رائحة العجرفة التلقائية: «بالطبع إنها ليست ليدي يا عزيزي.»

فهم ناش ما أقصده على الفور، فقد كانت كلمة ليدي لا تزال تعني شيئاً له. قال: «ليس بالضرورة أن تكون ليدي، ولكنها بالتأكيد ليست امرأة قروية. فمعظمهن أميات هنا لا يستطعن هجاء الكلمات، وقطعاً لا يستطعن التعبير بطلاقة.»
لذت بالصمت بعدما صدمت بهذه التعقيدات. إذ إن المجتمع هنا صغير للغاية. وقد تخيلت في اللاوعي أن كاتبة الرسائل هي السيدة كليت وأضرابها من النساء، فهي امرأة ماكرة.

صاغ سيمينجتون أفكاره بكلمات، حيث قال بحدّة: «ولكن هذا يضيق نطاق البحث إلى ست أو اثنتي عشر امرأة على الأكثر!»

«هذا صحيح.»

«لا أصدق!»

عندئذ قال سيمينجتون بصوت تكسوه المرارة، وكأنه يخرج الكلمات

بصعوبة: «لقد سمعت ما ذكرته في الاستجواب. وإذا ما كنت تعتقد أن تلك الشهادة كانت بناء على رغبة مني لحماية ذكرى زوجتي، فإنني أود أن أكرر الآن أنني مقتنع تمام الاقتناع بأن كل ما ورد في الرسالة التي تسلمتها زوجتي كان محض افتراءات. لقد كانت زوجتي حساسة ورقيقة للغاية، وربما يمكنكم اعتبارها عصبية. ومثل هذه الرسالة من شأنها أن تسبب لها صدمة نفسية عنيفة، بالإضافة إلى أنها كانت معتلة الصحة.»

رد جريفرز على الفور: «هذا صحيح إلى حد كبير يا سيدي، فهذه الرسائل لا تشير إلى أن كاتبها واثق من معلوماته. إنها مجرد اتهامات عمياء. ولم يكن هناك ابتزاز. ولا يبدو أن بها أي تحيز ديني كما يحدث في بعض الأحيان. إنها فقط مليئة بالجنس والبغضاء! وهذا يعطينا مؤشراً جيداً للتعرف على الكاتب.» نهض سيمينجتون، وقال بشفتين مرتعشتين: «أتمنى أن تجد الشيطانة التي كتبت هذه الرسائل للعينية سريعاً. لقد قتلت زوجتي كما لو أنها غرست سكيناً في قلبها. «صمت قليلاً ثم أضاف: «إنني أتساءل، ما شعورها الآن؟». خرج تاركاً السؤال بدون إجابة.

سألت: «ما شعورها الآن يا جريفيث؟» وبدأ لي أن الإجابة في نطاق اختصاصه. «الله أعلم. ومن جانب آخر، فقد تكون مستمتعة بقوتها. فلا بد أن موت السيدة سيمينجتون قد أشبع جنونها.»

قلت برعشة خفيفة: «لا أتمنى ذلك، لأنها إن كانت كذلك، فسوف ترددت فيما أنهى ناش عبارتي قائلاً: «فسوف تحاول مرة أخرى؟ إن هذا ما نتمنى حدوثه يا سيد بيرتون. وتذكر أن الظمان يذهب إلى البئر كثيراً.» صحت قائلاً: «سوف تكون مجنونة إن واصلت عملها هذا.» قال جريفرز: «سوف تواصل. فهذا النوع دائماً ما يفعل. إنه شيء يجري في دمائهم ولا يستطيعون التخلص منه.»

هزرت رأسي وأنا أرتعد. ثم سألتهم إن كانوا يحتاجون إلي في شيء آخر، فقد كنت أريد الخروج في الهواء، حيث بدا الجو هنا مفعماً بالشر.

قال ناش: «لا يوجد لدينا المزيد يا سيد بيرتون كل ما عليك هو أن تبقي عينيك مفتوحتين، وتبذل ما بوسعك للدعاية كان تحت الجميع على إبلاغنا بأي رسالة يتلقونها من هذا النوع.»

أومات براسي قائلاً: «أعتقد أنه ما من أحد هنا إلا وتلقى رسالة من هذا النوع.» قال جريفيث: «هل تعرف أحداً، على وجه التحديد، لم يتلق رسالة؟» «يا له من سؤال غريب! فليس من المتوقع أن يبوح كل السكان بأسرارهم.» «كلا، كلا يا سيد بيرتون، إنني لم أقصد ذلك، فقط أردت أن أتساءل إن كنت تعرف أي شخص وتتق تماماً أنه لم يتلق رسالة مجهولة؟» ترددت ثم قلت: «حسناً، أعرف إلى حد ما.»

ثم ذكرت له الحوار الذي دار بيني وبين إيميلي بارتون وما قالته لي. تلقى جريفيث المعلومة بوجه جامد خال من التعبير، ثم قال: «حسناً، قد يأتي هذا بفائدة. سوف أسجله.»

خرجت في شمس ما بعد الظهيرة مع أوين جريفيث. وما أن وطأت الشارع حتى صحت بأعلى صوتي: «ما هذا المكان الذي جئت إليه من أجل الاسترخاء والاستمتاع بدفء الشمس والاستشفاء؟ إنه مكان مليء بالسموم الفتاكة، على الرغم من أنه يبدو ظاهرياً مكاناً آمناً وجميلاً كجنة على الأرض.»

قال جريفيث بطريقة جافة: «حتى أفضل الأماكن بها شياطين.» «أخلصت إلى شيء يا جريفيث؟ هل خرجت منهم بأي فكرة عن الموضوع.» «لا أدري، فالشرطة لديها أساليبها الخاصة. حيث يبدو صرحاء معك، ولكنهم لا يخبرونك بشيء.»

«نعم، إن ناش شرطي لطيف.»

«كما أنه قدير كذلك.»

قلت بنبرة اتهام: «إن كان هناك معتوه في البلدة، فيجب أن تعرفه.» هز جريفيث رأسه، وبدا محبطاً، ولكنه كان أكثر من ذلك لقد كان قلقاً. فتساءلت إن كان لديه فكرة من نوع ما.

أخذنا نسير عبر الشارع الرئيسي، ثم توقفت عند باب وكلاء العقارات.
«أعتقد أن الدفعة الثانية من الإيجار قد حان وقتها. لقد فكرت في دفعها،
ثم الرحيل مباشرة أنا وجوانا.»
قال أوين: «لا تفعل.»

«لم لا؟»

لم يجب لكنه قال ببطء بعد دقيقة أو دقيقتين: «على كل أعتقد أنك محق.
فلم تعد لایمستوك مكاناً صحياً. بل ربما كانت ضارة عليك أنت وأختك.»
قلت: «لا شيء يضر جوانا، فهي صلبة، ولكنني أنا الضعيف. فهذه الاحداث
تؤثر على حالتي بشدة.»
قال أوين: «تؤثر على حالتك؟»

دفعت باب الوكلاء ففتحته نصف فتحة.

قلت: «ولكنني لن أذهب. فالفضول أقوى عندي من الألم. إنني أريد معرفة الحل.»
دلفت إلى الداخل.

نهضت امرأة كانت تكتب على الآلة الكاتبة، وتقدمت نحوي. كان شعرها
متجعداً وابتسامتها متكلفة، ولكنني وجدتها أكثر ذكاء من تلك الفتاة ذات
النظارات والتي كانت تتمايل في المكتب الخارجي.

بعد دقيقة خطر ببالي شيء مألوف فقلت: «إنها الأنسة جينش، التي
أصبحت فيما بعد كاتبة لدى سيمينجتون. «ثم علقت على هذه الحقيقة قائلاً:
«لقد كنت تعملين بمكتب «جالبيرث سيمينجتون. «أليس كذلك.»

«بلى، بلى، حقاً. ولكنني كنت أعتقد أنه من الأفضل أن أترك ذلك المكان.
فهذه وظيفة جيدة، وإن كان مرتبها ليس كبيراً. ولكن هناك أشياء أهم من المال،
أليس كذلك؟»

قلت: «بلا شك.»

تنهدت الأنسة: «تلك الرسائل الرهيبة، لقد تلقيت واحدة منها، تتحدث عني
وأنا وسيمينجتون أوه، لقد كانت فظيعة، وكل ما بها كان مرعباً. لقد عرفت واجبي

وأخذتها إلى الشرطة، على الرغم من أنها لم تكن لطيفة أبداً، أليس كذلك؟»
«بلى، بلى، إنها رسائل وقحة.»

«ولكنهم شكروني وقالوا إنني فعلت الصواب. ولكنني شعرت بعد ذلك بأنه من المؤكد أن الناس في البلدة كانوا يتحدثون عني ولا بد أنهم كانوا يفعلون، وإلا من أين حصل كاتب الرسالة على الفكرة؟ يجب علي تجنب الشائعات، على الرغم من أنه لم يكن هناك أي شيء بيني وبين السيد سيمينجتون.»
شعرت بالحرج الشديد.

«بلى، بلى، بالطبع لم يكن بينك وبينه شيء.»
«ولكن عقول الناس مليئة بالشر، نعم إنها عقول شريرة.»
على الرغم من المحاولات المضنية، إلا أن عيني التقت بعينيها واكتشفت شيئاً فظيماً.

فقد كانت الأنسة جينش مستمتعة بما حدث.
ها قد وجدت اليوم شخصاً يتفاعل بسعادة مع الرسائل المجهولة. لقد كان مفتش الشرطة جريفر لديه حماساً مهيئاً. أما استمتاع الأنسة جينش فقد تراءى لي موحياً بشيء وكريهاً في الوقت ذاته.
ولمعت فكرة في ذهني المشوش.
هل الأنسة جينش هي من يكتب الرسائل؟

الفصل السابع

١

عدت إلى البيت فوجدت السيدة دين كالثروب جالسة تتحدث مع جوانا. بدت لي كتيبة ومريضة. قالت: «لقد كانت هذه صدمة مروعة لي يا سيد بيرتون، مسكينة، مسكينة.»



قلت: «نعم، إنه لشيء مروع أن تفكري في السبب الذي يقوده أحدهم إلى الانتحار.»

«أوه، أتقصد السيدة سيمينجتون؟»

«ألا ترين أنت ذلك؟»

هزت السيدة كالثروب رأسها قائلة: «بالطبع إن المرء لياسف عليها، ولكن ذلك كان سيحدث على أية حال، أليس كذلك؟»

قالت جوانا بجفاء: «سيحدث؟»

التفتت دين كالثروب إلى جوانا.

«أوه، أعتقد ذلك يا عزيزتي. إذا كان الانتحار وسيلة لهروبك من المشاكل فلا يهم كثيراً نوعية المشكلة التي أدت إلى ذلك. فلو أنها واجهت صدمة كبيرة، لارتكبت نفس الفعلة. إذن فالمهم أنها كانت من هذه النوعية من النساء اللاتي يبغضهن الجميع، فقد كانت أنانية وغيبية ومتشبثة بالحياة. يخيل لمن يراها أنها ليست من النوع الذي يحزن الإنسان من أجله ولكنني بدأت أدرك كم كنت لا أعرف الكثير عن الآخرين.»

قلت معلقاً: «ولكنني ما زلت أشعر بالفضول لمعرفة من تقصدين بقولك ((مسكينة)).»

أخذت تحديق إلي ثم قالت: «إنها المرأة التي تكتب الرسائل بالطبع.»

قلت بجفاء: «لا أعتقد أن مثل هذه المرأة تستحق أي تعاطف.»
 مالت السيدة دين كالثروب للامام. ووضعت يدها على ركبته قائلة: «لكن
 ألا تفهم ألا تشعر؟ استخدم خيالك. فكر في مدى الإحباط والتعاسة التي يعاني
 منها قطعاً كل من يكتب هذه الأشياء. كم هي وحيدة ومنعزلة عن الآخرين!
 تتجرع السموم واحداً تلو الآخر ولا تجد متنفساً لها إلا بهذه الطريقة. لذا فإنني
 أشعر بتأنيب الضمير، لأن في هذه البلدة من يعيش في كل هذه التعاسة، ولا
 أعرف عنه شيئاً كان لابد أن أعرفه. يمكنك تغيير مجرى الأحداث، لا أفعل ذلك
 أبداً. ولكن الشعور بالتعاسة أشبه بذراع متعفنة، انتفخت وأسود لونها. ولو
 أحدثت فيها ثقباً وتركت السم يتدفق لتتخلص من كل سمومها دون أن يصيبها
 بأذى. نعم، إنها مسكينة، مسكينة.»

نهضت وهمت بالمغادرة.

لم أكن متفقاً معها في الرأي. فلم أستطع أن أكن أي نوع من التعاطف مع
 كاتب رسائلنا المجهولة أياً كان ما به، ولكنني سألت بفضول: «سيدة كالثروب،
 الديك أية فكرة عن هوية كاتبة الرسائل؟»

نظرت إلي بعينيها الصغيرتين المرتبكتين قائلة: «حسناً، أستطيع أن
 أخمن. لكنني قد أكون مخطئة، أليس كذلك؟»

وفيما كانت عند الباب مستعدة للخروج، استدارت لتسأل: «أخبرني، لماذا لم
 تتزوج إلى الآن يا سيد بيرتون؟»

لو أن شخصاً آخر هو من طرح هذا السؤال لقلت أنه وقح. ولكنك تشعر بأن
 الفكرة قد طرأت فجأة على ذهنها وأنها أرادت حقاً أن تعرف.

قلت مستجمعاً قواي: «هل يمكن القول أنني لم أقابل المرأة المناسبة؟»
 قالت السيدة كالثروب: «يمكننا قول ذلك، ولكنها ليست بالإجابة السديدة،
 لأنه من الواضح أن الكثير من الرجال تزوجوا من نساء غير مناسبات؟»
 في هذه المرة غادرت بالفعل.

قالت جوانا: «إنني أظن أنها مجنونة حقاً، ولكنني أحبها، إن الناس في

القرية هنا يخشونها..»

«وهكذا أنا، إلى حد ما.»

«ألا إنك لا تستطيع توقع تصرفاتها؟»

«نعم، بالإضافة إلى تخميناتها الغريبة.»

قالت جوانا ببطء: «هل تعتقد أن كاتب هذه الرسائل تعيس حقاً؟»

«لا أعرف ما الذي تفكر فيه أو تشعر به هذه الشيطانة اللعينة. فهذا لا

يعنيني شيئاً. ولكن ضحاياها هم الذين أسف عليهم.»

بدا لي غريباً الآن أن تحليلنا لعقلية صاحب القلم المسموم أهمل أوضح

الجوانب. فقد تصورت جريفيث أنه ربما تكون مبهجة، بينما تخيلتها أنا نادمة

مذعورة مما جنت يداها. أما السيدة كالثروب فترى أنها تشعر بمعاناة شديدة.

غير أن رد الفعل الحتمي والواضح الذي نفكر فيه أو بالأحرى لم أفكر أنا

فيه هو الخوف.

فبعد موت السيدة سيمينجتون، انتقلت الرسائل من فئة إلى أخرى. لا أعرف

الموقف القانوني بالضبط وإن كنت أعتقد أن سيمينجتون يعرف، ولكن من

الواضح أنه مع موت شخص بفعل إحدى هذه الرسائل، فقد أصبح موقف

كاتبة الرسائل أكثر خطورة. فمما لا شك فيه أنه إذا ما تم اكتشاف هوية كاتبة

الرسائل المجهولة فلن يؤخذ الأمر على أنه مجرد هزل. وقد نشطت الشرطة

وتم استدعاء خبير من سكوتلانديارد. وعلى هذا أصبح من الضروري على كاتبة

الرسائل المجهولة أن تظل مجهولة.

ومع التسليم بأن الخوف هو الرد الأساسي، فإن ثمة أشياء قد تترتب عليه.

ومع أنني أجهل ماهية هذه الأشياء، إلا أنني واثق من أنها ستحدث.

- ٢ -

نزلت أنا وجوانا لتناول الإفطار في وقت متأخر من صباح اليوم التالي،

وذلك التأخير لا يتناسب مع عادات سكان لايمستوك. فقد كانت الساعة التاسعة

صباحاً، وحينما كنا في لندن كانت جوانا في تلك الساعة تفتح عينيها بالكاد، بينما أكون أنا لا أزال غارقاً في النوم. ومع ذلك فحينما قالت بارتريدج: «موعد الإفطار في الساعة الثامنة والنصف، أم التاسعة؟» لم أقو أنا ولا جوانا على اقتراح تأخير ساعة أخرى.

وقد شعرت بالضيق حينما رأيت إيمي تتحدث مع مجان عند عتبة الباب. وكعادتها أطلقت للسانها العنان عند رؤيتنا.

«مرحباً أيها الكسالى! لقد استيقظت منذ ساعات.»

لقد كان هذا بالطبع شأنها وحدها. فعلى الطبيب أن يتناول إفطاره مبكراً، وعلى الأخت الوفية أن تصب له الشاي، أو القهوة. ولكن لا عذر لها في المجيء وإزعاج الجيران النائمين، فالتاسعة والنصف ليست بالموعد المناسب للزيارات الصباحية. عادت ميجان إلى غرفة الطعام لإكمال إفطارها الذي حسبما أعتقد قطعته عليها إيمي.

قالت إيمي جريفيث: «من المناسب ألا أدخل.» على الرغم من أنني لا أدري ما الذي يجعل إجبار الناس على المجيء والتحدث معهم على عتبة الباب أكثر ميزة من التحدث معهم داخل البيت. واصلت حديثها: «لقد أردت فقط أن أطلب من الأنسة بيرتون إذا كان لديها أية خضروات فائضة أن ترسلها إلى جمعية ((رد ستول)) على الطريق الرئيسي. إن كان الأمر كذلك، فسأبلغ أوين ليأخذها بسيارته.»

قلت: «لقد استيقظت مبكراً، وتتجولين مبكراً.»

قالت إيمي: «البركة في البكور كما يقولون. كما أن فرصتي أكبر في إيجاد الاس في هذا اليوم. سوف أذهب إلى السيد باي، ثم إلى برينتون عصر اليوم.»

قلت: «إن نشاطك يشعرنني بأنني متعب جداً.» وفي تلك اللحظة دق جرس الهاتف فعدت للرددة للرد عليه، تاركاً جوانا تتمتم بشك على البازل والفاصوليا الفرنسية مظهرة جهلها بخضروات الحديقة.

قلت في الهاتف: «مرحباً.»

جاءني صوت مرتبك.

على الطرف الآخر من الخط كان هناك من يلتقط أنفاسه بارتباك ثم سمعت صوتاً أنثوياً يبدو عليه التشكك: «أوه!»
قلت مرة أخرى مشجعاً: «مرحباً.»
قال الصوت مرة أخرى: «أوه!» ثم تساءلت بارتباك: «هل هذا أقصد هل هذا منزل ليتل فيرز؟»

«نعم، هو ليتل فيرز.»
«أوه. »بدا لي أن هذه الكلمة لا بد أن تأتي في افتتاحية كل جملة. تساءل الصوت بحذر: «أيمكنني محادثة الأنسة بارتريدج لدقيقة واحدة فقط؟»
قلت: «بكل تأكيد، أقول لها من؟»
«أوه، قل لها أجنس وودل.»
«أجنس وودل؟»

«نعم.»
مقاوماً إغراء أن أقول: «دونالد دك يتحدث معك. »وضعت سماعة الهاتف وصحت منادياً على بارتريدج في الطابق الثاني حيث كنت أسمع تحركاتها في الطابق الثاني.
«بارتريدج! بارتريدج!»

ظهرت بارتريدج أعلى السلم ويدها ممسحة طويلة وفي عينيها نظرة تقول: «ما الأمر الآن؟»؛ تلك النظرة التي تطل من خلف أسلوبها المهذب.
«نعم، سيدي.»

«أجنس وودل تريد الحديث معك على الهاتف.»
«معذرة يا سيدي.»
رفعت صوتي قائلاً: «أجنس وودل.»
«أجنس وودل ماذا تريد الآن؟»
متخلية عن هدونها، ألقت بارتريدج الممسحة وهزلت على السلم، حتى أن رداءها كان يُسمع له صوت لشدة احتياجها.

ولكي لا انتطفل عليها عدت إلى غرفة الطعام، حيث وجدت ميجان تتناول إفطارها بنهم. وعلى العكس من إيمي جريفيث فلم تكن ميجان تبدي «وجهاً صبوراً مشرقاً»، حتى أنها ردت علي تحية الصباح بتجهم، ثم تناولت طعامها في صمت.

فتحت جريدة الصباح وبعد دقيقتين أو ثلاثة دخلت جوانا وهي تبدو مشتتةً بعض الشيء.

قالت: «ووه! لقد تعبت. أعتقد أنني كشفت عن جهلي التام بزراعة الخضراوات. ألا توجد فاصوليا في هذا الوقت من العام؟»

قالت ميجان: «في أغسطس..»

قالت جوانا: «حسناً، إن المرء يستطيع في لندن أكلها في أي وقت..»
قلت: «إنها معلبة، يا جميلتي الحمقاء، وجاءت لنا مجمدة على سفن من أقصى البلاد..»

سألت جوانا: «مثل العاج والأبنوس والطواويس؟»

ثم قالت متفكرة: «لكم أحب أن يكون لدي طواويس..»

قالت ميجان: «أما أنا فأحب أن يكون لدي قرد..»

قالت جوانا وهي تقشر برتقالة: «إنني أتساءل كيف يكون شعوري لو كنت مثل إيمي جريفيث المفعمة بالصحة والحيوية والاستمتاع بالحياة. أعتقدون أنها شعرت من قبل بالتعب، أو الاكتئاب أو الحزن؟»

قلت إنني متأكدة من أن إيمي جريفيث لم تحزن يوماً، ولحقت بميجان عند الشرفة.

بينما أنا واقف أدخن غليونني سمعت بارتريدج تدخل حجرة الطعام قادمة من الردهة وسمعتها تقول بتجهم: «أيمكن أن أتحدث معك لدقيقة يا سيدتي؟» تمنيت ألا تبدي بارتريدج ملحوظة بأن إيميلي بارتون ستتضايق منا إذا فعلنا كذا وكذا.

واصلت بارتريدج حديثها: «يجب أن أعتذر يا سيدتي عن اتصال أحدهم بي

هنا. أقصد أن الفتاة الصغيرة كان ينبغي أن تنتهج سلوكاً أفضل، فانا لم أعتد على استخدام الهاتف ولم أسمح لأحدى صديقاتي بالاتصال بي هنا. وأنا أسفة جداً أن تصادف وتلقى سيدني المكالمة. «قالت جوانا مهدئة إياها: «لماذا؟ لا بأس بذلك إطلاقاً، لماذا ينبغي على صديقاتك ألا يتصلون بك إذا أرادوا محادثتك؟» شعرت بأن وجهه بارتريدج وإن كنت لا أراه قد أصبح أكثر صرامة وهي تقول: «إن مثل تلك الفعلة لم تحدث إطلاقاً في هذا البيت. ولم تكن الأنسة إيميلي بارتون لتسمح بذلك أبداً. وكما قلت فإنني أسفة على حدوثه، ولكن أجنس وودل التي فعلت هذه الفعلة كانت قلقة وهي صغيرة جداً أيضاً ولا تعرف السلوكيات اللائقة في بيوت السادة.»

قلت بيني وبين نفسي سعيداً: «هذه ضربة يا جوانا.» واصلت بارتريدج: «إن المتصلة تدعي أجنس، يا سيدتي، وقد اعتادت على العمل هنا تحت إشرافي. كانت تبلغ ١٦ عاماً عندئذٍ، وقد جاءت إلى هنا من الملجأ مباشرة. ولأنه لم يكن لديها بيت، أو أم، أو أي من الأقارب يقدم لها النصيحة، فقد اعتادت اللجوء إلي لأقدم إليها النصائح.»

قالت جوانا: «ثم ماذا؟» «قد كان واضحاً أن هناك المزيد من الكلام. لذا فإنني أتشجع لاسألك ما إذا كان من الممكن أن تسمح لي لأجنس بأن تأتي إلى هنا وتتناول الشاي معي بعد الظهر في المطبخ. فاليوم هو عطلتنا، وكما ترين فهناك شيء يقلقها تريد استشارتي فيه، ولم أكن لأجرؤ على طلب شيء كهذا في الأحوال العادية.»

قالت جوانا مرتبكة: «ولكن لماذا ينبغي ألا يأتي أي أحد لتناول الشاي معك؟» انتصبت بارتريدج عندئذٍ، هذا ما قالته جوانا فيما بعد، وبدأت متحفزة وهي ترد قائلة: «لم نعتد على ذلك في هذا البيت يا سيدتي، فلم تسمح السيدة بارتون أبداً بقدوم زوار إلى المطبخ، فيما عدا يوم إجازتنا، وفي ذلك الوقت كان يُسمح لنا بقضاء بعض الوقت مع الأصدقاء بدلاً من الخروج، ولكن بخلاف ذلك، في الأيام العادية، لم يكن يُسمح باستقبال أي زوار. وتحافظ الأنسة إيميلي على

هذه القواعد القديمة.»

إن جوانا متلطفة جداً مع الخدم ومعظمهم يحبونها ولكنها لم تستطع إذابة الجليد بينها وبين بارتريدج.

قلتُ عندما ذهبت بارتريدج وانضمت لجوانا بالخارج: «لا فائدة يا عزيزتي، فإن عاطفتك ولينك لم يقابلا بالتقدير. فالقواعد القديمة المتكلفة تتناسب مع بارتريدج ولا بد من اتباع السلوكيات اللائقة في بيوت السادة.»

«لم أسمع عن مثل هذه الغطرسة من قبل، كيف لا يسمحون لهم برؤية أصدقائهم؟ حسناً يا جيرى، ولكنهم لا يمكن أن يحبوا معاملتهم كالعبيد.» قلت: «من الواضح أنهم يحبون هذه المعاملة، على الأقل بارتريدج.» «لا يمكنني تخيل سبب بغضها لي، بينما معظم الناس يحبونني.»

«ربما تبغضك لأنك ربة منزل غير قديرة، فأنت لا تمررين يديك على الأرفف لتعرفي إن كان بها بقايا اتربة عالقة كما أنك لا تنتظرين تحت السجاد، ولا تسألين عما حدث لبقايا كعكة الشيكولاتة، ولا تطلبين أبداً كريم الخبز اللذيذ.» قالت جوانا: «أوه!»

ثم استطردت بحزن: «لقد فشلت في كل شيء اليوم، فقد احتقرتني إيميلي جريفيث لجهلي بمملكة الخضروات، وازدرتني بارتريدج لمعاملي لها بإنسانية. يجب أن أذهب الآن إلى الحديقة وأكل الدود.» قلت: «إن ميجان هناك بالفعل.»

كانت ميجان تتجول هناك منذ بضع دقائق، وهي الآن تقف بلا هدف وسط العشب مثل طائر متأمل ينتظر طعامه. غير أنها جاءت إلينا وقالت بعصبية: «أعتقد أنني يجب أن أعود إلى المنزل اليوم.» قلت مستاءة: «ماذا؟»

واصلت كلامها بوجه تكسوه الحمرة، ولكنها كانت تتحدث بعزم وتصميم: «لقد كنتم في غاية الكرم معي وأعتقد أنني كنت مصدر إزعاج لكما، لكنني استمتعت برفقتكما كثيراً، وعلي أن أغادر الآن، لأنه منزلي على أية حال ولا

يستطيع المرء أن يبتعد عن منزله للأبد، لذا أعتقد أنني سأغادر هذا الصباح.» حاولت أنا وجوانا إثناءها عن رأيها، ولكنها كانت مصرّة، وأخيراً أخرجت جوانا السيارة وصعدت ميجان للطابق العلوي، وهبطت بعد بضع دقائق وهي تحمل متعلقاتها.

كانت بارتريدج الشخص الوحيد الذي بدا سعيداً، فقد كانت ترسم ابتسامة على وجهها المتجهّم، حيث إنها لم تحب ميجان أبداً. كنت أقف في وسط العشب عندما عادت جوانا. سألتني إذا كنت أعتقد أنني ساعة شمسية. «لماذا؟»

«لأنك تقف مثل تمثال الحديقة، غير أننا لا نستطيع أن نضع عليك المؤشر الذي يحدد الساعات الشمسية. لقد كنت متعكر المزاج.» «إنني في حالة مزاجية سيئة. فقد استيقظنا على صوت إيمي جريفيث. «تمتت جوانا: «يا إلهي! أكان علي أن أتحدث عن تلك الخضروات!». وأضافت: «ثم غادرتنا ميجان، وقد كنت أنوي التريض بصحبتها حتى ليح بوترو.» قالت جوانا: أعتقد أنك كنت ستأخذ معك طوقاً وحبالاً.» «لماذا؟»

كررت جوانا جملتها بصوت مرتفع بينما استدارت نحو ركن المنزل متجهة إلى حديقة المطبخ: «لقد قلت: (أعتقد أنك ستأخذ معك حبالاً وطوقاً؟) لقد فقد السيد كلبه، وهذا ما يضايقك.»

- ٣ -

يجب أن أعترف بأنني تضايقت من الطريقة التي غادرتنا بها ميجان. ربما ملت منا فجأة، فعلى كل حال، لم تكن حياتنا مسلية لفتاة في مثل سنّها. أما في منزلها فهناك طفلان وإلسي هولاند. سمعت وقع خطوات جوانا فتحرّكت بسرعة حتى لا تمطرني بمزيد من

تعليقاتها الوقحة عن الساعة الشمسية.

جاء أوين جريفيث بسيارته قبل الغداء بوقت قصير، وقد كان البستاني في انتظاره بخضروات الحديقة.

وبينما كان آدمز العجوز يضع الخضرات في السيارة، دعوت أوين للدخول معي إلى البيت لتناول بعض العصير. ولم يكن مقررًا أن يبقى معنا إلى الغداء. وعندما دخلت بالشراب وجدت جوانا قد نصبت شباكها.

لم يكن هناك أي مؤشرات للعداء حتى الآن. فقد كانت متكومة في ركن الأريكة وهي تطرح على أوين أسئلة عن عمله؛ ما إذا كان يحب عمله كمارس عام، وما إذا كان يحب التخصص في ناحية معينة. وقد كانت ترى مهنة الطب واحدة من أروع الأشياء في العالم.

يمكنك أن تقول عنها ما تشاء، ولكن جوانا مستمعة رائعة. وبعد استماعها للكثير ممن يدعون العبقرية والذين يخبرونها بمدى التجاهل الذي يلقونه وعدم تقدير عبقريتهم، فإن استماعها لأوين جريفيث أمر في غاية اليسر. ولم يمض الكثير من الوقت حتى كان أوين يخبرها ببعض التفاعلات والأمراض الغامضة مستخدماً تلك المصطلحات الطبية التي لا يمكن لأحد أن يفهمها إلا إذا كان طبيباً.

كانت جوانا تتظاهر بالذكاء والاهتمام البالغ.

شعرت للحظة بتأنيب الضمير. فلم يكن يجدر بجوانا أن تتلاعب بأوين جريفيث ذلك الرجل الطيب.
إن النساء ماكرات حقاً...

ثم أخذت أدقق النظر إلى الجزء الجانبي من وجه أوين جريفيث، ورأيت لحيته الطويلة وشفتيه المتجهمتين، فشككت في قدرة جوانا على نيل مرادها. وعلى أية حال ينبغي على الرجل ألا يجعل نفسه دمية في يد امرأة تتلاعب به كيفما تشاء. وإن فعل فليتحمل العواقب.

وعندئذ قالت جوانا: «غير رأيك يا سيد جريفيث وابق معنا إلى الغداء.»

فاحمر وجه جريفيث، وقال إنه كان يتمنى ذلك إلا أن أخته تنتظر عودته. قالت جوانا بسرعة: «سوف نتصل بها ونشرح لها الأمر.» ثم خرجت إلى الردهة ونفذت ما قالت.

أعتقد أن جريفيث كان مضطرباً بعض الشيء، وخطر ببالي أنه كان يخشى أخته. عادت جوانا مبتسمة وقالت أن الأمور على ما يرام.

ومكث معنا أوين جريفيث حتى موعد الغداء، وبدا لي أنه مستمتع. تحدثنا عن الكتب وعن السياسة والأعبيها، كما تحدثنا عن الموسيقى والرسم وعن العمارة الحديثة.

لم نتحدث مطلقاً عن لايمستوك أو الرسائل المجهولة، أو انتحار السيدة سيمينجتون. وأحسب أن أوين جريفيث كان سعيداً بحديثنا؛ فقد أشرق وجهه الأسود الحزين، وكشف عن عقليته المشوقة.

عندما غادر قلت لجوانا: «إنه رجل طيب ولا يستحق منك التلاعب.»

قالت جوانا: «هذا ما تقوله أنت! فأنتم معشر الرجال تشدون أزر بعضكم البعض!»

«لماذا تحاولين الإيقاع به يا جوانا؟ أهو كبرياؤك المجروح؟»

قالت أختي: «ربما.»

- ٤ -

كان من المقرر اليوم أن نذهب عصر اليوم لتناول الشاي مع إيميلي بارتون في غرفتها التي تقيم بها في القرية. ذهبنا سيراً على الأقدام، وذلك لأنني شعرت بالقوة الكافية لصعود التل في طريق عودتنا.

ولابد أننا أخطأنا في تقدير الوقت اللازم لقطع الطريق فوصلنا مبكراً، وقد فتحت لنا الباب امرأة طويلة قاسية الملامح وأخبرتنا أن الأنسة إيميلي بارتون لم تعد بعد.

«ولكنني أعرف أنها تنتظر كما، لذا تفضلاً بالدخول وانتظراها من فضلكما.»

كان من الواضح أن هذه المرأة هي المخلصة فلورنسا.

تبعتها صاعدين الدرج حتى فتحت لنا باباً وأدخلتنا في غرفة جلوس

مريحة جداً، وإن بدت مكتظة بالاثاث إلى حد ما. وشككت أن بعض هذا الاثاث أتى من ليتل فيرز.
كان من الواضح أن المرأة فخورة بحجرتها. فقالت: «إنها غرفة جميلة، أليس كذلك؟»

قالت جوانا بحماس: «جميلة جداً.»
«أعمل على راحتها قدر الإمكان، وإن كنت لا أستطيع خدمتها كما ينبغي. فقد كان ينبغي أن تكون في منزلها، فهذا ما يليق بها، لا أن تعيش في حجرتين.»
كانت فلورنسا تنظر إلي أنا وجوانا نظرة تنم عن التوبيخ. فشعرت أن هذا ليس يوم حظنا، فقد تعرضت جوانا للتقريع على يد كل من إيمي جريفيث وبارترديدج، وها نحن نتعرض للتقريع من فلورنسا سليطة اللسان.
أضافت قائلة: «لقد عملت هناك مديرة للمنزل لمدة خمسة عشر عاماً.»
قالت جوانا وهي تشعر بالقهر: «حسناً، لقد ارتضت الأنسة بارتون ترك المنزل، وتركته تحت تصرف وكلاء العقار.»
قالت فلورنسا: «لقد أجبرت على ذلك، وهي تعيش حياة مقتصدة وحريصة، ومع ذلك لم تتركها الحكومة وشأنها! فكان عليها أن تدفع الكثير من الضرائب.»
هزرت رأسي بحزن.

قالت فلورنسا: «لقد كان هناك الكثير من الأموال في أيام السيدة العجوز، ثم مات الجميع واحدة بعد الأخرى، أه يا عزيزاتي المساكين. وقد كانت الأنسة إيميلي تمرضهن واحدة بعد الأخرى. وقد أفنت زهرة شبابها وهي صابرة دون أن تتذمر أو تشكو. ولكن ذلك أثر عليها، ولم يقتصر الأمر على هذا وحسب، بل كان ينقصها القلائل والازمات المالية أيضاً لتضاعف أحزانها! فلم تعد الأسهم تدر عليها عوائد كالعادة، ولكن لماذا لم تعد تدر عوائد؟ أريد أن أعرف. كان عليهم أن يخلجوا من أنفسهم وهم يخدعون سيدة مثلها لم يعد ذهنها قادراً على التعامل مع الأرقام ولا تستطيع مسابقة حيلهم.»
قلت: «ولكن الجميع تعرضوا لهذه المشاكل.» ولكن فلورنسا لم تلتن أو تهدأ.

«لا بأس بذلك لمن لديهم القدرة على الاعتناء بأنفسهم، أما بالنسبة لها هي فالأمر مختلف. إنها تحتاج إلى رعاية، وما دامت معي فلن أسمح لأحد بأن يقتلها أو يضايقها بأي شكل من الأشكال. إنني مستعدة لفعل أي شيء من أجل الأنسة إيميلي.» وحدثت إلينا لبضع لحظات حتى تتأكد من أننا فهمنا المقصود من هذه العبارة، ثم تركتنا فلورنسا القاسية وأغلقت الباب وراءها بحررص. تساءلت جوانا: «ألا تشعر بأنك مصاص دماء يا جيرى؟ لأن هذا ما أشعر به. ما هذا الذي يحدث لنا؟»

قلت: «يبدو أننا لا نحظى بالقبول، فقد ملّت منا ميجان، ووبختك بارتريدج، وهامي المخلصة فلورنسا توبخنا نحن الاثنان.»

تمتعت جوانا: «إنني أتساءل، لماذا غادرتنا ميجان؟»

«لأبد أنها شعرت بالملل في صحبتنا.»

«لا أعتقد ذلك على الإطلاق. هل تعتقد أن إيمي جريفيث أخبرتها بشيء كان السبب في رحيلها؟»

«تقصدين هذا الصباح، عندما كانتا تتحدثان عند عتبة الباب؟»

«نعم، لم تبقىاً معاً لفترة طويلة، بالطبع، ولكن»

قاطعتها مكملاً جملتها: «ولكن وطأة تلك المرأة قوية ربما»

فُتح الباب ودخلت الأنسة إيميلي بارتون. كان وجهها محمراً بعض الشيء، وبدأت مرهقة ومقطعة الأنفاس لحد ما. كانت عيناها الزرقاوان تلمعان. حيثنا بطريقة توحى بشرودها الذهني.

«أوه، يا أعزائي، أسفة لتأخيري. فقد كنت أقوم بجولة تسوقية في البلدة، ولم يرق لي الكعك في مخبز البلو روز، حيث بدا أنه غير طازج، لذا ذهبت إلى مخبز السيدة ليجون. إنني أحب دنماً شراء الكعك في نهاية جولتي التسوقية حتى أحصل عليه طازجاً بعد خروجه من الفرن مباشرة، بدلاً من شراء كعك اليوم السابق. ولكنني مستاءة من ترككما تنتظران إن هذا الأمر لا يغتفر حقاً» قاطعتها جوانا قائلة: «إنه خطانا نحن يا سيدة بارتون. فقد جننا سيراً على

الاقدام وأصبح جيرى يقفز بسرعة الآن، لذا وصلنا قبل موعدنا.»
«كلا، لا تقولي هذا يا عزيزتي، فالمرء لا يمل أبداً من الصحة الجميلة.»
ربت السيدة العجوز على كتف جوانا بحنان.
تهللت أسارير جوانا ؛ فأخيراً بدا أنها أحرزت نجاحاً. ثم شملتني إيميلي
بارتون بابتسامتها، ولكن بمسحة من التحفظ، تماماً كما يقترب المرء من نمر
ضمن للحظة أنه لن يؤذيه.

«كم هو لطيف منك يا سيد بيرتون أن تحضر مناسبة نسائية مثل تناول الشاي.»
أعتقد أن إيميلي بارتون لديها صورة ذهنية عن الرجال تظهرهم كأناس
يتناولون الكحوليات ويدخنون السجائر، وفي أوقات الاستراحة يخرجون لإغواء
فتيات القرية وتكوين علاقات غرامية مع النساء المتزوجات.
عندما قلت ذلك لجوانا لاحقاً، ردت بأن إيميلي بارتون ربما كانت تفكر
باللاوعي أن يقابلها رجل من هذه النوعية، ولكن من أسفها لم يحدث ذلك أبداً.
في هذه الأثناء كانت الأنسة إيميلي بارتون تضع أمامي أنا وجوانا مناضد
صغيرة، وتضع عليها بعضاً من منافض السجائر بحذر، وبعد دقيقة فُتح الباب
ودلفت فلورنسا حاملة صينية شاي عليها أكواب فاخرة خمّنت أن إيميلي بارتون
قد أحضرتها معها. كان الشاي صينياً ولذيذاً وكانت هناك شطائر رقيقة من
الخبز والزبدة وبعض الكعك.

كانت فلورنسا متلهلة الأسارير الآن، ونظرت إلى إيميلي كما تنظر الأم إلى
طفلها الحبيب وهو يستمتع بدمى حفلة الشاي.
أكلت أنا وجوانا أكثر مما كنا نريد، حيث كانت مضيفتنا تضغط علينا
بالحاح لتناول المزيد. كان من الواضح أن السيدة الصغيرة مستمتعة بحفلة
الشاي التي أعدتها، وأدركت أنني وجوانا نُعتبر بالنسبة لإيميلي بارتون مغامرة
كبيرة، شخصين من عالم لندن الغامض والمعقد.
وبالطبع تطرق حديثنا إلى الأوضاع المحلية. تحدثت الأنسة بيرتون عن الطبيب
جريفيث بحماس وعن شخصيته اللطيفة وعن مهاراته كطبيب. وكذلك السيد

سيمنجتون، إنه محام بارع جداً وساعد السيدة بارتون على استرداد بعض المال من ضرائب الدخل التي لولاه ما كانت لتعرف عنها شيئاً. كما أنه لطيف جداً مع أطفاله ويكرس نفسه لهم ولزوجته قاطعت نفسها قائلة: «إنها مسكينة السيدة سيمنجتون، إنه لآلم فظيع أن يُترك هؤلاء الأطفال أيتام الأم. ربما لم تكن أماً قوية قط كما أن صحتها كانت معتلة مؤخراً. لابد أنها كانت نوبة عصبية. لقد قرأت عن مثل هذه الأشياء في الجرائد، حيث لا يشعر المرء بما يصدر منه من أفعال في مثل هذه الظروف. ولابد أنها لم تكن تعرف ما تفعل وإلا لتذكرت السيد سيمنجتون وأطفالها.» قالت جوانا: «لابد أن تلك الرسالة المجهولة قد صدمتها صدمة عنيفة.»

احمر وجه السيدة بارتون، وقالت بنبرة من التوبيخ في صوتها: «أعتقد أنه لا يجدر بنا الخوض في هذا الموضوع غير اللطيف، أليس كذلك؟ أعرف أن هناك رسائل، ولكننا لن نتحدث عنها، فهي أشياء مثيرة للاشمئزاز. لذا أعتقد أنه من الأفضل تجاهلها.»

حسناً، ربما كانت السيدة إيميلي بارتون قادرة على تجاهلها، ولكن بالنسبة لمعظم الناس لم يكن هذا بالأمر السهل. ومع ذلك فقد غيرت مجرى الحديث وتحدثنا عن إيمي جريفيث.

قالت إيميلي بارتون: «يا لها من فتاة رائعة، رائعة جداً. إن حيويتها وقدرتها التنظيمية كبيرة حقاً. كما أنها لطيفة مع الفتيات أيضاً، وهي عملية للغاية وعصرية في جميع المجالات. إنها تدير هذا المكان حقاً، بالإضافة إلى تكريسها حياتها ل أخيها. إنه لأمر رائع أن ترى هذا الإخلاص بين أخ وأخته.»

سألت جوانا: «ألا يشعر بأنها تتحكم في حياته إلى حد ما؟» حدقت إليها إيميلي بارتون بشيء من الفزع. وقالت لها بنبرة تنم عن التوبيخ: «لقد ضحت بالكثير من أجله.»

رأيت عيني جوانا تشيران بعلامات السخرية. فسارعت بتغيير دفة الحديث إلى السيد باي.

كانت إيميلي بارتون مرتبكة بعض الشيء عندما تحدثنا عن السيد باي.

فكل ما قالته عنه، وكررته بنبرة تشكك، أنه لطيف جداً نعم لطيف جداً، وأنه طيب وكريم أيضاً. وأنه أحياناً يأتيه زوار غرباء جداً، ولكن هذا طبيعياً لأنه كان يسافر كثيراً.

اتفقنا معها على أن السفر لا يعمل على توسيع أفق المرء فحسب، بل إنه أيضاً يؤدي إلى تكوين معارف غريبة.

قالت إيميلي بارتون بحزن: «لكم تمنيت الخروج في رحلة بحرية. فانا أقرأ الكثير عن هذه الرحلات في الصحف وهي تبدو جذابة.»

سألتها جوانا: «لم لا تخرجين في رحلة كهذه؟» يبدو أن محاولة تحويل هذا الحلم إلى حقيقة قد دق جرس الإنذار عند إيميلي بارتون، فقالت: «أوه، لا، لا، هذا مستحيل.»

«ولكن لماذا؟ إنها رخيصة جداً.»
«أوه، ليست التكلفة وحسب هي السبب، ولكنني لا أحب السفر وحدي، فهذا يبدو لي وضعاً شاذاً جداً، أليس كذلك؟»
قالت جوانا: «كلا.»

نظرت إليها الأنسة إيميلي بتشكك.
«ولا أعرف كيف أتعامل مع أمتعتي والوقوف على أرصفة الموانئ الأجنبية وكل تلك العملات المختلفة»

بدا لي أن عدداً من القبعات لا يحصى قد ظهرت أمام السيدة الصغيرة الخائفة، فأسرعت جوانا بتهدئتها عن طريق سؤالها عن مهرجان الحدائق ومعرض المشغولات اليدوية. وقد قادنا هذا تلقائياً إلى السيدة دين كالشروب.

بدت مسحة خفيفة من التشنج على وجه السيدة إيميلي بارتون.
قالت: «إنها امرأة غريبة حقاً يا عزيزتي، وخاصة تلك الأشياء التي تقولها أحياناً.»
سألتها عن هذه الأشياء.

«أوه، لا أعرف بالضبط، إنها أشياء غير متوقعة تماماً. والطريقة التي تنظر إليك بها، كما لو كنت ليس موجوداً هناك بل شخصاً آخر إنني أعبر عن ذلك بطريقة

سيئة ولكن من الصعب توصيل الانطباع الذي أقصده. ثم إنها لن تتدخل، حسناً، لن تتدخل أبداً. فهناك الكثير من القضايا التي تستطيع زوجة رجل الدين تقديم النصح بشأنها. ويمكنهم تقويم الناس وجعلهم يصلحون حياتهم. ولأن الناس يصغون إليها، فأنا متأكدة من أنهم سيهابونها. ولكنها تصر على الانعزال والابتعاد، ولديها تلك العادة الغريبة بالشعور بالأسف على أناس لا يستحقون أي أسف على الإطلاق.»

تبادلت نظرة سريعة مع جوانا، قائلاً: «هذا مثير حقاً.»
«ومع ذلك فهي امرأة كريمة النسب، فهي سليمة أسرة فارواي من بيلباث، وهي أسرة عريقة ولكن تلك الأسر العريقة تكون غريبة الأطوار أحياناً، ولكنها تكرس حياتها لزوجها، ذلك الرجل الحاد الذكاء والذي أخشى أنه ضيع هذا الذكاء في تلك البلدة. إنه رجل طيب ونقي، ولكنني دائماً أجد عباراته اللاتينية مربكة.»
قلت بحماس موجهاً كلامي لجوانا: «اسمعي، اسمعي.»
قالت جوانا: «لقد تلقى جيرى تعليمه في مدرسة عامة مرتفعة التكاليف، لذا فإنه لا يفهم اللاتينية.»

وقد جعل هذا إيميلي بارتون تتطرق إلى موضوع جديد. قالت: «إن مديرة المدرسة هنا شابة كريهة جداً. أخشى أنها شيوعية حتى النخاع.»، وقد أخفضت صوتها عند نطق كلمة «شيوعية». وأثناء صعودنا التل في طريق عودتنا، قالت لي جوانا: «إنها امرأة لطيفة.»

- ٥ -

على العشاء في تلك الليلة، قالت جوانا لبارتريدج إنها تتمنى أن تكون حفلة الشاي التي أقامتها قد نجحت.

احمر وجه بارتريدج وزادت صلابتها.

«شكراً لك يا سيدتي، ولكن أجنس وودل لن تحضر على أية حال.»

«أوه، أسفة.»

قالت بارتريدج: «إن الامر لم يكن يهمني من الأساس.»

كانت مستاءة إلى الحد الذي جعلها تتنازل وتفضي لنا بضيقها. «لم أكن أنا التي فكرت في طلبها! بل هي التي اتصلت وقالت أن هناك شيئاً يقلقها، وطلبت المجيء إلى هنا، على أساس أنه يوم إجازتها. وقلت لها أنني لا أوافق إلا إذا سمحت أنت بذلك، وقد سمحت لي. وبعد ذلك لم أسمع أو أرى منها شيئاً! ولم تكلف نفسها وتعتذر عن عدم المجيء»، وإن كنت أتمنى أن أتلقي منها رسالة اعتذار صباح الغد. إن هؤلاء الفتيات لا يعرفن حدودهن وليست لديهن فكرة عن السلوكيات اللائقة.»

حاولت جوانا تضميد مشاعر بارتريدج الجريحة. «ربما داهمتها بعض النتائج الصحية، ألم تتصلي بها لتستكشف الأمر؟» انتصبت بارتريدج مرة أخرى. «كلا، لم أفعل يا سيدتي. إن كانت أجنس تحب التصرف بوقاحة فهذا من شأنها، ولكنني سأوبخها عندما نتقابل.»

خرجت بارتريدج من الغرفة وهي لا تزال متصلبة الملامح وضحكتنا أنا وجوانا. قلت: «ربما كانت إحدى حالات «عمود نصائح العمدة نانسي (إن مشاعر خطيبي باردة جداً تجاهي، ما الذي ينبغي علي فعله حيال هذا الأمر؟) ومع فشل العمدة نانسي، كان عليها اللجوء إلى بارتريدج لطلب النصيحة، بيد أنه تم حل المشكلة وأتوقع في هذه اللحظة أن أجنس وخطيبها يتنزهان معاً وهم في غاية السعادة.» ضحكت جوانا وقالت إنها توقعت الأمر نفسه.

بدأننا نتحدث عن الرسائل المجهولة وتساءلنا عما يمكن أن يكون قد توصل إليه ناش وجريفز الكنيب: «لقد مضى أسبوع بالتمام منذ أن انتحرت السيدة سيمنجتون. ولا بد أنهم قد توصلوا إلى شيء ما الآن. بصمات الأصابع أو خط اليد أو شيء ما.» أجبته وأنا شارد الذهن، ففي عقلي الباطن كان هناك شيء لا يريحني وأخذ في التناهي، وكان يرتبط على نحو ما بعبارة «أسبوع التمام» التي استخدمتها جوانا. أجزؤ على القول أنه كان يتوجب علي التوصل إلى هذه الحقيقة مسبقاً. فربما كان عقلي متشككاً بالفعل.

على أية حال فإن الخميرة تعمل الآن، والقلق أخذ في التزايد، حتى بلغ مبلغه. لاحظت جوانا فجأة أنني لم أكن أنصت إليها.
«ما الخطب يا جيري؟»

لم أرد عليها لأن ذهني كان مشغولاً بترتيب الأشياء. انتحار السيدة سيمينجتون... وجودها بمفردها عصر ذلك اليوم... بمفردها في المنزل، وذلك لأن الخادومات كن في يوم إجازتهن.. منذ أسبوع بالتمام.
«جيري، ماذا»

قاطعتها: «جوانا، إن الخادومات يأخذن عطلات مرة واحدة في الأسبوع، ليس كذلك؟»

قالت جوانا: «نعم ويتناوبن أيام الأحد، ما الذي
«لا عليك بأيام الأحد، هل يخرجن في نفس اليوم طوال الأسبوع؟»
«نعم، هذا هو المعتاد.»

كانت جوانا تتحدث إلي بفضول، فلم يلتقط عقلها الخيط الذي التقطته أنا. وقفت وقمت بدق الجرس، فجاءت بارتريدج.
قلت: «أخبريني عن أجنس وودل هذه، هل تعمل خادمة؟»
«نعم يا سيدي، في بيت السيدة سيمينجتون، أو حرى بي الآن أن أقول بيت السيد سيمينجتون.»

أخذت نفساً عميقاً ونظرت إلى الساعة. فوجدتها تشير إل العاشرة والنصف.
«هل تعتقدين أنها عادت إلى المنزل الآن؟»
كانت بارتريدج تنظر إلى باستهجان:
«أجل سيدي، إن الخادومات يجب أن يكنَّ هناك قبل العاشرة. إنهن يتبعن التقاليد القديمة.»

قلت: «سوف أجري مكالمة هاتفية.»
خرجت إلى الردهة وتبعني جوانا وبارتريدج. كانت بارتريدج مغتاضة جداً، بينما كانت جوانا متحيرة، فقالت بينما كنت أطلب الرقم: «ماذا تفعل يا جيري؟»

«أود التأكد من الفتاة قد عادت بسلام.»
 تنهدت بارتريدج، مجرد تنهيدة لا أكثر. ولكنني لا أبالي إطلاقاً بتنهيديات بارتريدج.
 ردت إلسي هولاند على الهاتف.
 قلت: «أسف على الاتصال. معك جيرى بيرتون. هل اجاءت خادمتم أجنس إلى البيت؟» «لم أشعر بالحماقة إلا بعدما قلت ما قلت. لأنه إذا ما كانت الفتاة في البيت ولم يمسها سوء، فكيف سأبرر اتصالي وسؤالي عنها.
 كان من الأفضل أن أدع جوانا تطرح هذا السؤال، وإن كان هذا أيضاً يحتاج لمبرر. لقد تنبأت بموجة جديدة من النميمة في لايمستوك تدور حولي أنا وأجنس وودل المجهولة.
 بدت إلسي هولاند مندهشة.
 «أجنس! أوه بالتأكيد إنها هنا الآن.»
 شعرت بالحماقة و ولكنني واصلت: «هلا تأكدت من وجودها يا أنسة هولاند؟»
 هناك شيء لابد من قوله عن كياسة المربيات، إنهن معتادات على فعل ما يؤمن به دون أن يسألن عن السبب! وضعت إلسي السماعة وذهبت طائفة.
 بعد دقيقتين سمعت صوتها.
 «هل لا تزال على الخط يا سيد بيرتون؟»
 «نعم.»
 «لم تصل أجنس بعد، وقد تأكدت من ذلك.»
 عرفت عندئذ أن حدسي كان في محله. سمعت ضوضاء على الطرف الآخر من الخط، ثم تحدث إلي السيد سيمينجتون نفسه: «مرحباً سيد بيرتون و ما الخطب؟»
 «لم ترجع خادمتمك أجنس بعد؟»
 «كلا، لقد تأكدت الأنسة هولاند توأ من ذلك. ما الخطب؟ لم يقع لها حادث،
 ليس كذلك؟»
 «لا، ليس حادثاً.»
 «أتعني بأن لديك سبباً للاعتقاد بأن ثمة شيئاً قد حدث للفتاة؟»
 قلت متجهماً: «لن أندش إن حدث لها شيء.»

الفصل الثامن

- ١ -

لم أهنأ باليوم تلك الليلة. فقد كانت أجزاء اللغز تسبح أمام ذهني. وأعتقد أنني لو فكرت فيها يامعان، لكن قد توصلت إلى حل اللغز بأكمله عندئذ وأنا مستلقي على فراشي، وإلا فلماذا تلح هذه الأجزاء على مخيلتي بهذا الشكل؟



ما مقدار ما نعرفه في أي وقت؟ أعتقد أننا نعرف أكثر مما ندرك معرفتنا به! ولكننا لا نستطيع النفاذ إلى تلك المعرفة الخفية. إنها هناك، ولكننا لا نستطيع الوصول إليها.

استلقيت على سريري وأخذت أتقلب متململاً، ولم يطرأ على ذهني سوى أجزاء غامضة من اللغز، الأمر الذي عذّبني طوال الليل. كان هناك نمط منتظم في إرسال هذه الخطابات، فقط لو استطعت لإمساك بهذا الخيط. كان يجب أن أعرف كاتب هذه الرسائل اللعينة: هناك في مكان ما، فقط لو استطعت تتبّعه...

حينما أغمضت عيني لأنام، تراقصت الكلمات أمام ذهني المشوش دونما ترتيب. «لا دخان بلا نار. لا دخان بدون نار. دخان... دخان؟ الساتر الدخاني... لا، كان ذلك في الحرب عبارة حربية. حرب... قصاصة ورق... مجرد قصاصة ورق. بلجيكا ألمانيا.

رحت في نوم عميق، وحلمت بأنني أخذ السيدة دين كالثروب، للتزهر بعد أن تحولت إلى كلب صيد في عنقه طوق أمسكه بحبل.

- ٢ -

استيقظت فجأة على رنين هاتف، رنين متصل ملح. جلست في الفراش ونظرت إلى ساعتني. كانت الساعة السابعة والنصف. لم ينادني أحد. كان الهاتف

يدق في الطابق الأسفل في الردهة.

قفزت من على الفراش، وارتديت ملابس النوم، وهرعت للأسفل. سبقت بارتريدج التي كانت قادمة عبر الباب الخلفي للمطبخ. رفعت السماعة.
«مرحباً..»

«أوه كان بالصوت نبرة استغاثة أهذا أنت؟»

إنه صوت ميجان. بدا صوتها مذعوراً؟ «أوه، من فضلك تعال تعال. أوه أرجوك تعال. هل ستأتي؟»

«سأتي فوراً. هل تسمعينني؟ فوراً؟»

صعدت السلم درجتين درجتين وهرعت إلى جوانا.

«جوانا، انني ذاهب إلى منزل سيمينجتون.»

رفعت جوانا شعرها الأشقر من على الوسادة وفركت عينيها كطفلة صغيرة.
«لماذا ماذا حدث؟»

«لا أعرف، إنها تلك الطفلة ميجان. لقد بدت مذعورة!»

«ما الذي حدث في اعتقادك؟»

«إنها الفتاة أجنس، إن لم أكن مخطئاً.»

«انتظر، سوف آتي معك لأوصلك بالسيارة.»

«لا داعي لذلك، سأقودها بنفسي.»

«إنك لا تستطيع قيادة السيارة.»

«بل، أستطيع.»

وقد قدتها فعلاً. وقد المتني ساقلي ولكن ليس كثيراً. اغتسلت وحلقت ذهني وارتديت ملابسني، وأخرجت السيارة وقدها متوجهاً إلى بيت سيمينجتون حتي وصلت هناك خلال نصف ساعة من تلقي مكالمة ميجان الهاتفية. وهذه فترة لا بأس بها.

لا بد أن ميجان كانت ترقب وصولي، فقد خرجت من المنزل بسرعة واحتضنتني. كان وجهها الصغير ممتعاً ومرتعشاً.

«أوه، ها قد أتيت ها قد أتيت.»

قلت: «تماسكي يا عزيزتي، نعم لقد أتيت، والآن ما الأمر؟»
بدأت ترتجف، فوضعت ذراعي حولها.

«لقد لقد وجدتها.»

«وجدت أجني؟ أين؟»

زادت حدة الارتعاش.

«أسفل الدرج، هناك خزانة تحته، بها طعم الصيد وأدوات الجولف وأشياء أخرى كما تعرف.»

أومات، إنها تلك الخزانات المعتادة.

«كانت هناك، ملقاة و... وباردة باردة جداً. لقد كانت كانت ميتة. يا له من أمر فظيع!»

سألته بفضول: «ما الذي جعلك تنتظرين هناك؟»

«لا لا أعرف، بعدما اتصلت بنا ليلة الأمس، بدأنا نتساءل عن مكان أجنس. وقد انتظرنا لبعض الوقت، ولكنها لم تأت. وأخيراً ذهبنا لننام. لم أنم جيداً واستيقظت مبكراً ولم يكن هناك سوى روز (الطاهية، كما تعرف). كانت غاضبة جداً لعدم عودة أجنس. وقالت إنها كانت من قبل في أحد البيوت عندما هربت فتاة بمثل هذه الطريقة. ثم تناولت بعض الخبز واللبن والجبن في المطبخ، وفجأة دخلت علي روز وهي تبدو غريبة، وقالت إن ملابس الخروج الخاصة بأجنس لا تزال في حجرتها. لقد كانت أفضل ملابسها التي ترتديها عند الخروج. فبدأت أتساءل ما إذا كانت قد تركت المنزل من الأساس، وبدأت البحث عنها ثم فتحت الخزانة الواقعة تحت السلم. ووجدتها هناك.»

«هل اتصل أحدكم بالشرطة؟»

نعم، إنهم هناك الآن. لقد اتصل زوج أمي على الفور. وعندئذ شعرت شعرت بأنني لا أستطيع تحمل الموقف فاتصلت بك. هل لديك مانع؟
قلت: «كلا، لا مانع لدي على الإطلاق.»

نظرت إليها بفضول.

«هل أعطاك أحدهم شايًا أو عصيرًا أو قهوة بعدما بعدما وجدتها؟»

هزت ميغان رأسها بالنفي.

صبت اللعنان على كل أهل بيت سيمينجتون. ذلك المغرور لم يفكر سوى بالإتصال بالشرطة. ويبدو أنه لا إسي هولاند ولا الطاهية فكرتا بتأثير ما حدث على تلك الطفلة الصغيرة الحساسة التي اكتشفت أمر الجثة.»

قلت: «تعالى يا عزيزتى، سوف نذهب إلى المطبخ.»

دردنا حول البيت ودخلنا إلى المطبخ من الباب الخلفي. كانت روز تلك المرأة البدينة ذات الوجه المنتفخ بجوار المدفأة. حيثنا بسيل دافق من الكلام ويدها على قلبها.

قالت لى أنها قد فرغت وأصيبت بصدمة عنيفة عند اكتشافها هذا الأمر الرهيب! فقط فكر في الأمر، كان يمكن أن تكون هي، كان يمكن أن يكون أي واحد منهم، مقتولا على الفراش.

قلت: «صبي قدحاً من الشاي للآنسة. ميغان، فهي من تلقت الصدمة كما تعرفين. تذكرى أنها من اكتشفت أمر الجثة.»

مجرد ذكر الجثة أصيبت روز بالفرع مرة أخرى، ولكنني رمقتها بنظرة حادة فصبت كوباً من الشاي الثقيل.

قلت لميجان: «اشربى هذا يا فتاتي العزيزة. أعتقد أنك لم تشربى أي عصير، أليس كذلك يا روز؟»

قالت روز بتشكك إن هناك بعض عصير البرتقال منذ البارحة.

قلت: «هذا يفي بالغرض.» ثم صبت كوباً من العصير لميجان. رأيت في عيني روز استحسان تلك الفكرة.

قلت: «هل أستطيع الاعتماد عليك للاعتناء بالآنسة ميغان؟» «ردت روز بطريقة مطمئنة: «أوه، نعم سيدي.»

ودلفت إلى الغرفة. ومن خلال معرفتي بنوعية الشخصيات المشابهة

لشخصية روز كنت متأكداً من أنها ستجد أنها عليها ان تتناول القليل من الطعام لكي تحافظ على قواها، وهذا أمر جيد بالنسبة لميجان أيضاً. يا لهؤلاء الجاحدين، لماذا لا يعتنون بتلك الطفلة؟

وتوجهت إلى إلسي هولاند بالردهة وأنا أكاد أنفجر من شدة الغيظ والغضب. لم تبد عليها المفاجأة لرؤيتي. اعتقد أن الإثارة الشديدة الناتجة عن اكتشاف أمر الجثة، جعلت أهل المنزل لا يبالون بمن يأتي ويذهب. كان المفتش، بيرت روندل، يقف عند الباب الامامي. تنهدت إلسي هولاند قائلة: «أوه، سيد بيرتون و ليس هذا رهيباً؟ من ذا الذي يستطيع ارتكاب هذا الشيء الفظيع؟»
«هي جريمة قتل إذن؟»

«أوه، نعم، لقد ضربها أحدهم على مؤخرة رأسها. إنها مغطاة بالدم والشعر أوه ياله من أمر رهيب وتم حشرها داخل تلك الخزانة. من ذا الذي يستطيع الإقدام على فعل هذا الأمر الشرير؟ ولماذا؟ مسكينة أجنس، أنا متأكدة أنها لم تؤذ أحداً.»

قلت: «كلا، لابد أن أحدهم رأى أن التخلص منها أمراً ضرورياً.»
حدقت إلي، أدركت أنها ليست ذكية ولكنها قوية الأعصاب. كان مزاجها عادياً ولكنها كانت تشعر ببعض الاهتمام والإثارة، حتى أنه قد هيئ لي أنها تستمتع بهذه الأحداث الدرامية بطريقة ما، على الرغم من رقة قلبها.

قالت معذرة: «علي أن أذهب لاعتني بالأطفال، فالسيد سيمينجتون حريص جداً على عدم إصابتهم بالصدمة. إنه يريدني أن أبقىهم بعيداً.»
قلت: «لقد سمعت أن ميجان هي من اكتشف أمر الجثة، هل اعتنى أحد بها؟»
للحق بدت إلسي هولاند متألمة الضمير.

قالت: «أوه، يا عزيزتي، لقد نسيتها تماماً. أتمنى أن تكون بخير. لقد كنت مرتبكة، كما تعرف، بالإضافة إلى وجود الشرطة وما إلى ذلك ولكن كان هذا خطأ مني. يا للفتاة المسكينة، لابد أنها منهارة الآن. سوف أذهب وألقي نظرة عليها.»
شعرت ببعض الارتياح، وقلت: «إنها بخير، وروز تعتني بها. يمكن أن تذهبي

إلى الأطفال.»

شكرتني، فابتسمت وكشفت عن صف من الأسنان البيضاء، وهرعت صاعدة الدرج. فعلى كل حال، فإن مهمتها رعاية الطفلين، وليست ميجان ميجان ليست مهمة أحد. لقد عينت إلسي للاعتناء بأبناء سيمينجتون، ومن ثم لا يستطيع المرء لومها على ذلك.

بينما كانت عند منحني الدرج، حبست أنفاسي. حيث لمحت في عينيها بريق الانتصار، فبدت أقرب إلى امرأة قوية وجميلة منها إلى مربية حية الضمير. عندئذ فتح الباب ودخل المفتش ناش إلى الردهة والسيد سيمينجتون خلفه. قال: «أوه، سيد بيرتون، كنت على وشك الاتصال بك. إنني سعيد لرؤيتك.» لم يسألني عن سبب مجيئي الآن.

«سأستخدم هذه الحجرة إذا سمحت.»

كانت حجرة صغيرة بها نافذة تطل على الجانب الامامي من المنزل. «بالطبع يمكنك ذلك سيدي.»

كان سيمينجتون رابط الجأش، ولكن بدا عليه الإرهاق الشديد. قال المفتش ناش بلطف: «لو كنت مكانك لتناولت بعض الطعام يا سيد سيمينجتون. فسوف تشعر أنت والسيدة هولاند وميجان بتحسن كبير إذا تناولتم بعض القهوة والبيض واللحم. فمن الصعب مواجهة جريمة قتل بمعدة خاوية.» كان يتحدث بطريقة ودية كما لو كان طبيب الأسرة. ابتسم سيمينجتون ابتسامة واهنة وقال: «شكراً لك أيها المفتش، سوف آخذ بنصيحتك.»

تبعث ناش إلى الحجرة الصغيرة، حيث أغلق الباب، وقال: «لقد جئت إلى هنا بسرعة، كيف عرفت بالخبر؟» أخبرته بأن ميجان حادتني. وشعرت بالود تجاه ناش، فهو لم ينس أيضاً أن ميجان في حاجة لتناول إفطار. «سمعت أنك اتصلت ليلة أمس يا سيد بيرتون لتسأل عن الفتاة، فما الأمر؟»

أعتقد أن هذا كان غريباً. فأخبرته باتصال اجنس ببارتريدج ثم عدم مجيئها، فقال: «نعم، أفهم...»

قالها ببطء وتمعن وكان يحك ذقنه ثم تنهد، قائلاً: «حسناً، إنها جريمة قتل الآن وهذا الأمر واضح لنا ؛ اعتداء بدني مباشر. السؤال الذي يطرح نفسه الآن: ما الذي كانت تعرفه هذه الفتاة؟ هل قالت أي شيء لبارتريدج؟ أي شيء محدد؟»
«لا أعتقد هذا، ولكن يمكن سؤال بارتريدج عن هذا.»

«نعم، سوف آتي إليكم وأسألها حالما أنتهي من هنا.»
سألته: «ما الذي حدث بالضبط؟ أم أنك لم تعرف بعد؟»
«لقد كان يوم عطلة الخادمتين»
«كلتاهما؟»

«نعم، يبدو أنه كانت هناك شقيقتان تعملان هنا، وقد طلبتا أخذ عطلتهما في يوم واحد معاً، وقد وافقت السيدة سيمينجتون على ذلك. ثم عندما جاءت هاتان الخادمتان أبقيتا على نفس النظام. وقد اعتادتا على ترك العشاء بارداً في حجرة الطعام، فيما تقوم السيدة هولاند بإعداد الشاي.»
«نعم.»

«الأمر واضح حتى هذه النقطة. إذ إن أسرة روز الطاهية تعيش في «نيزر ميكفورد» ولكي تصل هناك في يوم عطلتها، يجب عليها ركوب حافلة الثانية والنصف. لذا فإن اجنس عمدت إلى تجهيز الغداء تماماً. وقد دأبت روز على مكافأتها بغسل صحون العشاء.»

«وهذا ما حدث في الأمس ؛ حيث خرجت روز للحاق بحافلة الثانية والنصف إلا خمس دقائق، وخرج سيمينجتون إلى مكتبه في الساعة الثانية والنصف وخمس دقائق. وخرجت إلزي هولاند والطفلان في الثالثة إلا ربع، وخرجت ميجان هنتر على دراجتها بعد خمس دقائق تقريباً. ويفترض أن تكون اجنس وحدها بالمنزل عندئذ وعلى حد علمي، فإنها اعتادت مغادرة المنزل بين الثالثة والثالثة والنصف.»

«أتعني أن المنزل لم يكن به أحد عندئذ؟»
 «أوه، إنهم لا يهتمون بذلك هنا. فالناس في هذه البلدة لا يحرصون على إغلاق بيوتهم. وكما قلت، ففي الساعة الثالثة إلا عشر دقائق كانت أجنس وحدها في البيت. ومن الواضح أنها لم تغادره أبداً، لأنها كانت ما تزال ترتدي قبعتها وملابس العمل عندما وجدنا جثتها.»
 «هل عرفت موعداً وفاتها على وجه الدقة؟»
 «لم يقطع الدكتور جريفيث بموعد محدد لوفاتها. وقد قال في تقريره أنها توفيت بين الثانية والرابعة والنصف.»
 «كيف قتلت؟»
 «ضربت أولاً بشيء ثقيل على مؤخرة رأسها. وبعد ذلك تم إدخال سيخ المطبخ ذي الرأس الحاد في قاعدة الجمجمة، مما أدى إلى الوفاة الفورية.»
 «أشعلت سيجارة، فلم تكن الصورة الوصفية جميلة.»
 «قلت: «جريمة بدم بارد.»»
 «أوه، نعم، هذا ما أشرنا إليه.»
 «أخذت نفساً عميقاً ثم قلت: «من الذي فعلها؟ ولماذا؟:»»
 «قال ناش ببطء: «لا أعتقد أننا سنعرف السبب تحديداً، ولكننا نستطيع التخمين.»»
 «أكانت تعرف شيئاً؟»
 «ألم تلمح لأحد هنا أو تعطيه فكرة عما يحدث؟»
 «كلا، على حد علمي. لقد كانت قلقة، منذ وفاة السيدة سيمينجتون، هكذا قالت روز. ووفقاً لأقوال هذه الطاهية فإن قلقها كان يتزايد أكثر وأكثر، وظلت تقول أنها لا تعرف ما يجب عليها فعله.»
 «أخرج تنهيدة غيظ، قائلاً: «إنها نفس الطريقة دائماً؛ فهم لا يأتون إلينا أبداً. لقد استقر في النفوس كراهية ((التورط مع الشرطة)). لو جاءت إلينا وأخبرتنا بما كان يُقلقها، لربما كانت حية الآن.»»
 «ألم تلمح لأي امرأة أخرى بأي شيء؟»

«كلا، على حسب قول روز، وأنا أميل لتصديقها. لأنها لو كانت أخبرتها بشيء، لسارعت بإخبارنا به مع إضافة كم لا بأس به من الزر كشة من خيالها الخصب..»
«ولكن لا نزال نستطيع التخمين يا سيد بيرتون. إن نقطة البداية غير محددة، لابد أن يكون هناك شيء يلح على مخيلتك حتى يزداد قلقك. أفهم ما أعنيه؟»

«نعم..»

«في الحقيقة، فإنني أعلم ما كنت تفكر به..»

نظرت إليه باحترام.

عمل جيد أيها المفتش ناش..»

حسناً يا سيد بيرتون، إنني أعرف شيئاً لا تعرفه أنت. في عصر اليوم الذي انتحرت فيه السيدة سيمينجتون، كان يفترض أن تكون الخادمتان بالخارج. فقد كان يوم إجازتهما. ولكن أجنس عادت إلى المنزل..»
«أمتأكد من ذلك؟»

«نعم، أجنس لديها صديق ذلك الشاب الذي يدعى ريندل الذي يعمل في متجر السمك. حيث يخلق المتجر مبكراً يوم الأربعاء ويأتي لمقابلة أجنس ويذهبان للتنزه، أو يذهبان للمتحف إذا كان الجو مطيراً. وفي ذلك اليوم الأربعاء تشاجرا بمجرد تقابلهما. وقد كانت صاحبتنا كاتبة الرسائل تمارس نشاطها، وأوحت إلى ريندل بأن أجنس على علاقة مع شاب آخر فاغتاظ ريندل وتشاجرا مشاجرة عنيفة وعادت أجنس أدراجها إلى المنزل، وقالت إنها لن تخرج مع فريد ريندل حتى يأتي ويعتذر لها..»

«وبعد؟»

«حسناً، يا سيد بيرتون، المطبخ يواجه الجانب الخلفي للمنزل، ولكن حجرة الخازن تطل على الجهة التي نطل عليها نحن الآن. ولا يوجد إلا بوابة واحدة للدخول فتمر بها إما للصعود إلى الباب الامامي، أو السير عبر الممر الواقع بجانب المنزل حتى تصل إلى الباب الخلفي..»

سكت قليلاً، ثم أضاف: «والآن لاخبرك بشيء. تلك الرسالة التي تلقتها السيدة سيمنجتون عبر البريد لم ترسل عبر البريد، بل كان عليها طابع بريد مستعمل وختم مزيف باستخدام سخام مصباح، وذلك حتى تبدو وكأن رجل البريد قد ألقاها مع رسائل ما بعد الظهيرة. ولكنها في الحقيقة لم تُرسل عبر البريد. أتفهم ما يعنيه ذلك؟»

قلت ببطء: «يعني أنها أُلقيت باليد داخل صندوق الرسائل قبل مجيء بريد العصر، بحيث تكون بين الرسائل الأخرى.»

«تماماً، إن بريد العصر يأتي في الساعة الرابعة إلا ربع تقريباً. وأنا أرى أن الفتاة كانت جالسة في حجرة الخزين تطل من النافذة (لقد كانت مغطاة بالشجيرات ولكن يمكن الرؤية من خلالها) مترقبة مجيء صديقها والاعتذار إليها.»

قلت: «ورأت من ألقى تلك الرسائل؟»

«هذا ما أظنه يا سيد بيرتون، وقد أكون مخطئاً بالطبع.»

«ولا أظنك مخطئاً... إن الفكرة بسيطة ومقنعة وتعني أن اجنس عرفت هوية كاتب الرسائل المجهولة.»

«نعم.»

«ولكن لماذا لم»

سكتُ مقطباً جبيني. فقال ناش بسرعة: «يهيأ لي أن الفتاة لم تعي ما رآته، في البداية على الأقل. وقد ترك أحدهم رسالة بالمنزل، نعم لكن ذلك الشخص لم يكن شخصاً تحلم بأن يكون له صلة بالرسائل المجهولة. لقد كان من تلك الشخصيات التي يُطلق عليها: «فوق مستوى الشبهات» ولكن كلما فكرت في الأمر أكثر ازداد قلقها. ربما كان عليها إخبار أحدهم بالأمر، في خضم ارتباكها وحيرتها فكرت في بارتريدج خادمة السيدة بيرتون التي أعتقد أنها شخصية مسيطرة وتقبل اجنس حكمها على الأمور دون تردد. فقررت أن تسأل بارتريدج عما يجب عليها أن تفعله.»

قلت متفكراً: «نعم، إن هذا منطقي للغاية. وقد اكتشفت صاحبة القلم

المسموم ذلك بطريقة ما، ولكن كيف اكتشفته أيها المفتش؟
«إنك لم تعتد العيش في الريف يا سيد بيرتون. فالأخبار تنتشر هنا بطريقة سريعة. أولاً، هناك المكالمات الهاتفية. من الذي سمعها من الطرف الآخر؟»
فكرت ثم قلت: «لقد كنتُ أنا من أجاب على الهاتف في البداية ثم ناديت على بارتريدج التي كانت في الطابق العلوي.»

«هل ذكرت اسم الفتاة؟»

«نعم، نعم، ذكرته.»

«هل سمعك أحد آخر وأنت تذكره؟»

«أختي والأنسة جريفيث سمعاني أيضاً.»

«أه، الأنسة جريفيث؟ ماذا كانت تفعل؟»

شرحت له ما جاء لآجله.

«هل عادت إلى القرية؟»

«ذهبت إلى السيد باي أولاً.»

تنهد المفتش ناش.

«إذا هناك طريقتان يمكن من خلالهما انتشار الخبر.»

نظرت إليه غير مصدق.

«هل تعني أن أياً من الأنسة جريفيث أو السيد باي يأبه بنقل معلومة تافهة كهذه؟»

«أي شيء يعتبر خبراً في بلدة كهذه. فإذا ظهر ورم في قدم أم الخياطة

فسوف يعرف الجميع بالخبر! ثم عندنا من كانوا في الجانب الأول من الخط:

السيدة هولاند وروز ربما تكونا قد سمعتا ما قالته أجنس. وهناك فريد ريندل.

ربما انتشر خبر رجوع أجنس إلى المنزل عصر ذلك اليوم من خلاله.»

ارتعدت بينما كنت أنظر إلى النافذة وأمامي قطعة مربعة من العشب

والممر وبوابة قصيرة.

فتحت إحداهن البوابة، وسارت مطمئنة نحو المنزل، ثم ألقت الرسالة في

صندوق الرسائل. ورأيت في خيالي صورة غائمة لتلك المرأة. الوجه خالٍ من

أية ملح ولكن لابد وأنه وجه أعرفه...

كان المفتش ناش يقول: «وهذا يحدد نطاق البحث أكثر، وهكذا نستطيع الإمساك بالفاعل في النهاية. الثبات والصبر، فليس هناك الكثير من المشكوك فيهم الآن.»
«أتعني...؟»

«أعني أن نستثني أي امرأة عاملة كانت في عملها عصر ذلك اليوم. ويستثنى كذلك مديرة المدرسة، فقد كانت في مدرستها، وأيضاً الممرضة، فأنا أعرف أين كانت بالأمس، على الرغم من أنني لم أشك فيها منذ البداية، ولكننا الآن متأكدون. وكما ترى يا سيد بيرتون، فإن لدينا الآن وقتان يجب أن نركز عليهما عصر الأمس، والاسبوع السابق. في يوم وفاة السيدة سيمينجتون، لنقل من الساعة الثالثة والربع (أول وقت يمكن أن تكون أجنس قد عادت فيه إلى المنزل بعد شجارها مع صديقها) ولكنني أستطيع أن أعرف الموعد بدقة من ساعي البريد. والامس من الثالثة إلا عشر دقائق (عندما تركت الأنسة ميجان هنتر المنزل) وحتى الثالثة والنصف أو ربما الثالثة والربع بما أن أجنس لم تغير ملابسها.»
«ما الذي حدث بالأمس في رأيك؟»

مط ناش شفتيه، قائلاً: «أعتقد أن هناك سيدة ما سارت حتى الباب الامامي، ودقت الجرس، وهي هادئة تماماً ومبتسمة، متظاهرة بأنها تحمل بطاقات دعوة... ربما سألت عن السيدة هولاند، أو ربما أحضرت معها طرداً. على أية حال ذهبت إليها أجنس لتأخذ بطاقة الدعوة أو الطرد، ثم ضربتها صاحبتنا على مؤخرة رأسها.»

«بأي شيء ضربتها؟»

قال ناش: «النساء هنا يحملن حقائب ذات حجم كبير يمكن أن تتسع لأي شيء يخطر ببالك.»

«ثم طعنتها في مؤخرة عنقها ووضعتها في الخزانة، أليس هذا أمراً صعباً على امرأة؟»

نظر إلى المفتش ناش باستغراب، قائلاً: «المرأة التي نظاردها ليست امرأة

عادية ليست عادية إلى حد بعيد وتلك النوعية من النساء المختلات عقلياً يمتلكن قوة مدهشة، كما أن أجنس لم تكن فتاة قوية البنيان.»
صمت برهة، ثم سال: «ما الذي جعل ميجان هنتر تفكر في النظر بداخل الخزانة؟»
قلت: «إنها الغريزة المحضة.»

ثم سألتها: «لماذا تم سحب أجنس إلى الخزانة؟ ما الذي دعاها إلى ذلك؟»
«لأنه كلما طالت مدة اكتشاف الجثة، زادت صعوبة تحديد موعد الوفاة بدقة. أما لو عثرت السيدة هولاند، مثلاً، على الجثة بمجرد دخولها إلى المنزل لاستطعنا تحديد موعد الوفاة بدقة تبلغ عشر دقائق أو ما يقرب من ذلك وهو الأمر الذي كان من شأنه أن يخرج صاحبتنا.»

قلت متجهماً: «لكن لو كانت أجنس تشك في هذه المرأة»
«لم تكن تشك. ليس حد الشك القاطع. كل ما فكرت فيه أن أمرها غريب. وأعتقد أنها لم تكن فتاة حادة الذكاء، وكان كل ما يدور في مخيلتها شكوك غامضة مصحوبة بشعور بأن ثمة خطأ ما. وبالتأكيد لم تشك بأنها تواجه امرأة يمكن أن تقتل.»

«هل شككت أنت في ذلك؟»
«كان علي أن اعرف. فمسألة الانتحار كما ترى! قد أخافت صاحبة القلم المسموم. قد وقع يا سيد بيرتون ما لم يكن في حساباتها.»

«نعم و الخوف، هذا كل ما ينبغي علينا التنبؤ به. الخوف في عقل مختل...»
قال المفتش ناش: «كما ترى، فإننا نطارده امرأة تحظى بالاحترام والتقدير امرأة ذات مكانة اجتماعية مرموقة!». وقد جعلني كلامك أشعر بمدى فظاعة الموقف!

- ٣ -

قال ناش عندئذ أنه سوف يستجوب روز مرة أخرى. فسألتها ما إذا كان من الممكن أن آتي معه إن لم يكن في الأمر إحراج له. ولدهشتي رحب بعرضي.

«إنني مسرور جداً بتعاونك يا سيد بيرتون.»
 قلت: «يبدو هذا مثيراً للشك، ففي القصص البوليسية عندما يرحب المحقق بمساعدة شخص ما، فعادة ما يكون هذا الشخص هو الجاني»
 ضحك ناش وقال: «من المستبعد أن تكون من تلك النوعية التي تجلس وتكتب الرسائل المجهولة، يا سيد بيرتون.»
 ثم أضاف: «بصراحة، يمكن أن تفيدنا كثيراً.»
 «يسرني ذلك، ولكنني لا أعرف كيف يمكن أن أكون مصدر عون؟»
 «هذا لأنك غريب هنا، وليس لديك أفكار مسبقة عن الأهالي هنا، ولكنك في الوقت ذاته لديك الفرصة لمعرفة الأمور بالأسلوب الذي أطلق عليه الذكاء الاجتماعي.»
 تمتعت قائلاً: «الجاني شخص له مكانة اجتماعية.»
 «تماماً.»

«أيعني ذلك أن أكون جاسوساً لكم؟»
 «الديك اعتراض؟»
 فكرت في الأمر، ثم قلت: «كلا، بصراحة ليس لدي اعتراض. فإذا كانت هناك امرأة مختلة تقود سيدة مسالمة إلى الانتحار وتقتل خادمة صغيرة بدم بارد، فليس لدي اعتراض على عمل شيء قدر كالتجسس بهدف القبض على تلك المختلة.»
 «هذا لطف منك، سيدي. واسمح لي بأن أقول لك أن المرأة التي نظاردها خطيرة، فهي كاشد الثعابين فتكاً.»
 ارتعدت ثم قلت: «في الحقيقة، علينا أن نسرع.»
 «هذا صحيح، لا تظن أن الشرطة متكاسلة، فنحن نعمل على عدة خطوط.»
 قالها بتجهم.

كنت أتخيل شبكة عنكبوتية واسعة تهدف إلى اصطياد الجاني...
 أوضح لي ناش أنه يريد سماع قصة روز مرة أخرى لأنها أخبرته بروايتين مختلفتين، وكلما زاد عدد رواياتها، زادت احتمالات تجميع نقاط الحقيقة معاً.
 وجدنا روز تغسل صحن الإفطار، ثم توقفت فجأة وأدارت عينيها ووضعت

يدما على قلبها وهي تقص علينا مرة أخرى كيف اطلعت على هذا الامر الرهيب هذا الصباح.

كان ناش صبوراً معها ولكن حازماً، وأخبرني بأنه كان يحاول تهدئتها في المرة الأولى، وكان حاسماً في المرة الثانية. أما الآن، فهو يعاملها بمزيج من الأسلوبين. أخذت روز تقص تفاصيل الاسبوع الماضي بسعادة، وروت كيف أن أجنس كانت في غاية الخوف، ثم ارتعدت عندما حثتها روز على قول ما الذي كان يخيفها، وقالت: «لا تسأليني». «فلو أخبرتني لكنت أنا أيضاً ميتة الآن» كان هذا هو كل ما قالته روز، منهية حديثها وهي تقلب النظر إلينا بسعادة.

«ألم تلمح أجنس بما كان يخيفها؟»

«كلا، فيما عدا أنها كانت خائفة.»

تنهد المفتش ناش وابتعد عن هذا الموضوع، وأخذ يسأل روز عن أنشطتها في اليوم السابق.

روت روز ذلك بصراحة، حيث قالت أنه استقلت حافلة الثانية والنصف وقضت فترة العصر والمساء مع أسرتها، ثم عادت في الثامنة والنصف من نيدر ميكفورد. وقد تعقدت روايتها بفعل ما قالته عن الاحساس الغريب الذي راودها بأن ثمة شراً يحدث عصر الأمس وكيف علقت أختها على ذلك وكيف أنها لم تستطع لمس قطعة واحدة من كعكة البذور.

تركنا المطبخ بحثاً عن إلسي هولاند، التي كانت تصحح دروس الطفلين، وكعادتها كانت إلسي هولاند متعاونة. رفعت رأسها وقالت: «والآن يا كولين أنت وبراين سوف تحلان هذه المسائل الثلاث إلى أن أعود.»

ثم قادتنا إلى حجرتها. «أليس ذلك أفضل؟ فانا أعتقد أنه من الأفضل ألا نتحدث أمام الطفلين.»

«شكراً لك يا أنسة هولاند. فقط أخبريني مرة أخرى ؛ هل أنت متأكدة من أن أجنس لم تخبرك بقلقها بخصوص أي شيء، أقصد منذ وفاة السيدة سيمينجتون؟»

«كلا، لم تقل أي شيء. لقد كانت فتاة هادئة جداً، كما تعرف، ولم تكن تتحدث كثيراً.»

«على عكس الخادمة الأخرى إذا؟»

«نعم، فروز تتحدث كثيراً. وعلي أن أخبرها بأن تكف عن وقاحتها تلك بعض الأحيان.»

«والآن، هلا أخبرتني بما حدث بالضبط عصر أمس؟؟ كل شيء تتذكرينه.»
«حسناً، لقد تناولنا غداءنا كالعادة، بعدها بساعة خرجنا لنزهه، فأنا لا أدع الطفلان يملأن أبداً. دعني أتذكر. لقد عاد السيد سيمينجتون الى مكتبه أو ساعدت أجنس في إعداد المائدة بينما كان الطفلان يلعبان في الحديقة ريثما أتجهز للخروج معهما.»

«أين ذهبتم؟»

«إلى كومبي أكر، فقد أراد الطقلان صيد الأسماك، ولكنني نسيت الطعم لذا عدت لإحضاره.»

«متى كان ذلك؟»

«دعني أتذكر، لقد خرجنا حوالي الساعة الثالثة إلا الثلث أو بعدها بقليل، وكان من المقرر أن تأتي ميجان معنا ولكنها غيرت رأيها، وقررت أن تخرج للتنزه على دراجتها، فهي تعشق ركوب الدراجات.»

«أقصد متى عدت لإحضار الطعم؟ هل دخلت المنزل؟»

«لا، لقد تركتها في السقيفة خلف المنزل. ولا أعرف بالضبط كم كان الوقت حينئذ حوالي الثالثة إلا عشر دقائق تقريباً.»

«هل رأيت ميجان أو أجنس؟»

«أعتقد أن ميجان كانت قد غادرت. أما أجنس فلم أرها. لم أر أي أحد.»

«وبعدها ذهبتم للصيد؟»

«نعم لقد ذهبنا للجدول. ولم نصطد شيئاً، فنحن لا نصطاد شيئاً تقريباً، ولكن الطفلين يستمتعان بذلك. وقد بلل براين ملابسهم. كان يجب أن أغير

ملابسه عندما عدنا..»

«هل تقومين بإعداد الشاي كل يوم أربعاء من كل أسبوع؟»

«نعم، فالشاي يكون معداً في غرفة الاستقبال من أجل السيد سيمينجتون. إنني أعد الشاي فقط عندما يحضر إلى المنزل. أما أنا والطفلان فنتناوله في حجرة الدراسة. فلدي أدوات الشاي والأدوات الأخرى في الخزانة الموجودة أعلى هناك.»

«ومتى عدت؟»

«في حوالي الخامسة إلا عشر دقائق. أخذت الطفلين إلى الطابق العلوي وبدأت فس إعداد الشاي. ثم عندما عاد السيد سيمينجتون ونزلت لأقدم له الشاي، ولكنه قال إنه سيتناوله معنا في غرفة الدراسة. وقد فرح الطفلان لذلك، ولعبنا معاً، يبدو لي الأمر فظيلاً الآن عندما أفكر فيه حيث كانت تلك الفتاة المسكينة مقتولة في الخزانة في ذلك الحين.»

«هل يذهب أحد إلى تلك الخزانة في العادة؟»

«أوه كلا، إنها لا تستخدم إلا لحفظ الأشياء البالية، أما القبعات والمعاطف فنعلقها في الحجرة الصغيرة الواقعة على يمين الباب الأمامي عند الدخول. ولم يذهب أحد إلى الخزانة الأخرى منذ شهور.»

«حسناً، ولكن ألم تلاحظي شيئاً غريباً عندما عدت؟»

«اتسعت عيناها الزرقاوان، قائلة: «أوه، كلاًهما المفتش لم ألحظ أي شيء على الإطلاق. كان كل شيء كالمعتاد، وهذا هو الرهيب في الأمر.»

«وفي الأسبوع السابق؟»

«أتقصد اليوم الذي انتحرت فيه السيدة سيمينجتون؟»

«نعم.»

«أوه، كان ذلك فظيلاً، فظيلاً.»

«نعم، نعمه أعرف، هل كنت في الخارج أيضاً عصر ذلك اليوم؟»

«أوه نعم، فداثماً ما أخرج وأخذ الطفلين بعد الظهر إذا كان الطقس مناسباً. حيث أعطيهما الدروس في الصباح. وفي ذلك اليوم على ما أذكر ذهبنا إلى ناحية

المستنقعات ومشينا كثيراً، حتى أنني كنت أخشى أننا تأخرنا في العودة لأنني عندما دخلت من الباب رأيت السيد سيمنجتون عائداً من مكتبه ولم أكن حتى وضعت إناء الشاي على النار، ولكنها كانت الساعة الخامسة إلا عشر دقائق.»

«ألم تذهبي للسيدة سيمنجتون في غرفتها؟»

«أوه، كلا، فأنا لم أفعل ذلك أبداً، فهي دائماً ما تأخذ قسطاً من الراحة بعد الغداء بسبب النوبات العصبية التي تعاني منها وعادة ما كانت تداهما بعد تناول الوجبات. وقد أعطاهما الدكتور جريفيث بعض المهدئات، واعتادت الاستلقاء على الفراش ومحاولة النوم.»

قال ناش بصوت خفيض: «إذن ألا يأخذ لها أحد البريد؟»

«بريد العصر؟ كلا، إنني أنظر داخل صندوق البريد وأضع الرسائل على المائدة في الردهة عندما أدخل. ولكن غالباً ما تأخذها السيدة سيمنجتون بنفسها. فهي لم تكن تنام طوال فترة العصر، بل عادة ما كانت تستيقظ قبيل الساعة الرابعة.»

«ألم تعتقدي أن شيئاً مريباً حدث لأنها لم تستيقظ عصر ذلك اليوم؟»

«أوه كلا، إنني لم أتصور حدوث شيء كهذا. لقد كان السيد سيمنجتون يعلق معطفه في الردهة، وقلت له: «الشاي ليس جاهزاً بعد، ولكنني على وشك الانتهاء من إعدادهِ.»

فأوماً برأسه ونادى على السيدة سيمنجتون، قائلاً: «مونا، مونا! » وعندما لم ترد عليه صعد إلى الطابق العلوي متوجهاً نحو غرفة نومها، ولابد أنها كانت أفزع صدمة تعرض لها. وقد نادى علي، وعندما جئته، قال لي: «أبقي الأولاد بعيداً. ثم اتصل بالدكتور جريفيث ونسينا أمر إناء الشاي حتى احترق الجزء السفلي بالكامل! أه يا عزيزتي! لقد كان أمراً رهيباً، فقد كانت السيدة سيمنجتون سعيدة ومبتهجة على الغداء.»

قال ناش بسرعة: «ما رأيك في تلك الرسالة التي تلقيتها يا أنسة هولاند؟»
قالت إلسي هولاند بشيء من الغضب: «أوه، أعتقد أنها عمل شرير شرير!»

«نعم، نعم، لم أقصد ذلك. هل كنت تعتقدين أنها حقيقة؟»
قالت إلسي هولاند بحزم: «كلا، في الحقيقة لا أعتقد ذلك، لقد كانت السيدة
سيمنجتون شديدة الحساسية في الحقيقة. كانت تضطر إلى أخذ جميع
المهدئات العصبية المتوافرة، كما كانت محافظة للغاية، وأي عمل حقيقى كهذا
من شأنه أن يسبب لها صدمة.»

صمت ناش للحظة، ثم سألها: «ألم تتلقى أياً من هذه الرسائل يا أنسة هولاند؟»
«كلا، كلا، لا أتلّق أياً منها.»

«هل أنت على ثقة من ذلك؟ من فضلك» ثم رفع يده «لا تتسرع في
الإجابة، أعرف أنها أشياء بغیضة، ولا يحب الناس أحياناً الاعتراف باستلام واحدة
منها. ولكن من المهم جداً في هذه القضية أن نعرف الحقيقة، ونحن نعلم
تماماً أن كل ما يرد بها محض أكاذيب، لذا لا داعي للشعور بالحرَج.»
«لكني لم أتلّق شيئاً فعلاً أيها المفتش؟ لم أتلّق شيئاً من هذا القبيل على الإطلاق.»
كانت ساخطة وأوشكت على البكاء، وبدا إنكارها صادقاً.

عندما عادت إلى الطفلين، وقف ناش ونظر من النافذة. قال: «حسناً، إنها
تدعي أنها لم تتلق أياً من هذه الرسائل، ويبدو أنها صادقة فيما تقول.»
«بالقطع، أنا على ثقة من ذلك.»

همهم ناش، ثم قال: «ما أريد معرفته إذن هو لماذا لم يقع عليها اختيار تلك
الشيطانة كاتبة الرسائل المجهولة؟»
واصل كلامه دونما صبر، بينما كنت أحرق إليه.

«إنها جميلة، أليس كذلك؟»

«أكثر من مجرد جميلة.»

«بالضبط، وهي حسنة المظهر بشكل غير عادي، وفي سن الشباب في
الحقيقة إنها مطمع لأي كاتب رسائل مجهولة. إذن لماذا استثنيت؟»
هرزت رأسي.

«إنها مسألة مثيرة، ويجب أن أذكر لجريفيث بذلك، فقد طلب مني أن

أخبره عن أي شخص لم يتلق رسائل مجهولة.
 قلت: «إنها المرأة الثانية، تذكر أن هناك إيميلي بارتون أيضاً.»
 ضحك ناش ضحكة باهتة.
 «لا تصدق كل ما يقال يا سيد بيرتون، فقد تلقت السيدة بارتون واحدة بالفعل بل أكثر من واحدة.»
 «كيف عرفت؟»
 «تلك المخلصة سليطة اللسان التي تعيش معها خادمتها أو طاهيتها السابقة فلورنسا إلغروود. لقد كانت ساخطة جداً بسبب تلك الرسالة، وكانت تود أن تقطع صاحبها إرباً.»
 «لكن لماذا قالت إيميلي بارتون إنها لم تتلق أي رسالة من هذا النوع؟»
 «إنها الرقة ؛ فلغة هذه الرسائل ليست لطيفة. والسيدة بارتون الصغيرة قضت حياتها وهي تتجنب كل ما هو بذئ وغير مهذب.»
 «وماذا قالت الرسالة؟»
 «الكلام المعتاد، وإن كان يبعث على الضحك في حالتها. وقد لمحت الرسالة إلى أنها وضعت السم لأمها العجوز ومعظم شقيقاتها.»
 قلت غير مصدق: «أتقصد أن هذه المرأة المجنونة الخطرة ستظل طليقة ولن نستطيع التعرف عليها وإيقافها عند حدها؟»
 قال ناش بصوت كئيب: «حسناً، سوف نكشفها، فسوف تكتب الكثير من الرسائل الأخرى.»
 «ولكنها لن تكتب المزيد من الرسائل، على الأقل الآن.»
 نظر إلي قائلاً: «بلى، ستفعل. فهي لا تستطيع التوقف الآن، فهذا نوع من الأمراض المستعصية. والرسائل ستستمر، لا شك في ذلك.»

الفصل التاسع

- ١ -

ذهبت لأرى ميجان قبل مغادرة المنزل. كانت في الحديقة
وبدت وكأنها عادت إلى حالتها الطبيعية تقريباً، حيثي
مبتهجة.



اقترحت عليها العودة إلينا مرة أخرى لفترة، ولكن بعد التردد هزت رأسها:
«هذا لطف منك ولكني أعتقد أنني سأبقى هنا. فهو على أية حال حسناً، يفترض
أنه بيتي. وأزعم أنني أستطيع مساعدة الطفلين.»
قلت: «حسناً، كما تشائين.»
«إذن أعتقد أنني سأبقى. هل أستطيع؟»
قلت لكي أحثها على الكلام: «نعم.»
«إذا حدث أي شيء رهيب، أستطيع الاتصال بك لتأتي إلي، أليس كذلك؟»
تأثرت لكلامها، فقلت: «بالطبع، ولكن ما هو الشيء الرهيب الذي تعتقدين
أنه قد يحدث؟»
«أوه، لا أعرف.»

بدت غامضة بعض الشيء وهي تقول: «أوه، لا أعرف. أشياء مثل ما يحدث الآن.»
قلت، بالله عليك، لا تكوني متشائمة إلى هذه الدرجة، فلن يكون هناك
المزيد من الجثث! فهذا ليس جيداً لك.»
ابتسمت لي ابتسامة خاطفة، قائلة: «كلا، إنه ليس جيداً بالمرة. قد جعلني
أشعر بالغثيان.»

لم ترق لي فكرة تركها هناك، ولكنه على أية حال، كما قالت بيتها. وتخيلت
أن إلسي هولاند ستشعر بمزيد من المسؤولية تجاهها.

ذهبت أنا وناش إلى ليتل فيرز. وبينما كنت أقص باختصار أحداث هذا الصباح على جوانا، كان ناش يتحدث مع بارتريدج ليسألها عما إذا كانت أجنس قد قالت لها شيئاً محدداً عندما اتصلت بها. ثم عاد إلينا وهو يبدو محبطاً.

«لم تفدنا كثيراً، فطبقاً لهذه المرأة، فإن الفتاة لم تقل شيئاً سوى أنها قلقة بخصوص أمر ما ولا تعرف ماذا تفعل وأنها تود طلب النصيحة من السيدة بارتريدج.»

سألته جوانا: «هل ذكرت بارتريدج هذا لأي أحد؟»

أوما ناش متجهماً.

«نعم، فقد أخبرت السيدة موري خادمكم التي تأتي في الصباح بأن هناك بعض الفتيات اللاتي يرغبن في طلب النصح ممن هن أكبر منهن سناً ولا يعتقدن أن بمقدورهن البت في أي شيء بمفردهن! وربما لم تكن أجنس فتاة ذكية، ولكنها كانت فتاة مهذبة وعلى خلق.»

تمتت جوانا: «إن بارتريدج تمدح نفسها في الحقيقة. وهل يمكن أن تكون الأنسة إموري قد أشاعت الخبر في البلدة؟»

«هذا صحيح! يا أنسة بيرتون.»

قلت: «هناك شيء يصيبني بالدھشة، لماذا كنت أنا وأختي من ضمن متلقي الرسائل المجهولة؟ فنحن غرباء هنا ولا يكن أحد لنا ضغينة؟»

«إنك لا تستطيع فهم عقليات أصحاب الأقلام المسمومة إنهم يصوبون سهامهم إلى الجميع. ويمكنك القول إنهم يكتنون الضغينة للإنسانية كلها.»

قالت جوانا متفكرة: «أعتقد أن هذا هو ما قصده السيدة كالثروب.»

نظر إليها ناش نظرة متسائلة، ولكنها لم توضح له، فقال: «لا أعرف ما إذا كنت قد نظرت بتأن إلى مظروف الرسالة التي تلقيتها يا أنسة بيرتون ولو أنك فعلت لربما لاحظت أنها كانت سترسل إلى الأنسة بارتون ثم تم تحويل حرف الألف إلى ياء.»

لو تم ملاحظة ذلك، لكان يمكن أن يكشف لنا جزءاً من الغموض الذي يكتنف الأمر، ولكن أحداً منا لم يعرها اهتماماً.

غادر ناش، وبقيت أنا وجوانا. قالت: «إنك لا تعتقد أن الرسالة كان مقصوداً بها إيميلي حقاً، أليس كذلك؟»
أوضحت لها قائلًا: «لو كانت إيميلي هي المقصودة ما كانت الرسالة لتبدأ بعبارة: ((أيتها الساقطة المتبرجة.)) «فوافقتني جوانا.
ثم قلت إنه ينبغي علي الذهاب إلى وسط البلدة.
«يجب أن تسمعي ما يقوله الجميع، لكن لدهشتي رفضت وقالت إنها ستستسكع في الحقيقة.

توقفت عند الباب وأخففت صوتي، قائلًا: «أعتقد أنها بارتريدج.»
«بارتريدج!»

جعلتني الدهشة التي غلفت صوت جوانا أشعر بالخجل من فكري هذه، فقلت معذراً: «كنت فقط أتساءل. فهي غريبة الأطوار إلى حد ما فهي عانس متجهمة ذلك النوع من النساء اللاتي يمكن أن يكن متعصبات دينياً.»
«ولكن موضوعنا هذا لا علاقة له بالتعصب الديني أو أن هذا ما قاله جريفيير على حد قولك.»

«حسناً، فهو الهوس الجنسي إذن. إنهما مرتبطان ببعضهما على ما أعتقد. فهي تشعر بالكبت وتحظى بالاحترام وقد عاشت حبيسة البيت هنا لسنوات مع سيدات عجائز.»

«ما الذي دفع الفكرة إلى ذهنك؟»

قلت ببطء: «حسناً، إننا لم نسمع إلا روايتها هي بخصوص ما قالته الفتاة، ربما طلبت أجنس من بارتريدج أن تخبرها عن سبب مجيئها وتركها رسالة في ذلك اليوم ثم قالت بارتريدج أنها ستأتي بعد الظهر وتشرح لها الأمر.»
«ثم موهت على الأمر بأن جاءت إلينا وسألتنا ما إذا كان من الممكن أن تأتي الفتاة إلى هنا.»

«نعم.»

«لكن بارتريدج لم تخرج عصر ذلك اليوم.»

«وما أدراك؟ تذكرني أننا كنا بالخارج.»

«نعم، هذا صحيح. أعتقد أن ذلك ممكن. «ثم قلبت جوانا الأمر في رأسها وقالت: «ولكني لا أعتقد ذلك فأنا لا أعتقد أن عقلية بارتريدج تستطيع حبك كل هذه الخدع للتمويه على أمر الرسائل المجهولة؛ أي أن تزيل بصمات الأصابع وما إلى ذلك. فالأمر لا يحتاج إلى الدهاء فقط، بل والمعرفة أيضاً. وأنا لا أعتقد أنها تمتلك هذه القدرات. أظن أن «ترددت جوانا، ثم قالت ببطء: «هم متأكدون أنها امرأة، أليس كذلك؟»

صحت غير مصدق: «أتظنين أنه رجل؟»

«كلا ليس رجلاً عادياً ولكنه نوع معين من الرجال. إنني أفكر حقاً في

السيد باي.»

«إذن قد وقع اختيارك على باي؟»

«ألا تشعر أنت نفسك أنه محل للشبهة؟ فهو يعيش وحده وغير سعيد ومكروه من الآخرين. فالجميع يسخرون منه كما ترى. ألا ترى أنه يحقد على كل الناس غير الطبيعيين السعداء ويستمتع بشكل غريب بما يفعله؟»

«ولكن جريفز قال إنها امرأة عانس في أواسط العمر.»

«قالت جوانا: «والسيد باي عانس في أواسط العمر.»

«قلت ببطء: «مختلف عن حوله.»

«وهو هكذا بالفعل. إنه غني، ولكن المال ليس كل شيء. وأعتقد أنه ليس

متزناً. إنه رجل قصير ومخيف.»

«تذكرني أنه هو نفسه تلقى رسالة.»

«لسنا متأكدين من ذلك، كل ما لدينا مجرد اعتقادات. وعلى كل ربما ادعى

ذلك لحبك تمثيليته.»

«أعتقدين أنه يخدعنا؟»

«نعم، ولديه من الذكاء ما يكفي للتفكير في ذلك وعدم المبالغة في أداء

دوره.»

«لابد وأنه ممثّل قدير.»

«بالفعل يا جيرى، إن من يفعل ذلك لابد وأن يكون ممثلاً قديراً. فهذا أحد جوانب المتعة والسعادة بالنسبة له.»

«بالله عليك يا جونا لا تتحدثي بذلك اليقين! فأنت تجعليني أشعر بأنك تفهمين عقلية هذه الرسائل.»

«أعتقد أنني أفهمها. أقصد أنني أستطيع تصور الحالة المزاجية والنفسية لكاتبها. فلو لم أكن جونا بيرتون ولو لم أكن شابة وجذابة إلى حد معقول وقادرة على الاستمتاع بوقتي، ولو كنت كيف أقولها؟ خلف القبضان وأشاهد الآخرين وهم يستمتعون بحياتهم، فهل كان الشر الأسود يتملك مني، ويجعلني أريد إيذاء الآخرين وتعذيبهم بل وتحطيمهم؟»

أمسكتها من كتفها وهزرتها، قائلاً: «جونا!» «فتنهدت وارتعشت ثم ابتسمت لي قائلة: «لقد أخفكت يا جيرى، اليس كذلك؟ ولكن يراودني شعور بأن هذه هي الطريقة الصحيحة لحل هذا اللغز. حيث تتقمص دور الشخص المعني كي تعرف أحاسيسه ومشاعره وما الذي يجعله يتصرف على هذا النحو، وعندئذ ربما تعرف تصرفه التالي.»

قلت: «أوه، اللعنة! وأنا الذي جئت إلى هنا لكي أقلد مملكة الخضراوات وأهتم بالفضائح المحلية التافهة. فضائح محلية تافهة! قذف، بذات، كلام فاحش وجرائم قتل!»

- ٢ -

كانت جونا محقة تماماً. فقد كان الشارع الرئيسي بالبلدة مكتظاً بالكثير من المهتمين بما جرى. وعقدت العزم على معرفة ردة فعل كل منهم. قابلت جريفيث أولاً. وقد بدا متعباً ومرهقاً، حتى أنني تعجبت لأمره. فالقتل بالتأكيد ليس حدثاً يومياً يعانيه الأطباء، ولكن تخصصه يؤهله لمواجهة معظم الأمور ومنها المعاناة والوجه الوقح للحقيقة البشرية وحقيقة الموت.

قلت له: «تبدو متعباً». كان غامضاً وهو يقول: «أبدو كذلك حقاً؟ أوه لقد كان لدي بعض الحالات المقلقة مؤخراً.»

«ومنها حالة مجنونتنا؟»

«نعم، بكل تأكيد. «نظر بعيداً عني عبر الشارع فرأيت عصياً دقيقاً يرتعش في جفنه.

«أليست لديك شكوك في هويتها؟»

«كلا، كلا، وأتمنى لو هداني الله إليها.»

ثم سألني فجأة عن جوانا، وقال بتردد إن معه بعض الصور التي أرادت رؤيتها. فعرضت عليه أن أخذه إليها.

«أوه، لا أريد أن أثقل عليك، سوف امر ببيتكم في وقت لاحق من الصباح.» بدأت أخشى أن يكون جريفيث قد وقع في الشباك. اللعينة على جوانا! فقد كان جريفيث أطيب من أن توقع به في شباكها.

تركته ينصرف، لأنني رأيت أخته آتية وكنت أريد التحدث إليها.

بدأت إيمي من وسط الحوار كما لو كانت معنا. حيث انفجرت قائلة: «يا لها من جريمة مروعة! لقد سمعت أنك ذهبت هناك مبكراً.»

لقد كان كل منها يحمل صيغة السؤال، ولمعت عيناها وهي تؤكد على كلمة «مبكراً». ولم أكن لأخبرها أن ميجان اتصلت بي، لذا قلت لها: «لقد كنت قلقاً الليلة الماضية، فقد كان من المقرر أن تأتي في الصباح لتناول الشاي معنا ولم تحضر.»

«لذا خشيت وقوع الأسوأ، يا لك من عبقري!»

قلت: «إنني أمتلك حاسة قوية لتشتم الجرائم.»

«إنها جريمة القتل الأولى التي تشهدها لايمستوك، وقد بلغت الإثارة مبلغها.

أتمنى أن تستطيع الشرطة كشف الجاني.»

«أنا واثق من ذلك، فهم رجال أكفاء.»

«لا أستطيع حتى تذكر شكل الفتاة، على الرغم من أنني أعتقد أنها فتحت

لي الباب عشرات المرات. إنها فتاة ضئيلة الحجم. لقد أخبرني أوين أنها قد ضربت على راسها، ثم طعنت في مؤخرة عنقها. يبدو لي أن الجاني أحد أصدقائها. فما رأيك؟»

«أهذا هو تفسيرك للأحداث؟»

«يبدو لي أن هذا هو التفسير الأقرب إلى الصواب. لا بد أنها تشاجرت، فهي مثل الكثير من الناس هنا تنقصها التربية السوية، إن هذا السلوك متوارث من ذويها.» توقفت ثم استطردت: «لقد سمعت أن ميجان هنتر هي من اكتشفت أمر الجثة. لا بد وأنها قد أصيبت بصدمة.»

قلت باختصار: «بالفعل.»

«أعتقد أن هذا ليس جيداً بالنسبة لها. وأنا أرى قواها العقلية ضعيفة وشيء مثل هذا قد يذهب بعقلها تماماً.»

اتخذت قراراً مفاجئاً، فقد كان علي أن أعرف شيئاً ما. قلت: «أخبريني يا أنسة جريفيث، هل أنت من أقنع ميجان بالعودة إلى منزلها أمس؟»

«حسناً، لا يمكنني القول إنني أقنعتها.»

أصررت على المعرفة، فقلت لها: «ولكنك قلت لها شيئاً.»

ضربت إيمي جريفيث الأرض بقدمها حدقت النظر إلي. وكانت في موقف دفاعي إلى حد ما، وقالت: «ليس من الجيد أن تتملص تك الفتاة من مسؤولياتها. وهي صغيرة ولا تعرف ما يقوله الناس في المدينة، لذا شعرت أن من واجبي أن أبين لها الموقف.»

انفجرت من شدة الغضب، قائلاً: «ما يقوله الناس؟»

واصلت إيمي كلامها بتلك الثقة المثيرة للجنون والتي تحيلها إلى فتاة ذات شخصية متسلطة: «أوه، أنت لا تسمع كل النميمة التي تدور هنا. ولكني أسمعها! وأعرف ما يقوله الناس، بالرغم من أنني لا أصدق أي كلمة مما يقال ولا كلمة واحدة! ولكنك تعرف طبيعة البشر فإذا استطاعوا قول شيء مشين، فإنهم لا يتورعون عن قوله! وسيكون من الصعب على الفتاة كسب قوتها.»

قلت مندهشاً: «كسب قوتها؟»

واصلت إيمي كلامها: «إنه موقف صعب عليها بالطبع، وأعتقد أنها فعلت الصواب. أعني أنها لم تكن تستطيع الرحيل هكذا وتترك الطفلين دون أن يرعاها أحد. لقد كانت رائعة رائعة حقاً. إنني أقول ذلك للجميع! ولكنه موقف لا تحسد عليه، حيث سيتكلم الناس عليها ولن يتركوها في حالها.»

سألتها: «عمّن تتحدثين؟»

قالت إيمي بصبر نافذ: «عن إلسي هولاند بالطبع، فانا أرى أنها فتاة لطيفة للغاية، ولم تفعل إلا ما يمليه عليها الواجب.»
«وما الذي يقوله الناس؟»

ضحكت إيمي جريفيث، أعتقد أنها كانت ضحكة غير بريئة.

«يقولون أنها تفكر فعلياً أن تكون السيدة سيمينجتون الثانية بحيث تسري عن الزوج المترمل وتجعل من نفسها شيئاً لا غنى عنه.»

قلت مصدوماً: «يا إلهي! ولكن لم يمض على وفاة السيدة سيمينجتون سوى أسبوع!»
هزت إيمي كتفيها، قائلة: «بالطبع، ما هي إلا شائعات سخيفة! ولكنك تعرف الناس والسنتهم! فالآنسة هولاند في ريعان شبابها وعلى قدر عالٍ من الجمال، وهذا يكفي. ولعلك تعرف أن العمل كمربية ليس مطمح الفتيات. وما كنت لآلومها لو أنها أرادت أن تتزوج وتستقر، ولقد قامت باللعب بأوراقها جيداً.»

واصلت كلامها: «وبالطبع، فإن السيد ديك سيمينجتون المسكين ليست لديه أدنى فكرة عن كل هذا! فهو لا يزال متأثراً بوفاته زوجته مونا سيمينجتون. ولكنك تعرف طبيعة الرجال! فإذا كانت المرأة بجواره دائماً، وتعمل على راحته، وتعتني به، وتكرس نفسها لأولاده حسناً، فسوف يعتمد عليها.»

قلت بهدوء: «إذن أنت تعتقدين أن وإلسي هولاند تخطط للإيقاع به؟»
احمر وجه إيمي جريفيث وقالت: «إطلاقاً، إنني أسفة لتلك الفتاة، ولما يقوله الناس عليها من كلام منحط! ولهذا أخبرت ميجان بضرورة العودة إلى المنزل. فهذا يبدو لي أفضل من ترك ديك سيمينجتون، إلسي هولاند وحدهما بالبيت.»

بدأت الأمور تتضح لي. ضحكت إيمي جريفيث ضحكتها الخبيثة.

«لقد صُدمت يا سيد بيرتون بما تفكر فيه بلدتنا الصغيرة النمامة. يمكنني القول إنها دائماً ما تفكر في الأسوأ!»

ضحكت ثانية ثم أومأت وواصلت سيرها مبتعدة.

قابلت السيد باي عند دار العبادة. كان يتحدث مع إيميلي بارتون التي بدت محمرة الوجه ومنفعلة.

حياني السيد باي بحفاوة بالغة.

«أوه، بيرتون، صباح الخير، صباح الخير! كيف حال أختك الفاتنة؟»

أخبرته أن جوانا على ما يرام.

«ولكنك لن تنضم إلى برلمان القرية، إننا جميعاً متشوقون للأخبار. فهي جريمة قتل! جريمة قتل حقيقية من تلك النوعية التي تُنشر في صحف الأحدا! أخشى ألا تكون أكثر الجرائم إثارة، فهي إلى حد ما مقتل خادمة وحشية بطريقة وحشية. ولا يوجد حرفة في ارتكاب الجريمة، إلا أنها لا تزال خيراً.»

قالت الأنسة بارتو وهي ترتعش: «إنها صدمة صدمة فظيعة.»

التفت إليها السيد باي قائلاً: «ولكنك تستمتعين بها، يا عزيزتي، نعم تستمتعين بها. اعترفي بذلك الآن. إنك ترفضينها وتعترضين عليها، ولكن هناك عنصر الإثارة. وأنا أصر على أن هناك إثارة.»

قالت إيميلي بارتون: «تلك الفتاة اللطيفة. لقد جاءت إلي من ملجأ كلوتيدس للأيتام وهي ساذجة ولكن لديها القابلية للتعلم، ثم تحولت إلى خادمة لطيفة ولكن بارتريدج سعيدة بها.»

قلت بسرعة: «كان من المقرر أن تأتي عصر أمس لتناول الشاي مع بارتريدج»، ثم التفتُ إلى السيد باي وقلت: «لعل إيمي جريفيث أخبرتك بذلك.»

كانت نبرة صوتي عادية جداً، ورد باي بلهجة غير المتشكك أبداً: «نعم، لقد ذكرت ذلك. أتذكر إنها قالت إنه شيء جديد على الخدم أن يستخدموا هواتف مخدوميهم.»

قالت الأنسة إيميلي: «ما كانت بارتريدج لتحلم بفعل شيء كهذا، وأنا

مندهشة تماماً من إقبال أجنس على ذلك.»

قال السيد باي: «إنك ما زلت تعيشين في الماضي يا سيدتي العزيزة، فخدامي يستخدمان الهاتف باستمرار وكانا يدخان في كل مكان بالمنزل حتى اعترضت على ذلك. ولكن إحقاقاً للحق، فإن بريسكوت طباخ ماهر، بالرغم من حدته، وزوجته خادمة مثيرة للإعجاب.»

«نعم، إننا جميعاً نعتقد أنك محظوظ.»

حولت مجرى الحديث، حيث أنني لا أريد أن يدور الحوار حول الشؤون المحضة. فقلت: «لقد انتشر خبر الجريمة بسرعة.»

قال السيد باي: «بالطبع، فالجزار والخباز وصانع الشموع والجميع يتحدثون عن الجريمة ويتناقلون أخبارها بعدما يضيفون إليها ما تجود به أسنتهم. يا حسرتي على لايمستوك! إنها تنحدر للأسوأ باستمرار، رسائل مجهولة، جرائم قتل، وعدد من الميول الإجرامية.»

قالت إيميلي بارتون بعصبية: «إنهم لا يفكرون ليست لديهم فكرة بأن الجريمتين مرتبطتين ببعضهما.»

التقط السيد باي الكرة، فقال: «رأي مثير، لقد عرفت الفتاة شيئاً، لذا قتلت، نعم، نعم هذا منطقي. يا لك من عبقرية!»

«لا لا أستطيع التحمل.»

قالت إيميلي بارتون وسارت مبتعدة بسرعة. نظر إليها باي، وارتسمت على وجهه الملائكي علامات الدهشة.

نظر إلى وهز رأسه، قائلاً: «امرأة حساسة، مخلوقة فاتنة، أليس كذلك؟ إنها تحفة أثرية من الماضي البعيد. إنها لا تنتمي إلى جيلها، وإنما للجيل السابق. لا بد أن أمها كانت امرأة قوية الشخصية إلى حد كبير. فقد أوقفت تطور العائلة عند عام ١٨٧٠. وقد حرص جميع أفراد الأسرة على عدم كسر القفص الزجاجي. لكم أحب ذلك النوع من الناس.»

لم أكن أريد الحديث عن التحف الأثرية.

سألته: «ما رأيك حقاً فيما يحدث؟»
«ماذا تقصد؟»

«الرسائل المجهولة وجريمة القتل...»
«موجة جرائمنا المحلية؟ ما رأيك أنت؟»
قلت بمرح: «لقد سألتك أولاً.»

فقال السيد باي بلطف: «أنت تعرف أنني أهوى الأشياء الغريبة فهي تثيرني، مثل أن يقوم أشخاص غير متوقعين بفعل أشياء غريبة. خذ مثلاً قضية «ليزي بوردين» فلم يكن هناك تفسير منطقي لما حدث. وفي مثل هذه القضية أنا أنصح الشرطة بدراسة الشخصية. بدعم من بصمات الأصابع وقياس خط اليد والفحوص المجهرية، وركزوا بدلاً من ذلك على حركات أيدي الناس، وتفصيل سلوكياتهم الدقيقة، والطريقة التي يتناولون بها طعامهم، وإذا كانوا يضحكون أحياناً دونما سبب واضح.»

رفعت حاجبي، وقلت: «أتقصد أنه مجنون؟»
«مجنون للغاية، للغاية.»
ثم أضاف: «ولكنك لن تعرف أبداً.»
«من؟»

التقت عيناه بعيناي، ثم ابتسم، قائلاً: «كلا، كلا يا بيرتون، هذا من شأنه أن يكون قذفاً، ولا ينبغي أن نضيف المزيد من القذف إلى ما نحن فيه بالفعل.»
ثم سار وغاب عن الأنظار.

- ٣ -

بينما كنت أأحدق إليه وهو يختفي مبتعداً، فُتح باب دار العبادة وخرج منه كايب كالشروب.

ابتسم لي ابتسامة توحى بأنه لا يتذكرني.
«صباح الخير، سيد»

ساعدته قائلاً: «بيرتون»
 «بالطبع، بالطبع، لاتظن أنني لا أتذكرك، كل ما هنالك أن اسمك قد غاب عن
 بالي للحظة. إنه يوم جميل»
 قلت باقتضاب: «نعم»
 حملق إلي، قائلاً: «ولكن شيئاً أه، نعم، تلك الفتاة المسكينة تعيسة الحظ
 التي كانت تعمل في الخدمة في بيت السيد سيمينجتون. يجب أن أعترف بأنني
 أجد صعوبة في تصديق أن هناك قاتلاً يعيش بيننا، يا سيد بيرتون»
 قلت له: «إنه أمر سيء»
 مال برأسه ناحيتي وقال: «لقد سمعت شيئاً آخر، لقد علمت أن هناك رسائل
 مجهولة يتلقاها سكان البلدة، هل سمعت أنت شائعات عن شيء كهذا؟»
 «نعم، لقد سمعت»
 «عمل خسيس وجبان» توقف ثم أخذ يقول الكثير من الكلام باللغة
 اللاتينية وقال: «هذه المعاني تنطبق على ما يجري هنا، أليس كذلك؟»
 قلت: «تماماً»

- ٤ -

لم يبد لي أن هناك أحد يمكنني أن أتحدث إليه حديثاً مفيداً، لذا عدت إلى البيت،
 وفي طريقي قررت شراء تبغ، فسمعت بعض الآراء المتواضعة حول الجريمة.
 «متسول حقير. يبدو أن البائع هو المتحدث»
 «إنهم يطرقون الأبواب وهم سكارى ويطلبون المال، ثم إذا وجدوا أنها وحدها
 في المنزل، فإنهم يهاجمونها. لقد تعرضت أختي دورا التي تعمل في كوميدي أكر
 لتجربة كهذه يوماً ما وقد كان المتسول مخموراً ويبيع تلك الأشعار المطبوعة...»
 واصل البائع سرد حكايته حتى انتهى إلى أن دورا أغلقت الباب بشجاعة في
 وجه الرجل وتحصنت في مكان لم يصرح به، وإن كنت قد فهمت من تخرجه
 من ذلك أنه المرحاض.

«وظلت هناك حتى عادت سيدتها إلى المنزل.»

وصلت إلى ليتل فيرز قبل موعد الغداء ببضع دقائق. كانت جوانا تقف أمام النافذة بحجرة الرسم لا تفعل شيئاً على الإطلاق وإن كانت تبدو مشغولة البال إلى حد كبير.

سألتها: «فيم تفكرين؟»

«أوه، لا أدري، ليس شيئاً محدداً.»

ذهبت إلى الشرفة فوجدت مقعدين حول منضدة معدنية وكوبي عصير فارغين، وعلى كرسي آخر كان هناك شيء نظرت إليه بذهول.

«ما هذا بحق السماء؟»

قالت جوانا: «أوه، أعتقد أنها صورة لطحال مريض أو شيء من هذا القبيل. يبدو أن السيد جريفيث ظن أنني مهتمة برؤيتها.»

نظرت إلى الصورة ببعض الاهتمام. فلكل رجل طريقته الخاصة للتعبير عن إعجابه بالمرأة. وأنا عن نفسي ما كنت لأختار صور طحال مريض، أو غير مريض، للتعبير عن إعجابي، ومع ذلك فإن جوانا هي من طلبتها دون شك!

قلت: «إنها تبدو مثيرة للاشمئزاز!»

وافقتني جوانا على ذلك.

سألتها: «كيف كان حال جريفيث؟»

«بدا متعباً وحزيناً جداً. أعتقد أن هناك شيئاً يشغل باله.»

«طحال لم يستجب للعلاج؟»

«لا تكن سخيلاً، فانا أعني أن هناك شيئاً حقيقياً يشغله.»

«أعتقد أنه مشغول بك. وأتمنى أن تبتعدي عنه يا جوانا.»

«أوه، اصمت، فانا لم أفعل شيئاً.»

هرعت جوانا إلى الغرفة غاضبة. بدأت صورة الطحال المريض تتجمع نتيجة لتعرضها للشمس، لذا أمسكتها من إحدى زواياها وذهبت إلى حجرة الرسم. لم تكن ذات أهمية بالنسبة لي، ولكنني افترضت أنها أحد كنوز جريفيث.

انحنيت وسحبت كتاباً ثقیلاً من الرف السفلي للمكتبة حتى أضع الصورة بين دفتيه كي ترجع كما كانت بلا تجاعيد.
وبطريقة مفاجئة انفتح الكتاب في يدي، وسرعان ما عرفت السبب. فهناك عدد من صفحاته قد انتزعت من منتصفه بإتقان.

وقفت أهدق فيه، ثم نظرت إلى صفحة العنوان فرأيت أنه قد نشر عام ١٨٤٠. لم يكن في المسألة أي شك على الإطلاق؛ فقد كنت أنظر إلى الكتاب الذي جمعت من صفحاته كلمات الرسائل المجهولة. من الذي قصّها؟ حسناً أولاً، يمكن أن تكون إميلي بارتُن نفسها، وربما كانت هي الشخص الواضح الذي تتجه إليه الأنظار، أو قد تكون بارتريدج.

ولكن كانت توجد احتمالات أخرى عديدة. يمكن أن تكون الصفحات قد قُطعت من قبل أي شخص بقي في هذه الغرفة وحيداً، من قبل زائر جلس هناك ينتظر الأنسة إميلي مثلاً، أو ربما يكون أي شخص جاء لزيارتها في عمل ما. كلا، لم يكن ذلك مرجحاً كثيراً؛ فقد لاحظتُ ذات يوم - عندما جاء موظف البنك لرؤيتي - أن بارتريدج أدخلته إلى المكتب الصغير في آخر البيت. من الواضح أن ذلك هو ما جرت عليه العادة في هذا البيت. أليكون زائراً إذن؟ شخصاً ذا ((مكانة اجتماعية مرموقة))؟ السيد باي؟ إيمي غريفيث؟ السيدة كالثروب؟

قُرع جرس الطعام وذهبت لتناول الغداء. وبعد ذلك، عندما كنا في غرفة الاستقبال، أطلعت جوانا على اكتشافي. ناقشنا الأمر من جميع جوانبه، ثم أخذت الكتاب إلى مركز الشرطة.

سُرّوا جميعاً من هذا الاكتشاف وهنؤوني على شيء لم يكن إلا مجرد حظ. لم يكن غريفز هناك، ولكن ناش كان موجوداً، وقد اتصل بزميله بالهاتف. واتفقنا على فحص الكتاب بحثاً عن بصمات الأصابع، رغم أن ناش لم يكن

متفائلاً باكتشاف شيء. ويمكن القول إنه لم يجد شيئاً بالفعل فلم تكن على الكتاب سوى بصماتي وبصمات بارتريدج فحسب، مما يظهر أن بارتريدج كانت تنظف كل شيء بإخلاص.

سار تاش معي في طريق عودتي صعوداً على التلة. سألته كيف تجري الأمور معه فقال: إننا نضيق نطاق الاحتمالات يا سيد بيرتن، فقد حذفنا الأشخاص المستبعدين. - آه. ومن بقي؟

- الأنسة غينش. كان يفترض أن تلتقي بأحد الزبائن في أحد البيوت عصر أمس بناء على موعد سابق. لم يكن البيت بعيداً على طريق كومبيكر، وهو الطريق الذي يمر عبر بيت سمنتغن. كانت ستمر أمام البيت في ذهابها وفي عودتها.. وفي الأسبوع الذي سبق، يوم سلّمت الرسالة المجهولة وانتحرت السيدة سيمنغن، كان ذلك هو آخر أيامها في مكتب سيمنغن. وقد ظن السيد سيمنغن في البداية أنها لم تغادر المكتب أبداً عصر ذلك اليوم. كان معه السير هنري لاشينغن طيلة العصر، وقد اتصل بالأنسة غينش عدة مرات، ومع ذلك فقد اكتشفت أنها غادرت المكتب بين الساعة الثالثة والرابعة؛ خرجت لشراء بعض الطوابع البريدية التي نفذت من المكتب. كان بوسعها إرسال صبي المكتب لشراء الطوابع، ولكنها اختارت أن تذهب بنفسها قائلة إنها مصابة بالصداع وتحب استنشاق بعض الهواء الطلق، ولم تغب طويلاً.

- ولكنها غابت بما يكفي؟

- نعم، غابت بما يكفي للذهاب سريعاً إلى الطرف الآخر من القرية ودس رسالة في الصندوق والعودة مرة أخرى، ولكن لا بد لي من القول إن أحداً لم يرها قرب بيت سيمنغن.

- أكان من شأن أحد أن يلحظها؟

- ربما، وربما لا.

- ومن غيرها في جعبتك؟

نظر ناش أمامه بصورة مستقيمة وقال: أنت تفهم أننا لا نستطيع استثناء

أي شخص.. أي شخص على الإطلاق.

- نعم، أفهم ذلك.

قال بتجهم: لقد ذهبت الأنسة غريفيث إلى برينتن لحضور اجتماع لفتيات الكشافة بالأمس، وقد وصلت إلى هناك متأخرة.

- لا أحسبك تظن..

- كلا، لا أظن. ولكني لا أعرف. إن الأنسة غريفيث تبدو امرأة عاقلة وواعية تماماً.. ولكن، كما قلت، لا أعرف.

- وماذا عن الأسبوع الماضي؟ أيمن أن تكون قد دست الرسالة في الصندوق؟ - ممكن، فقد كانت تتسوق في البلدة عصر ذلك اليوم.

سكت قليلاً ثم قال: نفس الامر ينطبق على إميلي بارتن. كانت قد خرجت للتسوق في وقت مبكر من بعد ظهر أمس، وذهبت مشياً على الأقدام لرؤية بعض صديقاتها على الطريق الذي يمر أمام بيت سيمنغتن الماضي.

هزرت رأسي غير مصدق. كنت أعرف أن العثور في منزل ليتل فيرز على الكتاب الذي قصت منه الأوراق سيؤدي حتماً إلى توجيه الانتباه نحو صاحبة البيت، ولكني عندما تذكرت قدوم الأنسة إميلي بالأمس بكل ذلك الإشراق والسعادة والانفعال...

تباً للامر كله.. الانفعال.. نعم، كانت منفعة.. بخدين متوردين، وعينين لامعتين.. من المؤكد أن ذلك لم يكن بسبب.. لم يكن لأنها..

قلت على نحو غامض: ما أسوأ هذا الامر على المرء! فهو يجعله يرى أشياء عديدة.. ويتصور أشياء كثيرة...

قال ناش: نعم، ليس من المفرج كثيراً أن ينظر المرء إلى من يلتقيهم من زملائه البشر على أنهم مجرمون مهووسون. وسكت لحظة ثم أكمل: ولدينا السيد باي..

قلت بحدة: أوقد فكرتم فيه إذن؟

ابتسم ناش وقال: أوه، نعم، فكرنا فيه دون شك. شخصية غريبة جداً... ولا أظنها شخصية لطيفة كثيراً. ليس لديه ما يثبت مكان وجوده ساعة الجريمة.

كان في حديقته وحيداً في كلا الحادثتين.

- إذن فأنتم لا تشبهون بالنساء فقط؟

- لا أظن أن من كتب الرسائل رجل... بل إنني متأكد من ذلك في الواقع، وكذلك غريفرز، مع وضعنا لصاحبنا السيد باي في أذهاننا دوماً، ذلك أن في شخصيته بعض الملامح الأنثوية الشاذة. لكننا راجعنا تحركات الجميع بالنسبة لعصر أمس؛ فهذه جريمة قتل كما تعلم. وضعك أنت على ما يرام، وكذلك أختك، والسيد سيمنغتن الذي لم يغادر مكتبه بعد أن وصل إليه، وكذلك الدكتور غريفيث الذي كان يقوم بجولة على المرضى في الجانب الآخر من البلدة، وقد تحققت من الزيارات التي قام بها.

سكت، ثم ابتسم ثانية وقال: نحن - كما نرى - لا نترك شيئاً للصدف.

قلت ببطء: إذن فقد تمت تصفية القضية بحيث لم يتبق إلا هؤلاء الأربعة:

الآنسة غينش، والسيد باي، والآنسة غريفيث، والآنسة بارتن؟

- أوه، كلا لدينا اثنان غيرهم.. إلى جانب زوجة الكاهن.

- هل فكرتم فيها؟

- فكرنا في الجميع، ولكن جنون السيدة كالثروب أكثر صراحة ووضوحاً من أن تكون هي، إن كنت تفهم ما أعنيه. ومع ذلك يمكن أن تكون قد فعلتها. كانت في الغاية ترقب الطيور عصر أمس.. ولا يمكن للطيور أن تشهد لصالحها. التفتُ بحدة عندما دخل أوين غريفيث إلى مركز الشرطة قائلاً: مرحباً يا

ناش. سمعت أنك كنت تسال عني هذا الصباح. هل من شيء هام؟

- سيكون التحقيق يوم الجمعة إن كان ذلك يلائمك يا دكتور غريفيث.

- جيد، سنقوم أنا ومورسبي بتشريح الجثة هذه الليلة.

قال ناش: شيء آخر يا دكتور غريفيث. كانت السيدة سيمنغتن تتناول بعض

الأقراص أو الكبسولات التي وصفتها لها..

ثم سكت، فقال أوين غريفيث متسائلاً: نعم؟

- هل كان من شأن جرعة زائدة من هذه الأقراص أن تكون قاتلة؟

قال غريفيث بجفاء: كلا، بالتأكيد. إلا إذا تناولت خمسة وعشرين قرصاً مثلاً!
 - لكنك حذرتها مرة من تجاوز الجرعة المقررة كما أخبرتني الأنسة هولاند.
 - نعم، هذا صحيح. فقد كانت السيدة سيمينغتن من ذلك النوع الذي يمكن
 أن يعتمد إلى المبالغة في تناول أي شيء يوصف له.. تتخيل أن مضاعفة الجرعة
 سيعني مضاعفة التحسن، لكننا لا نريد لأي مريض أن يضاعف جرعته حتى
 لو كانت من الأسبرين؛ فمثل هذا مضر. وعلى أية حال، ليس هناك أي شك على
 الإطلاق في سبب وفاتها؛ فقد حدثت بسبب السياتيد.

- أوه، أعرف ذلك... أنت لم تدرك قصدي. لقد رأيتُ فقط أن من يريد الانتحار
 سيفضّل أخذ جرعة مضاعفة من المنوم على إطعام نفسه حمض البورسيك.
 - صحيح. ولكن حمض البورسيك - من ناحية أخرى - أكثر درامية،
 ويؤدي الغرض بصورة أكيدة، ولو تناول المنتحر مادة منومة مثلاً فمن الممكن
 إسعافه إذا أدركته في الوقت المناسب.
 - فهمت، أشكرك يا دكتور غريفيث.

غادر غريفيث، وودعتُ ناش، وعدت إلى البيت صاعداً التلة ببطء. كانت
 جوانا خارج البيت.. أو لم تكن فيه أية إشارة على وجودها على الأقل، وكانت
 هناك ملاحظة مبهمه مكتوبة بخط سريع على حاملة الهاتف، والمفترض
 أنها كانت توجيهاً إما لي أو لبارتريدج: ((إذا اتصل الدكتور غريفيث فلا يمكنني
 المضي يوم الثلاثاء، ولكن يمكن ترتيب ذلك يوم الأربعاء أو الخميس)).

رفعت حاجبيّ ودخلت غرفة الاستقبال، حيث جلست على أكثر الكراسي
 راحة (ولم يكن أيّ منها مريحاً تماماً لأن ظهورها مستقيمة وهي من بقايا
 المرحومة السيدة بارتن) ومددت ساقيّ وحاولت التفكير في الأمر كله.

تذكرت - بانزعاج مفاجئ - أن وصول أوين قد قطع عليّ حديثي مع
 المفتش وأنه كان قد ذكر لتوه وجود شخصين آخرين مشتبه فيهما. وتساءلت
 عن هوية هذين الشخصين: أتكون بارتريدج واحدة منهما؟ فالكتاب الذي قُصت
 منه الأوراق وُجد في هذا البيت ويمكن أن تكون أغنيس قد ضُربت على يد

مُرشدتها وراعيتهما وهي غافلة لا تشك بشيء، كلا، لا يمكن استبعاد بارتريدج. ولكن من هو الآخر؟ أ يكون شخصاً قد لا أعرفه؟ السيدة كليت؟ المشبوهة الأولى في القرية؟

أغمضت عينيّ وفكرت في أربعة أشخاص الواحد تلو الآخر، والغريب أنهم كانوا غير مرجحين، أ تكون إميلي بارثن اللطيفة الضئيلة الضعيفة؟ ما هي النقاط الموجودة عملياً ضدها؟ حياة الحرمان؟ الكبت والسيطرة اللذين تعرضت لهما منذ طفولتها المبكرة؟ التضحيات الكثيرة التي كانت مطلوبة منها؟ رعبها الغريب من مناقشة أيّ موضوع ((ليس لطيفاً))؟ أ كان ذلك عملياً مؤشراً على انشغال داخلي مرضي بتلك الموضوعات نفسها؟ أحسست أنني أصبحت فرويدياً إلى درجة فظيعة. تذكرت أن أحد الأطباء أخبرني يوماً بأن هلوسات السيدات العوانس اللطيفات عندما يقعن تحت تأثير المخدر كانت كشفاً مذهلاً؛ قال لي: ما كان المرء ليظن أنهم يعرفن مثل تلك الكلمات!

إيمي غريفيث؟ لم يكن فيها - بالتأكيد - شيء مكبوت أو مُحيط. امرأة مرحلة مسترجلة ناجحة، وحياة مليئة مشغولة. ومع ذلك فقد قالت السيدة كالثروب عنها ((فتاة مسكينة))!

وكان هناك شيء... شيء ما.. أه! تذكرته. لقد قال أوين غريفيث شيئاً من قبيل: ((لقد حدثت موجة من تلك الرسائل المجهولة في الشمال حيث كنتُ أعمل)) أ كان ذلك أيضاً من عمل إيمي غريفيث؟ من المؤكد أن تلك مصادفة لا تكاد تُصدق: أن تحدث موجتا رسائل من نفس النوع. ولكن تمهل لحظة، فقد عثر الشرطة على كاتبة تلك الرسائل. لقد قال غريفيث ذلك، وكانت طالبة مدرسة.

أصبح الجو بارداً فجأة.. لا بد أنه تيار هوائي من النافذة. تقلبت على الكرسي منزعجاً. لماذا شعرت فجأة بهذا الإحساس الغريب وهذا الإنزعاج؟

امض في تفكيرك.. إيمي؟ أ تكون كاتبة تلك الرسائل هي إيمي غريفيث وليست تلك الفتاة الأخرى؟ ربما جاءت إيمي إلى هنا وبدأت بممارسة حيلها ثانية، ولهذا كان أوين غريفيث يبدو تعيساً شديد القلق؛ لقد شك بالحقيقة.

نعم. لقد شك..

أم تراه يكون السيد باي؟ إنه - بطريقة ما - ليس بالرجل اللطيف جداً. يمكنني تصويره وهو يقوم بهذا الأمر كله.. ضاحكاً!
تلك الرسالة المكتوبة على حاملة الهاتف في الصالة.. لماذا أوصل التفكير فيها؟ غريفيث وجوانا.. كان يقع في حبها.. ولكن لا، لم يكن ذلك هو السبب الذي جعل الرسالة تقلقني. كان شيئاً آخر..

كانت حواسي تسبح، وكان النوم قريباً مني. كررت في نفسي بغباء: ((لا دخان بلا نار. لا دخان بلا نار.. هذه هي الحقائق كلها تترابط معاً...)) وبعدها رأيته أسير في الشارع مع ميغان، ومرت إلسي هولاند. كانت تلبس ثياب العروس والناس يتبتمون: سوف تتزوج الدكتور غريفيث أخيراً، فقد كانا طبعاً مخطوبين سراً منذ سنوات...

كنّا في الكنيسة، وكان كالثروب يقرأ الخطبة باللاتينية، وفي وسط الخطبة قفرت السيدة كالثروب من مقعدها وصاحت بقوة! يجب إيقاف هذا.. يجب إيقاف هذا! ولبضع لحظات لم أعرف إن كنت نائماً أم مستيقظاً. ثم صفا ذهني، وأدركت أنني كنت في غرفة الاستقبال في ليتل فيرز وأن السيدة كالثروب قد دخلت لتوها من الباب الزجاجي وكانت تقف أمامي وتقول بغضب وعصبية: يجب إيقاف هذا. قفرت قائلاً: أرجو المعذرة، لم أسمعك! أخشى أنني كنت نائماً. ماذا قلت؟ ضربت السيدة كالثروب يقبضتها على راحة يدها الأخرى بقوة وقالت: يجب وقف هذا. هذه الرسائل.. جرائم القتل.. لا يمكن الاستمرار في قتل أطفال أبرياء أمثال أغنيس ودل!

- أنت محقة تماماً، ولكن كيف تنوين إيقافها؟

- يجب أن تفعل شيئاً!

ابتسمتُ، وربما كان في ابتسامتي شيء من الفوقية، ثم قلت:

وما الذي تقترحين علينا عمله؟

- يجب توضيح كل شيء! لقد قلتُ إن هذه ليست بلدة شريرة. ولكنني كنت

مخطئة، إنها شريرة.

شعرت بالضيق، وقلت بشكل لم أراع فيه كثيراً من الأدب: نعم يا سيدتي العزيزة، ولكن ماذا ستفعلين؟

- أضع حداً لهذا الأمر كله بالطبع.

- الشرطة يبذلون كل جهدهم.

- إن كانت أغنيس قد قتلت بالأمس فإن كل جهدهم ليس كافياً.

- إذن فانت تعرفين أفضل منهم؟

- أبداً. أنا لا أعرف شيئاً على الإطلاق، ولهذا سأستدعي خبيراً.

هزرت رأسي وقلت: لا يمكنك فعل ذلك؛ إذ أن سكوتلانديارد لا تتدخل إلا بناءً

على طلب من رئيس الشرطة في المقاطعة، وقد قامت في الواقع بإرسال غريفر.

لا أقصد خبيراً من هذا النوع. لا أقصد شخصاً يعرف عن هذه الرسائل

المجهولة أو حتى عن جرائم القتل. أقصد شخصاً يعرف الناس، ألا تفهم؟ نريد

شخصاً يعرف الكثير عن الشر!

كانت وجهة نظر غريبة، ولكنها كانت مُحفزة على نحو ما. وقبل أن أتفوه

بأية كلمة أخرى أومأت السيدة كالشروب برأسها لي وقالت بنبرة سريعة وواثقة:

أنا سأتولى ذلك في الحال.

ثم خرجت من الباب الزجاجي مرة أخرى.

الفصل العاشر

أظن أن الأسبوع الذي تلا ذلك كان من أكثر الأسابيع التي
موت عليّ غربة. كان في أحداثه شيء أشبه بالأحلام، إذ لم
يبدُ أي شيء حقيقياً.
تم التحقيق في مقتل أغنيس وُدل، وحضره كل مكان
لايمستوك الفضوليين.



لم تظهر أية حقائق جديدة وعاد نفس الحكم المتوقع:
((جريمة قتل بواسطة مجهول أو مجهولين)).

وهكذا تم دفن المسكينة أغنيس وُدل في مقبرة الكنيسة القديمة الهادئة
بعد أن نالت نصيبها من الاهتمام العام، واستمرت الحياة في لايمستوك كما كانت
عليه من قبل. ولكن كلا، تلك العبارة الأخيرة ليست صحيحة؛ ليس كما كانت
عليه من قبل..

ففي عين كل امرئ من سكان البلدة كانت التماعة نصفها رعب ونصفها
لهفة وجشع، وأخذ الجار ينظر إلى جاره. لقد اتضحت في التحقيق نقطة
واحدة.. وهي أن من المستبعد تماماً أن يكون قاتل أغنيس وُدل شخصاً
غريباً عن البلدة، إذ لم يلحظ أحد وجود مشردين أو رجال غير معروفين في
المنطقة. كان - إذن - في مكان ما في لايمستوك شخص يسير في الشارع
العام، يتسوق، ويقضي ساعات النهار، بعد أن حطم جمجمة فتاة لا حول لها ولا
قوة وغرس سيخاً حاداً في رأسها. ولم يعرف أحد من هو ذلك الشخص!

وكما قلت، مرّت الأيام كأنها حلم. كنت أنظر إلى كل من ألتقيه وفق منظور
جديد، منظور الخشية من أن يكون قاتلاً محتملاً. ولم تكن تلك بالتجربة المريحة!
وفي الأماسي، عندما تُسدل الستائر، كنت أجلس مع جوانا نتحدث ونتحدث وناقش
جميع الاحتمالات التي بقيت - رغم ذلك - مُستبعدة لا يمكن تصديقها.

تمسكت جوانا بنظريتها القائلة إن الفاعل هو السيد باي، أما أنا فقد عدت بعد قليل من التردد إلى مشبوهتي الأصلية، الأنسة غينش. ولكننا ناقشنا الأسماء المحتملة مرة تلو الأخرى: السيد كالثروب.. بارتريدج.. إيمي غريفيث.. إميليا بارتُن؟

وكنا - طيلة هذه الفترة - تنتظر بعصبية وخشية وقوع شيء، ولكن لم يقع شيء لم يلتق أحد - حسب علمنا - أية رسائل أخرى. كان ناش يظهر في البلدة بصورة دورية، ولكنني لم أكن أعرف ماذا كان يفعل وما هي الفخاخ التي كان ينصبها، وكان غريفز قد رحل مرة أخرى.

جاءتنا إميليا بارتُن لشرب الشاي، وجاءت ميغان للغداء، وكان أوين غريفيث يدور على مرضاه. ذهبنا وشربنا الشاي عند السيد باي، كما ذهبنا لشرب الشاي في بيت الكاهن.

كنت مسروراً إذ وجدتُ أن السيدة كالثروب لم تُظهر تلك القسوة التي أبدتها في لقائنا الأخير، وأظن أنها نسيت كل شيء عن هذا الأمر. بدت الآن مهمة بصورة أساسية في القضاء على الفراش الأبيض للمحافظة على مزروعات القرنبيط والملفوف.

والحق أن الأمسية التي قضيناها في بيت الكاهن كانت من أكثر زيارتنا هدوءاً. كان بيتاً قديماً جميلاً، فيه غرفة استقبال كبيرة مريحة رغم قدمها، وقد نَجَد أثاثها بقماش وردي فاتح. وكانت في البيت ضيفة تقيم مع الكاهن وزوجته، وهي سيدة عجوز لطيفة كانت تحيك ثوباً ما بصوف أبيض.

تناولنا مع الشاي كعكة ساخنة لذيذة، وجاء الكاهن وابتسم في وجوهنا بينما كان يحدثنا حديثه اللطيف الدال على سعة علمه كانت جلسة سارة جداً. ولكنني لا أقصد بهذا أننا ابتعدنا كثيراً عن موضوع جريمة القتل، لاننا - فعلاً - لم نبتعد.

كانت الضيفة العجوز - واسمها الأنسة ماربل - قد أثارها هذا الموضوع. وكما قالت معتذرة: ((ليس لدينا في الريف إلا قليلاً جداً من الموضوعات التي

تصلح للحديث!). وقد قررت أن الفتاة القتيلة كانت تشبه دون ريب خادمتها إيديث، وقالت: كانت خادمة صغيرة في غاية اللطف والتعاون، ولكن لديها أحياناً القليل من البطء في استيعاب الأمور.

كما قالت الأنسة ماربل إن لها ابن عم له ابنة أخ كانت أخت زوجها قد عانت من إزعاجات ومشكلات كثيرة بسبب بعض الرسائل المجهولة، وبذلك فإن موضوع الرسائل كان هو الآخر مثيراً جداً بالنسبة للعجوز الرائعة.

قالت تخاطب السيدة كالثروب: ولكن أخبريني يا عزيزتي، ما الذي يقوله أهل القرية.. أقصد أهل البلدة؟ ما هو رأيهم؟

قالت جوانا: أظنهم مازالوا يظنون أنها السيدة كليت.

قالت السيدة كالثروب: أوه، كلا. ليس الآن.

سألت الأنسة ماربل عمّن تكون السيدة كليت هذه، فأجبتها جوانا بأنها ساحرة القرية، ثم قالت: أليس هذا صحيحاً يا سيدة كالثروب؟

تمتم الكاهن بعبارة طويلة مقتبسة باللغة اللاتينية خَيَّلَ إلي أنها عن موضوع القوة الشريرة للساحرات، وقد أصغينا جميعاً لكلامه بصمت واحترام دون أن نفهم كلمة واحدة.

قالت زوجته: إنها امرأة سخيضة جداً. تحب التباهي والإيحاء بأمور معينة؛ فتخرج لتجمع الأعشاب عندما يكون القمر بدرًا وتحرص على أن يعلم كل أهل القرية بهذا الأمر.

قالت الأنسة ماربل: وأحسب أن الفتيات السخيفات يذهبن ويستشرنهن؟

رأيت الكاهن يستعد لصب المزيد من العبارات اللاتينية على مسامعنا فسارعنا سؤال: ولكن لماذا لا يشك الناس الآن بارتكابها جريمة القتل؟ لقد توقعوا أن تكون الرسائل من فعلها.

قالت الأنسة ماربل: أوه! ولكن الفتاة قتلت بسيخ من حديد كما سمعت (وهي فعلة شنيعة جداً). إن من الطبيعي أن يُبعد هذا الأسلوب كل الشبهات عن السيدة كليت، إذ كان بإمكانها أن تطلب لها الشر بحيث تمرض الفتاة تدريجياً

ثم تموت لأسباب طبيعية.

قال الكاهن: غريب كيف تستمر هذه المعتقدات القديمة!

قالت زوجته: ما يتوجب علينا التعامل معه الآن ليس الخرافات بل الحقائق. قلت: وهي حقائق كريهة جداً.

قالت الأنسة ماربل: كلامك صحيح يا سيد بيرتن.. أرجو أن تعذرني إن كلامي شخصياً؛ ولكنك غريب هنا، ولديك معرفة بالعالم وبجوانب الحياة المختلفة. ويبدو لي أن من المفترض أن تستطيع أنت إيجاد حل لهذه المعضلة البغيضة. ابترست فقلت: إن أفضل حل توصلت إليه كان حلماً. وفي حلمي كانت كل الحقائق منسجمة تحتل مكانها الصحيح وتعطي نتائج رائعة. وعندما استيقظت وجدت - مع الأسف - أن كل شيء كان هراء.

- هذا مثير جداً. أرجو أن تخبرني كيف كان ذلك الهراء!

- لقد بدأ الأمر كله بالعبارة السخيفة: ((لا دخان بلا نار)).

امتزجت لدي مع مصطلحات حربية: سواتر دخانية، قصاصة ورق، رسائل هاتفية... ولكن كلا، كان ذلك في حلم آخر.

- وماذا كان ذلك الحلم؟

كانت السيدة العجوز متلهفة على هذا الموضوع بحيث شعرت بأنها كانت بالتأكيد قارئة سرية لكتاب ((تفسير الأحلام)) الذي كان مرافقاً دائماً لمربيتي العجوز.

قلت: رأيه فقه فقط أن إلسي هولاند (وهي مربية الأطفال في بيت سيمنغن) تتزوج من الدكتور غريفيث، وكان مضيفنا الكاهن يتلو الخطبة باللاتينية.. ثم نهضت السيدة كالثروب فاعترضت على الزواج وقالت إنه ينبغي وقف ذلك!

ثم أضاف مبتسماً: ولكن ذلك الجزء الأخير كان حقيقياً، فقد نهضت من غفوتي فوجدتك تقفين بجانبني وتقولين هذا الكلام.

قالت السيدة كالثروب: وكنت على حق تماماً.

سررتُ إذ لاحظتُ أنها قالت ذلك بهدوء ودون انفعال.

سألت الأنسة ماربل وهي تقطب جبينها: ولكن أين جاءت الرسائل الهاتفية

التي ذكرتها؟

- أوه، أخشى أنني أتصرف بغباء. فتلک لم تكن في الحلم، بل كانت قبله تماماً. جئت البيت ودخلت الصالة فلاحظت أن جوانا كتبت رسالة صغيرة أرادت إبلاغها لأحدهم إذا ما اتصل هاتفياً...

مالت الأنسة ماربل إلى الأمام، وقالت وقد احمرّت وجنتاها: هل ستعتبرني فضولية جداً ووقحة جداً إذا سألتك عن فحوى تلك الرسالة؟ ثم قالت وهي تنظر إلى جوانا: أرجو المعذرة يا عزيزتي.

ولكن جوانا كانت مستمتعة جداً، فطمأنّت السيدة العجوز قائلة: أوه، لا مانع لدي. أنا - شخصياً - لا أذكر منها شيئاً، ولكن ربما استطاع جيرى تذكرها. لابد أنها كانت مسألة تافهة جداً.

كررتُ بحدية كلمات الرسالة بأفضل ما أمكنني تذكره، وقد حفزني وسرّني ما أبدته العجوز من اهتمام بالغ. كنت أخشى أن تخيب كلمات الرسالة أملها، ولكن ربما خطر لها خاطر توهمت معه وجود علاقة غرامية ما خلف تلك الرسالة، إذ أنها أومات برأسها وابتسمت وبدت مسرورة، وقالت: فهمت. لقد ظننتُ أنها ستكون شيئاً على هذا النحو.

قالت السيدة الكاثروب بحدة: أي نحو يا جين؟

- أي أن تحوي كلاماً عادياً جداً.

نظرت إليّ متأملة لبعض الوقت ثم قالت على نحو غير متوقع: بوسعي أن أرى أنك شاب ذكي جداً... ولكنك غير واثق من نفسك بما فيه الكفاية. ينبغي أن تثق بنفسك! صاحت جوانا احتجاجاً: بالله عليك لا تشجعيه على مثل هذا الشعور، يكفيه ما لديه من عجب بنفسه.

قلت اسكتي يا جوانا، إن الأنسة ماربل تفهمني.

استأنفت الأنسة ماربل حياكتها بالصنارة، ثم قالت بتأمل حزين:

أتعلم، إن ارتكاب جريمة قتل ناجحة لابد أن يشبه كثيراً تنفيذ حيلة من حيل السحر.

- أتعنين أن خفة اليد وسرعتها تخدع العين؟
- ليس ذلك فقط. عليك أن تجعل الناس ينظرون إلى الشيء غير الصحيح وفي المكان غير الصحيح.. شيء من قبيل التوجيه الخاطيء لانتباه الناس.
قلت: حتى هذه اللحظة يبدو أن الجميع قد نظروا إلى المكان الخطأ بحثاً عن مجرمنا المجنون.
قالت الأنسة ماربل: من شأني - أنا شخصياً - أن أميل للبحث عن شخص عاقل جداً.

قلت متأملاً: نعم، هذا ما قاله ناش. وأذكر أنه شدد على أنه شخص محترم أيضاً. وافقت الأنسة ماربل قائلة: ((نعم. هذا هام جداً)) وبدا أننا جميعاً وافقنا على هذا الرأي. ثم خاطبت السيدة كالثروب قائلاً: يرى المفتش ناش أننا سنشهد المزيد من الرسائل المجهولة. ما رأيك؟
قالت ببطء: أحسب أن ذلك قد يحدث.
قالت الأنسة ماربل: إذا كان الشرطة يظنون ذلك، فسيكون الأمر دون شك كما يظنون.

توجهت بإصرار إلى السيدة كالثروب قائلاً: أما زلت تشفقين على كاتب تلك الرسائل؟ احمرّ وجهها وقالت: ولم لا؟
قالت الأنسة ماربل: لا أزنني أوافقك الرأي يا عزيزتي.. ليس في هذه القضية. قلت متحمساً: لقد دفعت تلك الرسائل امرأة إلى الانتحار وتسببت في بؤس وحسرة لا يوصفان!

سألت الأنسة ماربل جوانا: هل تلقيت واحدة يا أنسة بيرتن؟ قهقهت جوانا وقالت: أوه، نعم! وقد ذكرت أموراً مخيفة جداً.
قالت الأنسة ماربل: أخشى أن يكون كاتب الرسائل أكثر ميلاً لانتقاء من يتمتعون بالشباب والجمال.

قلت: هذا ما يجعلني أستغرب من استثناء إلسي هولاند من تلقي أية رسالة.
قالت الأنسة ماربل: انتظر لحظة.. أتعني مربية الاطفال لدي عائلة

سيمتغن؟ الفتاة التي حلمت بها يا سيد بيرتن؟

- نعم.

قالت جوانا: ربما تلقت واحدة ولكنها لا تريد قول ذلك.

قلت: لا، إنني أصدقها، وكذلك ناش.

قالت الأنسة ماربل: يا إلهي! هذا مثير جداً.. هذا أكثر ما سمعته إثارة حتى الآن!

أخبرتني جوانا - فيما كنا عاندين إلى البيت - أنني أخطأت إذ كررت ما قاله

ناش بخصوص استلام المزيد من الرسائل.

سألته لماذا؟

- لأن السيدة كالشروب قد تكون الفاعلة.

- أتصدقين ذلك حقاً!

- لست متأكدة؛ فهي امرأة غريبة الأطوار.

وعدنا إلى مناقشة الاحتمالات من جديد.

بعد ذلك بليتين كنت عائداً بالسيارة من إيكزامبتن. كنت قد تناولت العشاء

هناك ثم انطلقت عائداً بحيث لم أصل إلى لايمستوك إلا وقد خيم الظلام. وقد

أصاب أنوار السيارة عطبٌ ما، فبطأت السرعة وحاولت إطفاء وإشعال الأنوار

ثانية، ثم أوقفت السيارة وخرجت منها لرؤية ما يمكن فعله، وبقيت أعبث بها

فترة من الوقت إلى أن نجحت أخيراً في إصلاحها.

كان الطريق خالياً تماماً، إذ لم يكن أجد يخرج من لايمستوك بعدما يخيم

الظلام. كانت أمامي مباشرة أول بيوت البلدة، ومن ضمنها ذلك المبني الكريه

لجمعية المرأة. كان يلوح من بعيد منتصباً في ضوء النجوم الخافت، ودفعني

شيء في داخلي لأن أذهب وألقي نظرة عليه. لا أدري إن كنت قد لمحت بشكل

غير مؤكد ما بدا لي شخصاً دخل البوابة خلسة.. ولئن كان الأمر كذلك فقد كان

ذلك الانطباع واهياً لدرجة لم ينطبع معها في عقلي الواعي، ولكنني أحسست

فجأة بنوع من الفضول الطاغى إزاء هذا المبني.

كانت البوابة مفتوحة قليلاً، فدفعتها ودخلت، ورأيت أمامي ممراً قصيراً وأربع درجات تؤدي إلى باب المبنى. وقفت هناك لحظة متردداً؛ ما الذي كنت أفعله حقاً؟ لم أكن أعرف، وفجأة سمعت بقربي صوت حفيف.. بدا أشبه بصوت فستان امرأة. درت بسرعة وذهبت إلى زاوية المبنى حيث كان مصدر الصوت. لم أستطع رؤية أحد، فواصلت سيري وانعطفت عند زاوية أخرى. أصبحت الآن عند خلفية البيت، وفجأة رأيت نافذة مفتوحة على بعد قدمين مني فقط، رحفت أسفلها وأصغيت. لم أستطع سماع شيء. ولكنني أحسست - بشكل ما - بأنني مقتنع بوجود شخص في الداخل.

لم يكن ظهري قد غدا صالحاً بعد للالعاب الهوائية، ولكنني تمكنت من رفع نفسي والقفز إلى الداخل، وقد أحدثت حركتي هذه صوتاً لسوء الحظ. وقفت أمام النافذة مصغياً، ثم سرت إلى الأمام ويدي ممدودتان أمامي. وسمعت صوتاً خافتاً جداً أمامي إلى جهة اليمين.

كنت أحمل في جيبتي كشافاً صغيراً فاضاً، وعلى الفور سمعت صوتاً منخفضاً يقول بحدة: ((أطفئ هذا)) وأطعته فوراً، لأنني أدركت في تلك اللحظة القصيرة أنه كان المفتش تاش.

أحسست به يمسكني من ذراعي ويدفعني من خلال الباب إلى ممر، وهناك - حيث لا توجد نافذة تفضح وجودنا أمام أحد من الخارج - أضاء المفتش كشافاً ونظر إليّ نظرة تعبر عن الحزن أكثر مما تعبر عن الغضب، ثم قال: أكان يجب أن تتدخل في هذه اللحظة بالذات يا سيد بيرتن.

اعتذرت له قائلاً: أسف.. ولكن انتباني إحساس داخلي بأنني سأعثر على شيء ما. - وربما كنت ستعثر على شيء بالفعل. هل رأيت أحداً؟

ترددت ثم قلت ببطء: لست متأكداً. كان لدي إحساس غامض بأنني رأيت شخصاً يتسلل من البوابة الأمامية، لكنني لم أر أحداً رؤية محققة، ثم سمعت صوت حفيف عند جانب البيت.

أوماً ناش برأسه وقال: هذا صحيح، جاء شخص خلف البيت قبلك. وقد

تردد قليلاً عند النافذة، ثم ذهب بسرعة.. فقد سمعك، كما أظن.

اعتذرت له ثانية وسألته: ما هو الموضوع؟

- إنني أراهن على الفرضية القائلة إن من يكتب مثل هذه الرسائل لا يستطيع التوقف عن كتابتها. ربما كانت كاتبها على علم بخطورة ما تفعله، ولكنها ستضطر لفعله. إنه أشبه بالإدمان على الشراب أو المخدرات.

أومأت برأسي، فمضى قائلاً: ولذلك فإنني أتصور بأن كاتبة هذه الرسائل - كائنة من كانت - ستحرص على أن تبقى الرسائل على نفس النمط قدر الإمكان. لقد انتزعت تلك الصفحات من ذلك الكتاب، ويمكنها الاستمرار في استخدام الحروف والكلمات بعد قصها من تلك الصفحات. ولكن المغلفات تمثل لها صعوبة، إذ سيتعين عليها أن تطبع على نفس الآلة الكاتبة. لا تستطيع المجازفة باستخدام طابعة أخرى أو باستخدام خط يدها.

سألته غير مصدق: أعتقد حقاً أنها ستواصل نفس اللعبة؟

- نعم، وأراهنك بأي شيء تريده على أنها واثقة جداً بنفسها.

إن أمثال هذه المرأة يملؤهم الغرور! ولذلك فقد تصورتُ أن الفاعلة ستأتي إلى الجمعية بعد أن يحل الظلام حتى تستخدم الآلة الكاتبة. قلقت: الأنسة غينش.

- ربما.

- ألم تعرف بعد؟

- لا أعرف.

- ولكنك تشكّ؟

- نعم، ولكن الفاعل شديد المكر يا سيد بيرتن، إنه يعرف جميع أساليب اللعبة. أستطيع أن أتخيل الشبكة التي نشرها ناش على اتساعها. ليس عندي شك أن كل رسالة يكتبها مشبوه ويضعها في البريد أو يسلمها باليد يتم تفتيشها فوراً. سوف تزل قدما الجاني عاجلاً أم آجلاً، وسوف يزداد إهمالاً.

اعتذرت للمرة الثالثة عن وجودي الحماسي غير المرغوب فيه، فقال ناش بأسلوب

- فلسفي: حسناً، هذا ما لم يكن بالإمكان تفاديه. حظاً أفضل في المرة القادمة.
- خرجت إلى عتمة الليل، فرأيت ظل شخص يقف إلى جانب سيارتي. ولشدة دهشتي أدركت أنها ميغان. قالت: مرحباً، ظننتُ أن هذه سيارتك. ما الذي كنت تفعله؟
- الأخرى أن أسأل ما الذي تفعلينه أنت.
- خرجت أتمشى. إنني أحب المشي في الليل، لا أحد يوقفك ويتحدث معك بحديث سخيف. كما أنني أحب النجوم، ورائحة الأشجار تكون أركى، وتبدو الأمور اليومية الاعتيادية أكثر سحراً.
- أسلم معك بصحة هذا كله ولكن الققط والساحرات فقط هن اللاتي يخرجن في الظلام، وسوف يتساءل أهل البيت عن مكان وجودك.
- كلا، لن يتساءلوا، إنهم لا يتساءلون أبداً عن مكاني.
- كيف تسير أمورك؟
- أظنها على ما يرام.
- هل تهتم بك الأنسة هولاند وترعاك؟
- إسي لا بأس بها. لا يسعها إلا أن تكون مغفلة تماماً.
- وصف فظ، ولكنه ربما كان صحيحاً أركبي حتى أوصلك إلى البيت.
- لم يكن صحيحاً أن أحداً لا يفتقد ميغان؛ فقد كان سيمنغتن واقفاً على عتبة الباب عندما وصلنا. نظر باتجاهنا وقال: مرحباً، هل ميغان موجودة معك؟
- نعم، لقد أحضرتها إلى البيت.
- قال سيمنغتم بحدة: يجب ألا تخرجي هكذا دون أن تخبرينا يا ميغان؛ لقد قلت الأنسة هولاند عليك كثيراً.
- تمتعت ميغان بكلمات غير مفهومة وهي تعبر أمامه وتدخل البيت تنهد سيمنغتن وقال: إن البنت البالغة مسؤولة عظيمة عندما لا تكون عندها أم ترعاها، وأحسبها كبرت على المدرسة.
- ثم نظر إليّ بشيء من الارتياح وقال: أظنك أخذتها معك في نزهة بالسيارة؟
- رأيت أن من الأفضل ترك السؤال هكذا.

الفصل الحادي عشر

في اليوم التالي جن جنوني، وإذا أتذكر الآن هذا الأمر فإنني لا أجد حقاً إلا في هذا التفسير.
كان عليّ القيام بالزيارة الشهرية للدكتور مار كوس كت..
ذهبت بالقطار.



ولشدة دهشتي اختارت جوانا أن تبقي في البيت، مع أن من عاداتها دائماً أن تكون متلهفة على المجيء معي حيث نبقي هناك بضعة أيام. واعتزمت هذه المرة العودة في نفس اليوم في قطار المساء، ولكنني كنت - مع ذلك - مندهشة من جوانا؛ فقد اكتفت بالقول بطريقة مبهمة إن لديها الكثير من العمل لتقوم به، وتساءلت لماذا عساها تقضي ساعات في قطار رديء مزدحم بينما كان الجو رائعاً في الريف.

كان ذلك بالطبع أمراً لا يمكن إنكاره، ولكنه بدا مخالفاً لطبيعة جوانا. قالت إنها لا تريد السيارة ولذلك يمكنني الذهاب بها إلى المحطة وتركها هناك لحين عودتي. تقع محطة لايمستوك - لسبب لا يعرفه أحد سوى شركة سكك الحديد - على مسافة نصف ميل من لايمستوك نفسها. وفي منتصف طريقي إلى المحطة رأيت ميغان تسير على غير هدى.
توقفت وقلت: مرحباً، ماذا تفعلين؟
- خرجت لأتمشي فقط.

- ولكنني أرى أن مشيك ليس بالمشي الرشيق السريع. أنت تمشين زحفاً كسرطان الماء الحزين.
- ذلك لأنني لا أقصد مكاناً محدداً بذاته.
- إذن يمكنك أن تأتي لتوديعي في المحطة.

فتحت باب السيارة، فقفرت ميغان فيها وسألتني: إلى أين أنت ذاهب؟

- إلى لندن؛ لرؤية طبيبي.

- هل تدهورت حالة ظهرك؟

- لا، لقد عاد طبيعياً الآن، وأتوقع أن يسعد الطبيب كثيراً لذلك.

أومات ميغان برأسها وقدت السيارة وصولاً إلى المحطة، وهناك أوقفتها

ودخلت المحطة واشترت تذكريتي من شابك للحجز. كان على الرصيف عدد

قليل جداً من الناس ولم يكن بينهم من أعرفه قالت ميغان: هل تمنع في

إقراضي بنساً؟ أريد أن أشتري قطعة من الشوكولاته من تلك الآلة.

قلت وأنا أسلمها القطعة النقدية المطلوبة: هاك يا طفليتي. أنت واثقة أنك

لا تريدين أيضاً علكة أو أقراص الحلق المرطبة؟

قالت دون أن تنتبه لسخريتي: أحب الشوكولاته أكثر.

ذهبت إلى آلة الشوكولاتة ونظرت إلي وهي ذاهبة بشعور من الغيظ

المتنامي. كانت تلبس حذاءً بالياً وجوارب خشنة قبيحة المنظر وبلوزة وتنورة لا

شكل لهما. ولا أعرف لماذا أغاظني كل هذا، ولكنه أغاظني فعلاً.

قلت غاضباً عندما عادت: لماذا تلبسين هذه الجوارب المخزية؟

نظرت ميغان إلى جواربها مندهشة وقالت: وما العيب فيها؟

- كل العيب فيها؛ إنها كريهة؛ ولماذا تلبسين كنزة كأنها رأس ملفوف فاسد؟

- لا بأس بها، فهي عندي منذ سنوات.

- هذا واضح تماماً. ولماذا أنت..

في هذه اللحظة وصل القطار فقطع عليّ محاضرتي الغاضبة دخلت مقصورة

خالية في الدرجة الأولى، وأنزلت النافذة، وأخرجت رأسي منها لأكمل الحديث.

وقفت ميغان أسفل مني ووجهها إلى أعلى. سألتني عن سبب غضبي، فقلت غير

صادق: لست غاضباً، إنما أحسست بالغيظ لأنني أراك كسولة ولا تهتمين بمظهرك.

- لا يمكن أن أبدو بمظهر حسن على أية حال، فما أهمية ذلك إذن؟

- يا إلهي، أريد أن أراك بثياب جيدة... بودي أن أخذك إلى لندن وأكسوك

من رأسك حتى قدمك.

قالت: ليتك تفعل!

بدأ القطار يتحرك، ونظرت إلى وجه ميغان الكئيب، وعندها انتباني الجنون كما قلت: فتحت الباب، وأمسكت بميغان بذراع واحدة ورفعتها إلى المقصورة بسرعة! أطلق الحمال صيحة غاضبة، ولكن كل ما استطاع فعله هو إغلاق الباب مرة أخرى بطريقة بارعة. رفعت ميغان عن الأرض، فسألتني وهي تمسح ركبته: لماذا فعلت ذلك بالله عليك؟

- اسكتي. ستأتين معي إلى لندن، وعندما أفرغ من أمرك لن تعرفني نفسك! سأريك كيف يمكنك أن تظهرني لو حاولت الاهتمام بنفسك! لقد سنمت من رؤيتك تتسكعين بملابس رثة.

أطلقت ميغان أهة هامسة تملؤها النشوة. وجاء محصل التذاكر فاشترت لها تذكرة ذهاب وعودة، وجلست في زاويتها تنظر إلي بنوع من الاحترام والرغبة. وعندما ذهب الرجال قالت:

أرى أنك ممن يتصرفون من وحي اللحظة، أليس كذلك؟

- تماماً... إنها إحدى الصفات المتوارثة في عائلتنا.

كيف أشرح لميغان ذلك الإحساس المفاجئ الذي انتباني؟

كانت قد بدت أشبه بكلب حزين تركه صاحبه وراءه، وهي الآن تظهر من البهجة المستغربة ما يظهره الكلب إذ قرر صاحبه اصطحابه في نهاية الأمر.

قلت لها: لا أحسبك تعرفين لندن جيداً، أليس كذلك؟

- بل أعرفها. كنت أمر بها دائماً حين كنت أذهب إلى المدرسة. كما ذهبت إلى طبيب أسنان فيها، وإلى إحدى المسرحيات.

- هذه المرة ستكون لندن مختلفة.

وصلنا قبل نصف ساعة من موعدي مع الطبيب في شارع هارلي، فأخذت سيارة أجرة وذهبتنا إلى محل ميروتين للزياء الذي تتعامل جوانا معه. وصاحبة محل ميروتين امرأة مرحة غير تقليدية في الخامسة والأربعين من عمرها

اسمها ماري غري، وهي امرأة ذكية حلوة المعشر، وقد كنت معجباً بذوقها دائماً.
قلت لميغان: أنت ابنة عمي.

- لماذا؟

- لا تجادلي.

كانت ماري غري تتعامل مع فتاة بدينة وتصرّ على ثمن ثوب سهرة أزرق اللون ضيقاً كانت الفتاة قد افتتنت به. اقتربت منها وأخذتها جانباً وقلت: اسمعيني، لقد أحضرت ابنة عم لي. كانت جوانا ستأتي ولكن أمراً منعها فقالت إن بإمكانني ترك الأمر لك. هل ترين كيف تبدو الفتاة الآن؟
قالت ماري غري بإنفعال: يا إلهي، إنني أراها بالطبع.

- حسناً، أريد أن تقلبي مظهرها رأساً على عقب ومن جميع النواحي. لك مطلق الصلاحية لتجهيزها بكل ما تريدين. جوارب، أحذية، ملابس داخلية، كل شيء! على فكرة، المحل الذي يصف شعر جوانا قريب من هنا، أليس كذلك؟
- إنه عند الزاوية... سأتدبر هذا الأمر أيضاً.

- أنت امرأة بألف امرأة!

- أوه، سأستمتع بهذا الأمر، بغضّ النظر عن المال، مع أنه أمر لا يمكن الاستهانة به هذه الأيام.. إن نصف البهائم من زبوناتني لا يدفعن فواتيرهن أبداً. ولكن كما قلت، سوف أستمتع بهذا الأمر.

نظرت إلى ميغان نظرة محترفة وسريعة وهي تقف بعيداً عنا وقالت: إن لها شكلاً جميلاً.

- لا بد أن لك عينيّن أنفذ من الأشعة السينية؛ فأنا لا أرى لها أي شكل.

ضحكت ماري غري وقالت: لا تقلق، دع الأمر كله لي.

- حسناً، سأعود وأخذها في الساعة السادسة تقريباً.

كان ماركوس كنت مسروراً من صحتي، وقد أخبرني بأنني تجاوزت أفضل توقعاته، ثم قال: لا بد أن لك بُنية فيل حتى استعدت صحتك بهذه السرعة. يا له

من رائع ذلك التأثير الذي يتركه على المرأ هواء الريف وعدم التأخر في السهر أو التعرض لانفعالات.. إن هو استطاع الالتزام بذلك.
- أوافقك على أول اثنتين. ولكن لا تحسب أن الريف خلو من الانفعالات؛ فلدينا الكثير منها في منطقتنا.

- أي نوع من الانفعالات؟

- جرائم قتل مثلاً.

- زَمَ ماركوس كنت شفّته وصَفَر قائلاً: أهى مأساة حب ريفية؟

صبي مزارع يقتل فتاته؟

- أبداً، بل قاتل مخادع مصمم مجنون.

لم أقرأ عن ذلك شيئاً. متى أعتقلوه؟

- لم يعتقلوه، كما أنها أنثى!

- ووه! لست واثقاً أن لايمستوك هي المكان المناسب لك أيها الفتى.

قلت بصلاية: بل هي كذلك، ولن تستطيع إخراجي منها.

- هكذا إذن! أو قد وجدت حسناء هناك؟

قلت وأنا أفكر بالسي هولاند بشيء من الشعور بالذنب:

- إطلاقاً، كل ما في الأمر أن سيكولوجية الجريمة تثير اهتمامي.

- أوه، لا بأس. من المؤكد أنها لم تؤذك حتى الآن، ولكن تأكد فقط من أن

مجرمتك المجنونة لن تقتلك أنت.

- لا خوف من هذا.

- ما رأيك بالعشاء معي الليلة؟ يمكنك أن تخبرني كل شيء عن جريمتك تلك.

- أسف؛ إنني محجوز.

- موعد مع سيدة؟ نعم، أنت تتقدم بالتأكيد.

قلت وقد أعجبني تخيل ميغان وهي تقوم بذلك الدور: أحسب أن بوسعك

أن تسميها هكذا.

وصلتُ محل ميروتين هو في موعد الإغلاق الرسمي للمحل. جاءت ماري

غري لاستقبالي عند أعلى الدرج خارج غرفة العرض، وقالت وقد وضعت أصبعها على شفيتها: ستصاب بالصدمة! ولو صح أن أقول ذلك عن نفسي لقلت إنني قمت بعمل رائع.

ذهبت إلى غرفة العرض الكبيرة. كانت ميغان تقف وتتنظر إلى نفسها في مرآة طويلة، وأصدقكم القول بأنني لم أكد أعرفها، فقد أدهشني منظرها للحظات! طويلة ونحيفة بملابس أنيقة وجوارب حريرية وحذاء جميل.. كانت الجودة والتميز في كل مظهر من مظاهرها، وقد تم تشذيب شعرها وتصفيفه ليناسب رأسها، وكان يتلمع كحبة الكستناء. ولقد كان لهم من الذوق ما جعلهم يتركون وجهها على حاله، بلا مساحيق أو أحمر الشفاه.

نظرت إليّ باحتشام وهي تبتسم ابتسامة خجولة وقالت: إنني أبدو... رائعة بعض الشيء، أليس كذلك؟

- رائعة؟ إن كلمة رائعة لا تكفي لوصفك! تعالي نذهب إلى العشاء وسوف أندهش إن لم يلتفت إليك كل الرجال... ستقهرين كل الفتيات!

لم تكن ميغان بالغة الجمال، ولكنها كانت ذات مظهر أسر وغير عادي، كانت ذات شخصية. دخلت المطعم تتقدمني، وأسرع النادل إلينا يدعونا للجلوس على مائدة مناسبة. وبعدما تناولنا العشاء قالت ميغان: أليس هذا الطعام رائعاً؟ وكل شيء!

ثم تنهدت مسرورة، فقلت: نفس شعوري بالضبط.

كانت أمسية جميلة، وفجأة قالت ميغان بارتياح: ألا يجب أن نعود إلى البيت؟ فتحت فمي دهشة. نعم، كنت مستغرقاً تماماً بحيث نسيت كل شيء.. صحت: ((يا الهي!))، فقد أدركت أن آخر قطار قد غادر. قلت: ابقِ هنا أنا ذاهب للاتصال بالهاتف.

اتصلت بشركة لوبلين لتأجير السيارات وطلبت أن يرسلوا لنا أكبر وأسرع سيارة عندهم، وفي أسرع وقت ممكن. ثم عدت إلى ميغان وقلت لها: لقد غادر آخر القطارات لهذا اليوم، ولذلك سنعود إلى البيت بالسيارة.

- أحقاً؟ يا لها من متعة!

رأيت كم كانت طفلة لطيفة.. يسرها كل شيء، لا تجادل، وتقبل كل اقتراحاتي دون ضجة أو تذمر. وصلت السيارة، وكانت كبيرة وسريعة، ومع ذلك لم نصل إلى لايمستوك إلى في وقت متأخر جداً. قلت وقد شعرت فجأة بوخر الضمير: لابد أنهم أرسلوا فرق تفتيش للبحث عنك!

لكن ميغان بدت في مزاج هادي: قالت على نحو غامض: أوه، لا أظن ذلك؛ فأنا غالباً ما أخرج ولا أعود إلى البيت على الغداء.

- نعم يا عزيزتي، ولكنك غبت طوال النهار وتخلّفت عن العشاء أيضاً. حالف الحظ ميغان؛ فقد كان البيت مظلماً وساكناً، وبناء على نصيححتها درنا خلف البيت وألقينا حصى على نافذة غرفة روز.

وأخيراً أطلت روز من النافذة، وبعد الكثير من تعابير الدهشة المكبوتة والانفعال، نزلت لتدخلنا إلى البيت قائلة: ها أنت الآن، وأنا التي قلتُ إنك نائمة في فراشك. خرج سيدي مع الأنسة هولاند (قامت بحزمة ازدياء عند ذكر الأنسة هولاند). تناولوا العشاء مبكراً وذهبا في نزهة بالسيارة. وقد قلت لهما إنني سأهتم بأمر الولدين. ظننتُ أنني سمعتك تدخلين عندما كنتُ في غرفة الأطفال لإسكات كولين الذي كان يلعب في الغرفة، ولكنك لم تكوني موجودة عندما نزلت، ولذلك ظننت أنك ذهبت إلى فراشك، وهذا ما قلته عندما جاء سيدي وسأل عنك.

قطعتُ الحديث لاقول إن من الأفضل لميغان أن تأوى إلى فراشها الآن. قالت ميغان: طابت ليلتك، وأشكرك شكراً لا حدود له.. كان هذا أروع يوم في حياتي. عدتُ بالسيارة إلى البيت وأنا مازلت أشعر بالسعادة، ودفعت للسائق إكرامية كبيرة وعرضت عليه أن ينام عندنا إن شاء، لكنه فضل أن يعود إلى لندن في الليل. كان باب الصالة قد انفتح أثناء حديثنا، وعندما انطلق بسيارته أطلت جوانا وقالت: إذن فقد عدت أخيراً؟

دخلتُ وأغلقت الباب خلفي وقلت: هل قلقتي علي؟ ذهبتُ جوانا إلى غرفة الاستقبال وتبعّتها. كان إبريق القهوة موضوعاً على الطاولة فصبت جوانا فنجانين من القهوة لي ولها ثم قالت: قلقْتُ عليك؟ كلا

بالطبع. ظننتُ أنك قررت البقاء في المدينة وقضاء سهرة حافلة.
لقد قضيتُ سهرة حافلة.. من نوع ما.
ابتسمت ثم بدأت أضحك. سألتني جوانا عن سبب ضحكي فأخبرتها بما
جري، فقالت: ولكن يا جيري.. لابد أنك كنت مجنوناً، مجنوناً تماماً!
- أظنني كنت كذلك.
- ولكنك يا طفلي العزيز لا تستطيع فعل أشياء كهذه... ليس في مثل هذا
المكان! سينتشر الخبر في لايمستوك غداً.
- أظنه سينتشر بالفعل، ولكن ميغان مجرد طفلة في نهاية الامر.
- ليست طفلة؛ إنها في العشرين. لا يمكنك أن تأخذ فتاة في العشرين إلى
لندن وتشتري لها، ملابس دون إحداث فضيحة كبيرة.
يا إلهي، ربما اضطررت للزواج بالفتاة!
كانت جوانا تخلط الجَدّ بالهزل. وفي تلك اللحظة وصلتُ إلى اكتشاف جَدّ، فقد
قلت تَباً لذلك كله! أنا لن أمانع في الزواج بها. بل إنني في الحقيقة.. سأحب ذلك.
ظهرت على وجه جوانا ملامح غريبة جداً. نهضت وقالت بشيء من الواقعية
وهي تتجه نحو الباب: نعم، لقد عرفتُ ذلك منذ بعض الوقت..
تركتني وفنجانني بيدي واقفاً مشدوهاً باكتشافي الجديد.

الفصل الثاني عشر



لا أعرف ماذا ينبغي لرجل يعزم الزواج أن تكون أحاسيسه.
في الروايات يكون حلقه جافاً ويشعر أن يافته تضيق على
رقبه كثيراً ويكون في حالة عصبية يروى لها.

ولكني لم أشعر بذلك على الإطلاق. فبعد أن توصلتُ إلى فكرة جيدة عزمْتُ أمري
على تنفيذها وتسويتها في أسرع وقت ممكن، ولم أر أي سبب خاص يدعو للارتباك.
ذهبت إلى بيت سيمينغتن في نحو الساعة الحادية عشرة. قرعت الجرس
وعندما جاءت روز سألت عن الأنسة ميغان، وكانت النظرة العارفة التي نظرت
بها روز إليَّ هي أول ما جعلني أشعر بشيء من الخجل. وأدخلتني إلى غرفة
الصباح الصغيرة، وفيما كنت أنتظر هناك تمنيت ألا يكونوا قد ضايقوا ميغان.
وعندما انفتح الباب والتفتُ لأنظر ارتحت على الفور. لم تبدُ ميغان متحفظة
أو متضايقه على الإطلاق؛ كان رأسها ما يزال كما هو ككستناء لامعة، وكانت
تجللها تلك الكبرياء واحترام الذات الذي اكتسبته بالأمس. كانت في ملابسها
القديمة مرة أخرى، ولكنها تمكنت من جعل تلك الملابس تبدو مختلفة. أمر
رائع ما يفعله بالفتاة علمُها جاذبيتها! وأدركت فجأة أن ميغان قد نضجت.
أظن أنني كنت عصبي المزاج قليلاً دون ريب، وإلا لما افتتحتُ معها الحديث
بمحبة قائلاً: ((مرحباً أيتها القطة!))، إذ لا تكاد هذه العبارة تكون تحية مُحِب
في مثل تلك الظروف.

ولكن بدا أنها أعجبت ميغان. فقد ابتسمت وقالت: مرحباً!
- أرجو ألا تكوني قد تعرضت لمشاجرة بخصوص الأمس؟
قالت ميغان بثقة: أوه، كلا.

ثم طرقت عيناها وقالت بشكل غامض: نعم، أظن أنني خضت شجاراً. أقصد أنهم قالوا أشياء كثيرة وبدأ أنهم رأوا الأمر غريباً جداً، ولكنك تعرف طبيعة الناس والضجة التي يفتعلونها من لا شيء.

ارتجت عندما وجدت أن الاستياء والصدمة لم يؤثرا أبداً على ميغان. قلتُ لها: جئت هذا الصباح لأن عندي اقتراحاً أريد طرحه أنت تعلمين أنني احبك كثيراً، وأعتقد أنك تحبينني... قالت ميغان بحماسة شديدة: كثيراً.

- كما أننا ننسجم مع بعضنا جيداً، ولذلك أرى أنها ستكون فكرة جيدة لو تزوجنا. - أوه.

بدت عليها الدهشة.. الدهشة فقط. لم تجفل من قلبي، ولم تصب بالصدمة؛ بمجرد دهشة معتدلة. سألت بأسلوب من يريد استيضاح الأمر استيضاحاً تاماً: أتعني أنك تريد الزواج بي حقاً؟

قلت وأنا أعني ما أقول: أريد ذلك أكثر من أي شيء آخر. - تقصد... أنك تحبني؟ - إنني أحبك.

كانت عيناها ثابتتين وهادئتين. قالت: أعتقد أنك الطف إنسان في العالم.. ولكني لا أحبك.

- سأحملك على أن تحبينني.

- لن ينفع ذلك؛ فأنا لا أريد أن أحمل.

سكتت ثم قالت بجدية: لستُ من النوع الذي يصلح زوجة لك، إنني أقتن الكراهية أكثر مما أقتن الحب.

قالت ذلك بعمق وتركيز غريبين. قلت: الكراهية لا تدوم، أما الحب فيدوم. - هل هذه حقيقة؟

- هذا ما أعتقد.

مرة أخرى ساد الصمت، وأخيراً قلت: ردك إذن هو ((لا))؟

- نعم، إنه لا.
- وأنت لا تتصحينني بالإبقاء على الأمل؟
- وما فائدة هذا؟
- وافقتها قائلاً: لا شيء إطلاقاً.. مجرد تسويق؛ لأنني ساستمر في الأمل سواء نصحتني بذلك أم لا.

حسناً، هذا ما كان. غادرت البيت وأنا أشعر بشيء من الإنشدهاء، ولكنني كنت واعياً لنظرات روز التي لاحقتني بكثير من الاهتمام.

كان لدي روز الكثير مما تقوله لي قبل أن أستطيع الإفلات. قالت إنها لم تعد تشعر بأن الأمور لم تعد على ما كانت عليه منذ ذلك اليوم المرعب! وإنها ما كانت لتبقى لولا الأطفال وشعورها بالأسف على السيد سيمنغتن المسكين، وإنها لن تبقى إلا إذا جيء بخادمة أخرى بسرعة، ومن غير المحتمل أن تأتي خادمة إلى بيت وقعت فيه جريمة قتل! وقالت إن الأنسة هولاند كانت في غاية اللطف عندما قالت إنها ستقوم بتدبير المنزل حتى قدوم خادمة بديلة. كانت لطيفة جداً وخدومة..نعم، ولكنها تتصور أنها ستكون سيدة البيت في يوم من الأيام! إن السيد سيمنغتن المسكين لا يرى شيئاً على الإطلاق.. ولكن المرء يعرف كيف تكون حالة الأرمل، مخلوق بانس مسكين وضعته الظروف فريسة لكيد امرأة. وإن من المؤكد أن فشل إلسي هولاند في الحلول محل السيدة سيمنغتن - إذا ما حصل - لن يكون سوى سببه قلة المحاولة من طرفها.

وافقتها على كل شيء بطريقة آلية وأنا متشوق للهروب منها، ولكنني لم أستطع ذلك لأن روز كانت ممسكة بقبعتي وهي ماضية في صب مناكفاتها. وتساءلتُ إن كان فيما قالته أي نوع من الحقيقة. هل تآقت إلسي هولاند لأن تصبح الزوجة الجديدة لسيمنغتن؟ أم أنها فتاة طيبة القلب تبذل ما بوسعها للعناية بأسرة حلت بها مصيبة؟ ربما كانت النتيجة واحدة في كلتا الحالتين. ولم لا؟ إن طفلَي سيمنغتن الصغيرتين يحتاجان إلى أم، وإلسي كانت امرأة محترمة.. إلى جانب كونها جميلة إلى حد يخرج عن حدود الاحترام، وهي صفة قد تعجب الرجل.. حتى

وإن كان رجلاً محترماً كسيمنغتن!

أعرف أنني كنت أفكر بهذا كله لأحاول تجنب التفكير بأمر ميغان. ربما قلت إنني ذهبت لميغان طالباً منها الزواج بي بعقلية فيها الكثير من الرضى عن الذات والثقة بالنفس، وإنني أستحق ما حصل.. ولكن الأمر لم يكن كذلك في الحقيقة. كان ذلك لأنني أحسست بثقة كبيرة وبشكل مؤكد بأن ميغان كانت لي أنا.. وأنها كانت شأناً من شؤوني، وأن عنايتي بها وإسعادها وتجنبيها الأذى هو طريقة الحياة الطبيعية الوحيدة أمامي، وأنني توقعت منها أن تشعر هي أيضاً أننا لبعضنا البعض. لكنني لم أكن لأستسلم.. كلا! إن ميغان هي فتاتي، وسوف أحصل عليها. بعد لحظات من التفكير ذهبت إلى مكتب سيمينغتن. قد لا تلتفت ميغان إلى الانتقادات الموجهة لسلوكها، ولكنني أحببت تقويم الأمور. وقيل لي إن السيد سيمينغتن غير مشغول فدخلت عليه، وقد فهمت من زمة شفتيه والتصلب الإضافي في سلوكه أنني لا أحظى بالكثير من الترحيب في تلك اللحظة. قلت: صباح الخير. أخشى ألا تكون هذه زيارة عمل، بل زيارة شخصية. سأطرح الموضوع بكل وضوح.. أظنك أدركت - بلا ريب - أنني أحب ميغان، وقد طلبت منها الزواج بي ولكنها رفضت، إلا أنني لا أعتبر ذلك الرفض نهائياً.

رأيت ملامح سيمينغتن، وأدركت ما يدور في ذهنه بسهولة؛ فقد كانت ميغان عنصر نشاز في بيته. أحسست - واثقاً - بأنه رجل مُنصف ولطيف، وما كان ليفكر أبداً في عدم إيواء ابنة زوجته المتوفاة أو الامتناع عن تقديم السكن لها، ولكن زواجها بي سيكون مصدر راحة له بالتأكيد.

تراجعت صرامة ملامحه، وابتسم لي ابتسامة باهتة حذرة وقال: تعلم يا بيرتن أنني - بصراحة - لا أعرف شيئاً عن هذا الأمر. أعرف أنك كنت توليها الكثير من عنايتك، ولكننا كنّا دائماً نعتبرها طفلة. قلتُ باقتضاب: ولكنها ليست طفلة.

- نعم، ليس من ناحية العمر.

قلت ومازال بي شيء من الغيظ: إنها تستطيع التصرف وفق عمرها الصحيح

في أي وقت يُسمح لها فيه بذلك. أعرف أنها لم تبلغ الحادية والعشرين (الذي يُعتبر رسمياً سن النضوج والاستقلالية)، ولكنها ستبلغ هذا العمر بعد شهر أو اثنين. سأعطيك كل المعلومات التي تريدها عني: أنا في وضع مالي جيد، وقد كانت حياتي شريفة تماماً وسأهتم بميغان وأفعل كل ما أستطيعه لجعلها سعيدة.

- تماماً... تماماً. ومع ذلك فإن الأمر يرجع لميغان نفسها.

- ستقتنع مع مرور الوقت، ولكنني أحببت فقط أصارك بهذا الأمر.

قال إنه يقدر هذا الموقف، ثم افترقنا ودياً.

صادفت إميلي بارتن في الخارج، وكانت تحمل سلة مشتريات بيدها. قالت: صباح الخير يا سيد بيرتن. سمعت أنك ذهبت إلى لندن بالأمس.

نعم، لقد سمعت ذلك دون شك! رأيتُ أن الرقة بادية في عينيها، ولكنهما كانتا مليونتين بالفضول. قلت: ذهبت لرؤية طبيبي.

ابتسمت الأنسة إميلي وتمتمت قائلة: سمعت أن ميغا كاد يفوتها القطار، وقد قفزت إليه وهو يتحرك.

- بمساعدتي أنا؛ أنا الذي سحبتها إليه.

- كم كنتَ محظوظاً في ذلك، وإلا لوقع حادث.

غريب كيف يمكن لعجوز رقيقة فضولية أن تجعل الرجل يشعر أنه مغفل! وأنقذني ظهور السيدة كالثروب من مزيد من المعاناة، وكانت معها ضيفتها العجوز. قالت السيدة كالثروب: صباح الخير. سمعت أنك اشترت لميغان بعض الملابس اللائقة؟ إنه تصرف عاقل منك، فالتفكير بشيء عملي كهذا يتطلب رجلاً بكل معنى الكلمة. كنت قلقة على هذه الفتاة منذ وقت طويل. الفتيات العاقلات معرضات أن يتحولن إلى مغفلات، أليس كذلك؟

وبهذه العبارة الملفتة للنظر دخلت السيدة كالثروب إلى محل السّمّاك بسرعة. أما الأنسة ماربل التي بقيت واقفة إلى جانبي فقد طرفت بعينيها وقالت: إن السيدة كالثروب امرأة رائعة؛ تكاد تكون على حق دائماً.

- الامر الذي يجعلها مخيفة بعض الشيء!
- إن للصدق مثل هذا التأثير.

خرجت السيدة كالشروب من محل السماك مرة أخرى وجاءت إلينا. أشارت إلى سرطان كبير أحمر كانت تحمله وقالت: أرايت شيئاً أبعد شبهاً بالسيد باي من هذا؟ أنظر كم هو مفعم بالقوة والذكورة، أليس كذلك؟

شعرت ببعض الحرج من مقابلة جوانا، ولكن عندما وصلت إلى البيت عرفت أن قلقي لم يكن له داع؛ فقد خرجت ولم تعد لتناول الغداء. وقد أحزن ذلك بارتريدج كثيراً فقالت بمرارة وهي تضع قطعيتين من اللحم في طبق: لقد أكدت الأنسة بيرتن أنها ستعود لتناول الغداء.

أكلت قطعتي اللحم في محاولة للتعويض عن غياب جوانا، ولكنني تساءلت في نفسي أين يمكن أن تكون أختي الآن. لقد اعتادت أن تكون غامضة جداً في تصرفاتها مؤخراً!

كانت الساعة تشير إلى الثالثة والنصف عندما سمعت صوت سيارة تقف في الخارج، وما لبثت جوانا أن دخلت غرفة الاستقبال. وتوقعت أن أرى غريفيث معها لكنها كانت وحيدة. كان وجهها ممتعاً بالحمرة وبدت منزعجة، وتصورت أن شيئاً قد حدث. سألتها: ما الأمر؟

فتحت جوانا فمها لتتكلم لكنها أغلقته ثانية وتنهدت وألقت بنفسها على كرسي وأخذت تحديق أمامها، ثم قالت: لقد قضيت اليوم أسوأ الايام.

- ماذا حدث؟

- عملتُ شيئاً لا يصدق؛ كان رهيباً.

- وما هو؟

- خرجت في نزهة سيراً على الأقدام في نزهة عادية. صعدت التلة وذهبت إلى السبخة. مشيت أميلاً.. فقد أعجبني أن أمشي. ثم نزلت وادياً، وكانت هناك مزرعة.. في منطقة منعزلة تماماً. شعرت بالعطش وتساءلت إن كان عندهم

حليب فمshit إليهم ودخلت ساحة المزرعة، ثم فُتح الباب وخرج منه أوين.
- وبعد؟

- ظنُّ أن القادمة هي ممرضة المقاطعة. كانت هناك امرأة تضع مولوداً،
وكان أوين يتوقع مجيء الممرضة، وكان قد أرسل يبلغها بأن تحضر معها طبيباً
آخر. كانت.. كانت الأمور تجري بشكل سيء.
- وماذا حدث؟

- عندما رأيَ قال لي: ((هيا، تعالي.. وجودك أفضل من لا شيء...)) قلت له إنني لا
أستطيع، فسألني عما أعنيه، قلت له إنني لم أقم بعمل كهذا في حياتي، وإنني لا أعرف
أي شيء، فقال إن ذلك لا يهم أبداً، ثم غدا فجأة فظيلاً! صاح بي قائلاً: أأنت امرأة؟
أظن أن باستطاعتك أن تفعلي أي شيء لمساعدة امرأة أخرى؟ ثم أكمل حديثه
بعنف قائلاً: أنت كنت تتحدثين وكأنك مهتمة بالطب وقلت إنك تتمنين أن تصبحي
ممرضة.. أظنه كان مجرد كلام جميل منمق ولم تقصدي الأمر حقيقة. لكن هذا
عمل حقيقي، ويجب أن تتصرفي كأمراة مسؤولة وليس كحمقاء عديمة الفائدة!
لقد قمت بأعمال لا تصدق يا جيرى.. أمسكت بالأدوات الوقوف على قدمي.
كان ذلك فظيلاً، لكنه أنقذها.. وأنقذ الجنين.

غطت جوانا وجهها بيديها. تأملت بها بسرور بالغ واحترمت أوين غريفيث في
قرارة نفسي، لقد جعل جوانا تواجه الواقع بشكل حقيقي لأول مرة. وأخيراً
قلتُ لها: توجد رسالة لك في الصالة. أظنها من بول.

قالت: إيه؟ وسكتت دقيقة ثم أضافت: لم أكن أعرف يا جيرى ما يُضطر
الاطباء لعمله والشجاعة التي ينبغي أن يتحلوا بها!

خرجتُ إلى الصالة وأحضرت لجوانا رسالتها. فتحتها ونظرت إلى محتواها نظرات
غامضة وتركها تسقط من يدها، ثم قالت: لقد كان.. رائعاً حقاً. الطريقة التي حارب
بها، الطريقة التي قاوم بها الهزيمة! صحيح أنه تحدث معي بغلظة... لكنه كان رائعاً.
لاحظت بشيء من السرور رسالة بول المهمة؛ من الواضح أن جوانا قد
شفيت من بول!

الفصل الثالث عشر

الأمر لا تأتي أبداً عندما تنتظرها.
كنت مشغولاً جداً بأمرى الشخصية وأمر جونا ففوجئت
تماماً في صباح اليوم التالي عندما سمعت ناس يكلمني عبر
الهاتف:



لقد أمسكنا بها يا سيد بيرتن!
جفلت تماماً بحيث كدت أسقط السماعة. قلت: تقصد ال..
قاطعني: هل يمكن لأحد أن يسترق السمع على حديثنا الآن؟
- كلا، لا أظن ذلك.. ولكن، ربما..
بدا لي أن باب المطبخ قد انفتح قليلاً، وسمعته يقول على الطرف الآخر من
الخط: هلاً جئت إلى مركز الشرطة؟
- سأفعل، الآن مباشرة.
وسرعان ما كنت في مركز الشرطة. كان ناش في إحدى الغرف الداخلية
والابتسامة تملأ وجهه ومعه الرقيب باركنز. وما أن رأيته حتى قال: كانت مطاردة
طويلة، لكننا وصلنا في النهاية.
ألقي إليّ برسالة عبر الطاولة، وكانت - هذه المرة - مطبوعة كلها. وإذا ما
قورنت بالرسائل الأخرى فإن هذه الرسالة كانت معتدلة اللهجة.
لا فائدة من الاعتقاد أن بإمكانك احتلال مكان امرأة ميتة البلدة كلها تسخر
منك. اخرجي الآن، فسيرياً سيكون الوقت قد فات. هذا تحذير؛ تذكرى ما حدث
لتلك الفتاة. اخرجي وأبقي خارجاً.
ثم تنتهي الرسالة ببعض العبارات المعتدلة في بذاءتها.
قال ناش: وصلت هذه الرسالة للأنسة هولاند هذا الصباح.

قال الرقيب باركنز: كما نرى غرابة في عدم استلامها أية رسالة من قبل.
 سألت: من التي كتبتها؟
 تلاشى من الجدل عن وجه ناش. بدا مرهقاً مهموماً وقال بحزن: إني أسف
 لهذا الأمر، لأنه سيضر رجلاً محترماً بشدة، ولكن لا حيلة لنا. ربما راودته
 الشكوك بذلك أصلاً.
 كررت سؤالني: من التي كتبتها؟
 - الأنسة إيمي غريفيث.

ذهب ناش وباركنز إلى بيت غريفيث عصر ذلك اليوم ومعهما إذن اعتقال،
 وذهبت معهما بدعوة من ناش الذي قال لي: إن الطبيب يحبك كثيراً؛ فليس له
 أصدقاء كثيرون في هذه البلدة. وما لم يكن هذا الأمر مؤلماً لك يا سيد بيرتن
 فإنني أرى أن باستطاعتك مساعدته على تحمل الصدمة.
 قلت إنني سأذهب معهما. لم أستسغ هذه المهمة، ولكنني ظننت أنني قد أكون
 مفيداً. قرعنا الجرس وسألنا الأنسة غريفيث، فتم إدخالنا إلى غرفة الاستقبال.
 كانت إلسي هولاند وميغان وسيمينغتن هناك يشربون الشاي.
 تصرف ناش بحذر بالغ. سال إيمي عن إمكانية الحديث معها على انفراد
 لبعض الوقت، فنهضت وجاءت بإتجاهنا. وأظنني رأيت نظرة ذعر باهتة في
 عينيها، ولكن تلك النظرة - لو كانت صحيحة - قد تلاشت بسرعة. كانت
 طبيعية تماماً ومبتهجة.
 - تريدني؟ أرجو ألا تكون المشكلة بسبب أضواء سيارتي مرة أخرى؟
 سارت أمامنا خارج غرفة الاستقبال ورائي لمحت سيمينغتن يلتفت برأسه
 بحدة وقد كاد ينهض عن كرسيه. وحسبت أن ممارسته القانونية قد جعلته
 يالف قضايا الشرطة، فلعله مَيَّز شيئاً ما في سلوك ناش.. وكان هذا كل ما رأيته
 قبل أن أغلق الباب وأتبع الآخرين.
 كان ناش يؤدي مهمته بدقة، وكان هادئاً تماماً. نبهها لحقوقها، ثم طلب

منها أن تصحبه. كان معه إذن باعتقالها، وقرأ عليها التهمة.. ولقد نسيت الآن العبارة القانونية التي قالها بالضبط، ولكنها كانت تتعلق بكتابة الرسائل وليس بجريمة القتل.

رفعت إيمي غريفيث رأسها عالياً وضجت بالضحك، ثم صاحت قائلة يا له من كلام فارغ سخيف! أيمن أن أكتب مثل هذا الكلام البذيء، لابد أنك جنتت؛ أنا لم أكتب كلمة واحدة مما تقوله.

كان تاش قد أخرج الرسالة الموجهة للإسي هولاند وقال: هل تنكرين أنك كتبت هذه يا أنسة غريفيث؟

إن كانت قد ترددت فإن ذلك لم يستغرق منها إلا جزءاً من الثانية. قالت: أنكر ذلك بالطبع، أنا لم أر هذه الرسالة أبداً من قبل.

قال ناش بهدوء: لابد أن أخبرك يا أنسة غريفيث أن أحدهم لاحظ لك وأنت تطبعين هذه الرسالة على الآلة الكاتبة في جمعية المرأة بين الساعة الحادية عشرة والنصف مساءً، في الليلة قبل الماضية. وبالأمس دخلت مكتب البريد وبيدك حزمة من الرسائل...

- لم أضع هذه الرسالة في البريد أبداً.

- صحيح، أنت لم تضعيها؛ لأنك - بينما كنت تنتظرين الحصول على طوابع - أسقطتها على الأرض بطريقة لا تثير الشكوك، بحيث يأتي شخص ما ويأخذها من الأرض دون ارتياب ثم يضعها في صندوق البريد.
- لم أفعل..

انفتح الباب ودخل سيمفنتن. قال بحدة: ما الذي يجري؟ إن كان في الامر شيء غير طبيعي يا إيمي فيجب أن يكون لديك من يملك قانونياً، إن أردتني أن.. انهارت عندها. غطت وجهها بيديها وتلمست طريقها إلى كرسي، ثم قالت: اذهب يا دك، اذهب. ليس أنت.. ليس أنت!

- أنت بحاجة لمحام يا عزيزتي.

- ليس أنت. إنني... إنني لا أستطيع تحمل هذا. لا أريدك أن تعرف.. كل هذا.

ربما فهم عندها ما تعنيه، فقد قال بهدوء: ساحضر المحامي ما يلدني من إكزاميتن، هل هذا ينفع؟

أومات برأسها موافقة وهي تنتحب، وخرج سيمتغنن من الغرفة. وعند مدخل الباب اصطدم بأوبن غريفيث الذي قال بغضب: ما هذا؟ أختي...

قال ناش: أنا أسف يا دكتور غريفيث، أسف جداً... ولكن ليس أمامنا بديل.

- اتظن أنها... أنها مسؤولة عن تلك الرسائل؟

قال ناش: أخشى ألا يكون في ذلك شك يا سيدي.

ثم التفت نحو إيمي وقال: يجب أن تأتي معنا الآن يا أنسة غريفيث.. ستحصلين على كل المساعدة لرؤية أحد المحامين.

صاح أوين: إيمي؟

اندفعت من أمامه دون أن تنظر إليه قائلة: لا تتحدث معي. لا تقل شيئاً، ولا تنظر إليّ بالله عليك!

خرجوا من الغرفة، فيبي وقف أوين كرّجل مسحور. انتظرت قليلاً ثم تقدمت نحوه وقلت: إن كان من شيء يمكنني فعله يا سيد غريفيث فقل لي.

قال كرّجل يعيش في حلم: إيمي؟ لا أصدق!

قلت متعللاً: قد يكون في الأمر خطأ.

قال ببطء: ما كانت لتتصرف هكذا لو كان في الأمر خطأ. ما كنت لأصدق هذا أبداً.. لا يمكنني تصديق هذا الأمر.

رمى نفسه على كرسي، وحاولت أن أساعد بتقديم عصير منعش. شرب ما قدمته له، وبدا أن ذلك أفاده فقد قال: لم أستطع فهم الأمر في البداية، ولكنني بخير الآن. أشكرك يا بيرتن، ولكن لا يوجد ما يمكنك فعله.. ليس بوسع أحد فعل شيء.

انفتح الباب ودخلت جوانا وهي شديدة الشحوب. جاءت إلى أوين ونظرت إليّ وقالت: اخرج يا جيري.. هذا عملي أنا.

وفيما أنا أخرج عبر الباب رأيتهما تجثو على ركبتيهما بجانبه.

أذكر مجيء جوانا إلى البيت وهي شديدة الشحوب والذهول، وكيف أنني حاولت رسم الابتسامة على شفيتها قائلاً: لقد سبق لك أن وصفت إيمي غريفيث بأنها تتصرف مع أخيها كالملاك الحارس، فمن هو الملاك الحارس الآن؟ وأذكر كيف ابتسمت بطريقة محزنة وقالت: ((يقول إنه لا يريدني يا جيري، إنه شديد الغرور والصلابة)) فقلت لها: وفتاتي أيضاً لا تريدني.. جلسنا هناك لبغض الوقت، وقالت جو أنا أخيراً: لا تلقي عائلة بيرتن رواجاً في الوقت الحالي!

قلت: لا تهتمي يا عزيزتي، فما زلنا نعيش لبعضنا البعض.
فردت جوانا: إن هذا لا يشكل لي عزاء يا جيري في الوقت الحاضر..

جاء أوين لزيارتنا في اليوم التالي وانطلق في حديث مسهب مادحاً جوانا وقائلاً إنها رائعة، وتحدث عن الطريقة التي جاءت لها إليه وكيف أعربت عن استعدادها للزواج به.. فوراً إن شاء. ولكنه ما كان ليسمح بذلك، لأنها فتاة أطيّب وأرق من أن يرتبط اسمها بتلك القذارات التي لن تلبث بالانتشار على اللسنة بمجرد وصول خبر أخته إلى الصحف. وكنت أحب جوانا كثيراً وأعرف أنها من النوع الذي يحب الوقوف مع الناس في الازمات، وقلت لأوين بشيء من الانزعاج ألا يكون على هذه الدرجة السخيفة من المثالية.

ذهبت إلى الشارع العام فوجدت أن السن الجميع تثرثر دون انقطاع. كانت إميلي بارتن تقول إنها لم تثق أبداً بإيمي غريفيث، وكانت زوجة البقال تقول بحماسة إنها كانت ترى دائماً أن للأنسة غريفيث نظرة غريبة في عينيها.. وعلمتُ من ناش أن الشرطة قد أكملوا التحقيق في القضية، وقد كشف البحث في البيت عن وجود الصفحات المقصوصة من كتاب إميلي بارتن وقد أخفيت - من بين كل الأماكن - في الخزانة أسفل الدرج، ملفوفة بورق جدران قديم، قال ناش معجباً: وهو مخبأ جيد! أنت لا تعلم متى يمكن لخدام متطفل أن يعث في مكتب أو درج مغلق.. أما خزائن المستهلكات هذه، المليئة بكرات

التنس القديمة وورق الجدران القديم فلا نُفتح أبداً إلا عندما يريدون حشر مزيد من الاغراض داخلها.

- يبدو أن لتلك السيدة ولعاً بهذا المخبأ بالذات.

- نعم، نادراً ما تجد الكثير من التنوع في العقل الإجرامي.. وبالمناسبة، فقد وجدنا حقيقة يمكن السير على هديها فيما يتعلق بالفتاة القتيلة، فقد فُقدت يدُ هاون كبيرة ثقيلة من صيدلية الطبيب، وأراهن على أنها هي الأداة التي ضُربت بها الفتاة.

اعترضت قائلاً: ولكنها أداة يصعب أن يحملها المرء معه.

- ليس بالنسبة للأنسة غريفيث. كانت ستذهب إلى لقاء الكشافة عصر ذلك اليوم، ولكنها كانت ذاهبة أيضاً لإيصال الزهور والخضروات إلى معرض الصليب الأحمر في طريقها، ولذلك كانت تحمل معها سلة كبيرة جداً.

- ألم تجد السيخ؟

- كلا، ولن أجدّه. ربما كانت تلك الشيطانة المسكينة مجنونة، ولكن الجنون لم يبلغ بها حدّاً يجعلها تحتفظ معها بسيخ ملطخ بالدماء لتسهّل علينا إثبات الجرم عليها، وهي لا تحتاج إلى غسل السيخ وإعادته إلى دُرج المطبخ. وافقته قائلاً: اظن أن المرء لا يستطيع الحصول على كل شيء..

كان بيت الكاهن آخر بيت يسمع بالخبر، وقد حزنّت الأنسة العجوز ماربل للخير كثيراً. تحدثت معي في هذا الموضوع باهتمام شديد قائلة: ليس صحيحاً يا سيد بيرتن، أنا واثقة أنه ليس صحيحاً.

- أخشى أنه صحيح تماماً. لقد نصبوا لها كميناً ورأوها تطبع تلك الرسالة بالفعل.

- نعم، نعم.. ربما رأوها. نعم، يمكنني فهم هذا الأمر.

- وقد وُجدت الصفحات المطبوعة التي أخذت منها حروف الرسالة حيث

كانت قد أخفتها في بيتها.

حدقت بي الأنسة ماربل، ثم قالت بصوت خافت جداً: هذا فظيع.. عمل

شرير حقاً.

جاءت السيدة كالثروب بسرعة وانضمت إلينا قائلة: ما الأمر يا جين؟ كانت الأنسة ماربل تتمتم بألسة: يا إلهي، يا إلهي... ما الذي يمكن للمرء أن يفعله؟

- ما الذي أزعجك يا جين؟

قالت الأنسة ماربل: لابد من وجود شيء. ولكني كبيرة في السن كثيراً وجاهلة جداً، وأخشى أن أكون غبية جداً أيضاً.

أحسست بشيء من الارتباك، وفرحتُ عندما جاءت السيدة كالثروب وأخذت صديققتها. ومع ذلك فقد قَدَّر لي أن أرى الأنسة ماربل مرة أخرى عصر ذلك اليوم عندما كنت عائداً إلى البيت. كانت تقف قرب الجسر الصغير عند طرف القرية قريباً من بيت السيدة كليت، وكانت تتحدث مع ميغان.

أردتُ رؤية ميغان، بل كنت أريد رؤيتها طوال ذلك اليوم، ولذلك سارعت خطوي، ولكن عندما وصلت إليهما دارت ميغان وذهبت في الاتجاه الآخر. وقد أغضبني ذلك، وكان من شأني أن أتبعها لولا أن الأنسة ماربل اعترضت طريقي قائلة: كنت أود الحديث معك. لا تذهب وراء ميغان الآن؛ فلن يكون ذلك تصرفاً حكيماً.

وقد أوشكتُ على الرد عليها بحدة لولا أن جردتني من سلاحِي بقولها: هذه الفتاة شجاعة جداً.. شجاعة إلى أبعد حد!

ورغم ذلك أردتُ اللحاق بميغان، ولكن الأنسة ماربل قالت: لا تحاول رؤيتها الآن. إنني أعرف ما أتحدث عنه؛ يجب عليها أن تحتفظ بشجاعتها.

كان في تأكيدات السيدة العجوز شيء أصابني بالقشعريرة، وكأنها كانت تعرف شيئاً لا أعرفه. كنت خائفاً ولا أعرف سبب خوْفِي. ولم أذهب إلى البيت، وإنما عدت إلى الشارع العام وسرت فيه جيئة وذهاباً دون هدف. لا أعرف ماذا كنت أنتظر أو بماذا كنت أفكر..

أمسكني ذلك العجوز الممل الثقيل الكولونييل أبلتون. سألني عن أختي الجميلة كعادته ثم أكمل قائلاً: ما كل هذا الكلام عن أخت غريفيث وعن جنونها المطبق؟ يقولون إنها هي التي كانت تقف خلف تلك الرسائل المجهولة التي

كانت مصدر إزعاج للجميع؟ لم أصدق هذا الكلام في البداية، ولكنهم يقولون إنه صحيح تماماً.

قلت له إنه كلام صحيح.

- حسناً، يجب أن أعترف بأن شرطتنا جيدون إجمالاً. أعطهم الوقت الكافي فقط، هذا كل ما هنالك. غريبة مسألة الرسائل المجهولة هذه.. إن أولئك العجائز العجاف هن دائماً المولعات بهذا الأمر، مع أن الأنسة غريفيث لم تكن سيئة المظهر، رغم طول أسنانها قليلاً.. ولكن لا توجد أية فتاة جميلة في هذه المنطقة، ما عدا تلك الفتاة المربية عند سيمتفتن، إنها جديرة بأن يُنظر إليها، كما أنها فتاة لطيفة تعرف عن الامتتان لاية خدمة صغيرة يؤديها لها المرء. التقيت بها عندما كانت في نزهة مع الطفلين قبل مدة قصيرة، وكنا يلهوان ويلعبان على الشعب بينما كانت تحيك الصوف بصنارتها.. وقد انزعجت كثيراً لأن الصوف نفذ، فقلت لها: ((هل تحبين أن أوصلك إلى لايمستوك؟ سأتوقف هناك لأخذ عصاي العسكرية ولن أتاخر أكثر من عشر دقائق، ثم أعيدك مرة أخرى)) كانت مترددة قليلاً في ترك الولدين. قلت لها: ((لن يكون عليهما بأس. من ذا يريد أن يؤذيهما؟ لا تخافي فلن نتركهما طويلاً!)) وهكذا أخذتها معي في السيارة وأنزلتها عند محل الصوف ثم عدت وأخذتها مرة أخرى وانتهى الأمر. كانت في غاية الامتتان وشكرتني بسخاء... فتاة لطيفة.

نجحت أخيراً في الهروب منه.

بعد ذلك رأيت الأنسة ماربل للمرة الثالثة، وكانت خارجة من مركز الشرطة.

...

من أين تأتي مخاوف المرء؟ أين تتشكل هذه المخاوف وأين تكون مختبئة قبل أن تخرج للعلن؟

مجرد عبارة واحدة قصيرة، سُمعت وسُجلت ولم تُتَح جانباً أبداً: ((أرجوك أن تأخذني بعيداً.. إن البقاء والشعور بكل هذا الشر أمر فظيع...)).

لماذا قالت ميغان هذا، ولماذا عساها تشعر بالشر؟ لم يكن في وفاة السيدة

سيمتغن ما يجعل ميغان تشعر بالشر.

لماذا شعرت الفتاة بالشر؟ لماذا؟ لماذا؟ أيمكن أن يكون ذلك لأنها أحست بالمسؤولية بأي شكل؟

ميغان؟ مستحيل! لا يمكن أن تكون لميغان أية علاقة بتلك الرسائل.. تلك الرسائل القذرة الفاحشة. ولكن: كان أوين غريفيث قد عرف بحالة مماثلة في الشمال.. طالبة مدرسة!

ما الذي قاله المفتش غريفر؟ شيء عن عقل مراهق.. سيدات عجائز على طاولة العمليات الجراحية يهذين بكلمات لا يكدن يعرفنها.. صبية صغار يكتبون أشياء على الجدران.

كلا، كلا.. ليس ميغان.

أتكون الوراثة؟ العرق السيء؟ وراثة لا واعية لشيء شاذ؟ أيمكن سوء حظ لا يد لها فيه.. لعنة لحقت بها من جيل مضى؟ لماذا قالت: ((لست من النوع الذي يصلح زوجة لك، إنني أتقن الكراهية أكثر مما أتقن الحب؟)).

أوه ميغان.. طففتي الصغيرة. عسى ألا يكون ذلك! كل شيء إلا ذلك. وتلك العانس العجوز تلاحقك، إنها تشك. تقول إنك شجاعة. شجاعة للقيام بماذا؟

كانت نوبة جنون عابرة مرت، ولكنني أردت رؤية ميغان.. كنت بحاجة ماسة لرؤيتها. تركت البيت الساعة التاسعة والنصف من تلك الليلة وذهبت إلى البلدة، ومن هناك إلى بيت سيمتغن. وعندها خطرت في بالي فكرة جديدة تماماً... امرأة لم يفكر بها أحد لحظة واحدة (أم أن ناش فكر بها؟) كان ذلك مُستبعداً جداً، غير محتمل إطلاقاً، وكان من شأني - حتى هذا اليوم - أن أعتبره مستحيلاً أيضاً. ولكن الأمر لم يكن كذلك، كلا، لم يكن مستحيلاً.

ضاعفت سرعتي، فقد أصبح من الحيوي الآن أن أرى ميغان على الفور. عبرت بوابة منزل سيمتغن وصعدت إلى البيت. كانت ليلة مظلمة ملبدة بالغيوم، وبدأ قليل من المطر في السقوط، وكانت الرؤية سيئة.

رأيت خطأ من الضوء من إحدى النوافذ. أهي الغرفة الصغيرة التي كنا فيها

في الصباح؟ ترددت قليلاً، ثم انعطفتُ - بدل الذهاب إلى الباب الامامي - وزحفت بهدوء إلى أن صعدتُ إلى النافذة متأبطاً غصناً ضخماً، وبقيت هناك خافضاً رأسي. كان الضوء يخرج من فتحة الستارة التي لم تكن مغلقة جيداً كان من السهل النظر منها ورؤية ما بداخل الغرفة، وقد كان المنظر في الداخل عائلياً هادئاً: سيمتغتن يجلس على كرسي كبير، وإلسي هولاند منكبة على رنق قميص أحد الاولاد.

كنت أستطيع سماع الحديث إضافة إلى الرؤية لان النافذة كانت مفتوحة من أعلى. كانت إلسي هولاند تقول: ولكني أظن الذهاب إلى مدرسة داخلية. وهذا لا يعني أنني لن أكره غيابهما عني، بل ساكره ذلك فعلاً، فأنا أحبهما كثيراً. قال سيمتغتن: أظنك مصيبة بخصوص برايان يا أنسة هولاند لقد قررت إرساله ليبدأ الفصل القادم في مدرسة وينهايز.. مدرستي الابتدائية القديمة. ولكن كولين ما يزال صغيراً، وأفضل أن ينتظر سنة أخرى.

- إنني أفهم ما تعنيه بالطبع، كما أن كولين ربما كان صغيراً قليلاً بالنسبة لعمره... حديث منزلي هادئ.. ومشهد منزلي هادئ..

ثم فتح الباب ودخلت ميغان. وقفت عند مدخل الباب منتصبة القامة، ولاحظت فوراً أن بها شيئاً من التوتر، كان جلد وجهها مشدوداً وعيناها لامعتين حازمتين. لم يبد عليها هذه الليلة حياء أو تردد أو طفولية. قالت تخاطب سيمتغتن باسمه المجرد (وفجأة فكرتُ بأنني لم أسمعا تناديه أبداً. هل كانت تخاطبه بلفظ أبي أم باسمه أم بماذا؟)، قالت: أود الحديث معك من فضلك، على انفراد بدا سيمتغتن مندهشاً وقطب جبينه، وتصورت أنه لم يكن مسروراً، لكن ميغان أصرت على كلامها بعزم لم يكن من عادتها. التفتت إلى إلسي هولاند وقالت: هل تمانعين يا إلسي؟

قفزت إلسي هولاند من مقعدها وقالت: ((بالطبع لا)). بدت جفلة مضطربة قليلاً وذهبت إلى الباب، ودخلت ميغان حتى تفسح لها طريق الخروج. وللحظة فقط وقفت إلسي عند مدخل الباب جامدة تنظر وراءها. كانت شفتاها مزمومتين وقد وقفت جامدة دون حركة وإحدى يديها ممدودة بينما أمسكت الأخرى بالقميص الذي كانت تعمل فيه، ثم خرجت وأغلقت الباب.

قال سيمنغتن بشيء من الغضب: ما الامر يا ميغان؟ ماذا تريدان؟ كانت ميغان قد خطت باتجاه المكتب ووقفت هناك تحقق في سيمنغتن، وقد ذهبت من جديد للتصميم العازم في وجهها، ولشيء آخر.. لصلابة كانت جديدة علي. وأخيراً فتحت شفتيها وقالت شيئاً أجفلي حتى الصميم: أريد بعض المال! لم يُحسن هذا الطلب مزاج سيمنغتن. قال بحدة: ألم يكن بإمكانك الانتظار حتى صباح الغد؟ ماذا جري؟ أترين أن مصروفك لا يكفي؟ قالت ميغان: أريد مبلغاً كبيراً من المال.

اعتدل سيمنغتن في جلسته وقال بفتور: ستبلغين السن القانونية بعد بضعة أشهر، وعندها سيحيل لك الوصي العام الاموال اتي تركتها لك جدتك. قالت ميغان: أنت لا تفهمني.. أريد مالاً منك.

ثم أكملت تتحدث بسرعة أكبر: لم يكلمني أحد كثيراً عن والدي؛ لا يريدون لي أن أعرف عنه شيئاً، ولكنني أعرف أنه دخل السجن، وأعرف السبب.. كان ذلك بسبب الابتزاز! سكنت قليلاً ثم قالت: حسناً، وأنا ابنته، وربما أشبهه. على أية حال فإنني أطلب منك مالاً لأنك.. إن لم تفعل.. وسكنت مرة أخرى ثم أكملت بكل بطء وهذوء: إن لم تفعل.. فسوف أكشف ما رأيك تفعله بتلك الكبسولة في غرفة والدتي ذلك اليوم. ساد شيء من الصمت، ثم قال سيمنغتن بصوت يخلو من أية عاطفة: لا أعرف ما تقصدينه.

- بل أظنك تعرف.

ثم ابتسمت، ولم تكن ابتسامة لطيفة. ونهض سيمنغتن، ذهب إلى طاولة المكتب فأخرج منها دفتر الشيكات وكتب شيكاً وقعه بحرص شديد ثم عاد فقدمه لها وقال: أنت فتاة بالغة الآن وأفهم أنك قد تشعرين بالحاجة لشراء شيء خاص كالملابس وغيرها. لا أعرف ما تتحدثين عنه.. لم أنتبه ولكن هاك هذا الشيك. نظرت ميغان إلى الشيك وقالت: شكراً، هذا يكفي لما أريده.

دارت وخرجت من الغرفة، وحقق سيمنغتن بها وهي خارجة وبالباب المغلق، ثم التفت. وعندما رأت وجهه تقدمت إلى الامام بحركة سريعة لم

أتمالكها، ولكن تم وقف حركتي تلك بطريقة غريبة جداً. فالغصن الكبير الذي لاحظته قرب الحائط لم يعد غصناً!

أحاطت بي ذراعاً المفتش ناش وهمس في أذني: اهدأ يا بيرتن، اهدأ بالله عليك. ثم تراجع إلى الوراء بحذر شديد وهو يمسك بي حتى أصبح به. وعند جانب البيت انتصب واقفاً ومسح جبينه وقال: لا مفر من طفلك بالطبع! قلت بالحاح: تلك الفتاة ليست في مأمن؛ هل رأيت وجهه؟ يجب أن نخرجها من هنا. قبض ناش على ذراعي بقوة وقال: اسمعني الآن يا سيد بيرتن، يجب أن تصفي.

...

حسناً، لقد أصغيت بالفعل، لم أحب ذلك.. ولكنني أذعنت، على أنني أصررت على البقاء في المكان، وأقسمت له أن أطيع الأوامر طاعة تامة.

وهكذا دخلت مع ناش وبار كنز إلى البيت من الباب الخلفي الذي ترك غير مقفل عمداً، وانتظرنا عند بسطة الدرج وراء الستارة المخملية التي تغطي فتحة النافذة إلى أن دقت ساعة الحائط معلنة الساعة الثانية. عندئذ فتح سيمنفتن باب غرفته وغبر بسطة الدرج ودخل غرفة ميغان.

لم أتحرك من مكاني لأنني كنت أعرف أن الرقيب باركنز كان في الداخل مختبئاً وراء الباب المفتوح، وكنت أعرف أن باركنز رجل جيد ويعرف عمله، وكنت أعرف أنني لا أستطيع الثقة بقدرتي على المحافظة على هدوئي لو كنتُ مكانه. وفيما أنا أنتظر هناك وقلبي يخفق بشدة، رأيت سيمنفتن يخرج من الغرفة حاملاً ميغان بين ذراعيه وينزل بها إلى الطابق السفلي، وتبعته - أنا وناش - تاركين بيننا وبينه مسافة معقولة. حملها إلى المطبخ، وكان قد أكمل وضعها بشكل مريح بحيث يكون رأسها في فرن الغاز وفتح صمام الغاز عندما دخلت مع ناش المطبخ وأضانا المصباح.

وكانت تلك نهاية ريتشارد سيمنفتن.. وقع منهاراً وأنا أبعد ميغان وأغلق صمام الغاز، لم يحاول حتى المقاومة، فقد عرف أنه قد خسر اللعبة. في الطابق العلوي جلست بجانب سرير ميغان أنتظر أن تستعيد وعيها وأنا

أسبّ ناش بين حين وآخر. أنبته قائلاً: كيف تعرف أنها ستكون على ما يرام؟ كانت مجازفة كبيرة من جانبك.

كان ناش يحاول تهدئتي بشتى الطرق، فقد قال: مجرد قليل من النوم في حليبيها الذي تضعه بجانب سريرها دائماً، لا شيء أكثر من ذلك. وهو تصرف متوقع. إنه لم يستطع المجازفة بتسميمها، فقد انتهت القضية - بالنسبة له - بإعتقال الأنسة غريفيث، ولن يتحمل وقوع جريمة غامضة أخرى. لا عنف ولا سموم، ولكن إذا ما اعتملت في نفس فتاة كنيية مسألة انتحار والدتها لفترة طويلة، ثم ذهبت في النهاية ووضعت رأسها داخل فرن الغاز، فإن الناس سيقولون إنها لم تكن فتاة طبيعية تماماً وإن صدمة وفاة والدتها قد قضت عليها. قلت وأنا أرقب ميغان: مضى وقتٌ طويل ولم تُفمّ.

- أما سمعت ما قاله الدكتور غريفيث؟ قلبها ونبضها طبيعيان تماماً.. ستنام وتستيقظ بطريقة طبيعية. هو قال إنه يعطي هذه المادة للكثير من مرضاه. تحركت ميغان قليلاً. تمتعت بشيء وغادر المفتش ناش الغرفة دون تطفل. وسرعان ما فتحت ميغان عينيها وقالت: جيري!

- مرحباً يا حبيبتي.

- هل قمّت بالأمر جيداً؟

- وكأن الابتزاز مهنتك مذ كنت في المهد!

أغلقت ميغان عينيها ثانية، ثم تمتعت: الليلة الماضية.. كنت أكتب لك رسالة.. خشية أن... أن يحدث لي سوء ولكني شعرت بنعاس لم أستطع معه إكمالها. إنها هناك. ذهبت إلى طاولة المكتب. وجدت رسالة ميغان غير المكتملة في دفتر ملاحظات صغيرة مهترئ، وكانت تبدأ بشكل رسمي على النحو التالي:

عزيزي جيري،

كنت أقرأ ما مقررأ علينا في المدرسة من أعمال شكسبير، وتلك القصيدة التي مطلعها: ((أنت لأفكاري كما الطعام للحياة، أو كالأمطار في عذب موسمها للأرض)). وقد أدركت أنني أحبك في نهاية الأمر، لأن هذا ما أشعر به فعلاً!

الفصل الرابع عشر

قالت السيدة كالثروب: وهكذا ترى أنني كنت على حق في استدعاء خبير.

نظرت إليها يامعان. كلاً جميعاً في بيت الكاهن، وكان المطر يتساقط خارج البيت بغزارة، وكانت النار متقدة في الموقد بشكل يبعث على الارتياح.



قلت مندهشاً: ولكن هل استدعيت أحداً حقاً؟ من يكون هذا؟ وماذا فعل؟ قالت: ((لم يكن رجلاً))، ثم أشارت إلى الأنسة ماربل بيدها. كانت الأنسة ماربل قد انتهت من حيك الصوف وشغلت نفسها الآن بصنارة وبكرة قطن. قالت السيدة كالثروب: تلك هي خبيرتي.. جين ماربل. انظر إليها جيداً. إن هذه المرأة تعرف عن الأنواع المختلفة للشر البشري أكثر من أي شخص آخر أعرفه.

تمتت الأنسة ماربل: لا أظن من المناسب أن تصفيني هكذا يا عزيزتي. لكنك كذلك فعلاً.

قالت الأنسة ماربل بهدوء: إن المرء يرى الكثير من الطبائع البشرية وهو مقيم طوال العام في القرية.

ثم وضعت النسيج الذي كانت تحيكه وألقت خطبة لطيفة عن جرائم القتل وكأنها شعرت بأن ذلك ما هو مُنتظر منها: أهم شيء في هذه القضايا هو إبقاء الذهن منفتحاً تماماً على كل الاحتمالات. معظم الجرائم بسيطة لحد السخافة، وهذه الجريمة كذلك. جريمة معقولة تماماً وواضحة.. ومفهمومة تماماً.. بطريقة كريهة بالطبع.

- كريهة جداً!

- لقد كانت الحقيقة واضحة جداً في الواقع، وقد عرفتها أنت يا سيد بيرتن.

- الحقيقة أنني لم أعرفها.

- لكنك عرفتتها فعلاً، وقد أشرت إلى الأمر كله وأوحيت لي به. لقد أدركت تماماً علاقة الأشياء ببعضها البعض، ولكنك كنت تفتقر إلى الثقة الكافية بالنفس لفهم ما كانت تعنيه أحاسيسك تلك فقد كانت هناك أولاً تلك العبارة المملة: ((لا دخان بلا نار))، كانت تغيظك ولكنك تقدمت بطريقة صحيحة لتسميها بالاسم الذي يناسبها: ساتر دخاني؛ أي تضليل في الاتجاه.. حيث ينظر الجميع إلى الشيء غير الصحيح.. أي إلى الرسائل المجهولة ولكن النقطة الهامة هي أنه لم تكن في الأمر أية رسائل مجهولة!

- ولكن يا عزيزتي الأنسة ماربل، أؤكد لك أن الرسائل المجهولة كانت موجودة فعلاً.. لقد تلقيت واحدة منها.

- أوه، نعم.. ولكنها لم تكن حقيقية إطلاقاً. العزيرة مود توصلت - دون وعي منها - إلى هذه الحقيقة. حتى في بلدة لايمستوك المسالمة توجد الكثير من الفضائح، وأؤكد لك بأن من شأن أية امرأة تعيش في هذه البلدة أن تعرف تلك الفضائح وتستخدمها. أما الرجل فلا يهتم بالقييل والقال بنفس الطريقة.. وخصوصاً إن كان رجلاً منطقياً بعيداً عن تلك الاهتمامات مثل السيد سيمنغتن. لقد كان من شأن كاتبة حقيقية لهذه الرسائل أن تجعل رسائلها أدق تصويماً.

وهكذا ترى أنك ستتهدي إلى الطريق لو تركت الدخان جانباً وجئت إلى النار. ما عليك إلا أن تعود إلى الحقائق الفعلية لما حدث. وإذا وضعت الرسائل جانباً، فإن شيئاً واحداً قد حدث، وهو وفاة السيدة سيمنغتن.

وفي هذه الحالة، من الطبيعي أن يفكر المرء بالذي يريد وفاة السيدة سيمنغتن، وبالطبع فإن الشخص الأول الذي يفكر فيه المرء في مثل هذه الحالة هو الزوج، ويسأل المرء نفسه إن كان يوجد أي سبب أو أي دافع.. امرأة أخرى مثلاً؟

وكان أول ما سمعته هنا هو وجود مربية أطفال جذابة جداً في البيت. ليس هذا واضحاً؟ السيد سيمنغتن، الرجل الجاف المكبوت غير العاطفي، مرتبطب

بامرأة نكدة عصبية المزاج، ثم فجأة تأتي هذه الشابة المتألقة. أخشى أن الرجال يصيحون مجانين تماماً عندما يقعون في الحب في سن معينة.. كما أن السيد سيمنغن - حسب استنتاجي - لم يكن رجلاً طيباً أبداً، لن يكن لطيفاً أو ودوداً أو متعاطفاً بل كانت صفاته سالبة إجمالاً.. ولذلك لم يكن يمتلك حقاً القوة لمقاومة جنونه. وفي ظرف كهذا لن يحل مشكلته إلا وفاة زوجته. لقد أراد الزواج بهذه الفتاة وهي ذات سمعة محترمة، وكذلك هو. وهو - أيضاً - محب لأطفاله ولا يريد التخلي عنهم. كان يريد كل شيء بيته وأطفاله وسمعته وإسري، والثمن الذي كان عليه أن يدفعه للوصول إلى ذلك هو القتل.

واني لأراه اختار طريقة ذكية جداً، فقد كان يعرف جيداً من خلال خبرته في القضايا الجنائية أن الشرطة يشتبهون بالزوج على الفور إن ماتت زوجته على نحو غير متوقع... بالإضافة إلى احتمال تشريح الجثة في حالة التسمم؛ ولذلك فقد رتب الجريمة بحيث تبدو مجرد نتيجة عرضية لأمر آخر باختراعه كاتبة غير موجودة لرسائل مجهولة والشيء الذكي في هذه الخطة أن من المؤكد أن تشبه الشرطة بامرأة، وقد كانوا على حق تماماً بطريقة ما. كانت الرسائل جميعها نسوية بالفعل، وقد نسخها بكل ذكاء من تلك التي انتشرت في قضية العام الماضي ومن قضية أخبره عنها الدكتور غريفيث. لا أقصد أنه كان مغفلاً بحيث قلّد نفس الأسلوب حرفياً، ولكنه أخذ عبارات وكلمات منها وخلطها مع بعضها، وكانت النتيجة أن الرسائل كانت تمثل ذهنية امرأة.. امرأة ذات شخصية مكبوتة شبه مجنونة.

كان يعرف جميع الأساليب التي تستخدمها الشرطة بالتحري عن خط اليد والآلات الكاتبة، وغير ذلك. وكان يعد لجريمته منذ زمن بعيد، ولذا فقط طبع جميع المغلفات قبل أن يهدي ألته الكاتبة لجمعية المرأة، ولعله قطع الصفحات من كتاب في منزل ليتل فيرز قبل وقت طويل عندما كان ينتظر في غرفة الاستقبال ذات يوم. إن الناس لا يفتحون كتب المواعظ كثيراً.

وأخيراً، وبعد أن نشر تماماً نتائج قلمه المسموم الزائف وشغل القرية بها، بدأ عمله الحقيقي. وقد اختار لذلك عصر يوم جميعل عندما تكون المربية والاولاد وابنة زوجته في الخارج وعندما يكون الخدم في يوم عطلتهم الاسبوعية، ولم يكن بإمكانه التنبؤ بأن خادمتة أغنيس ستتشاجر مع صديقها وتعود إلى المنزل.

سألت جوانا: ولكن ما الذي رأيته؟ هل تعرفين هذا؟
- لا أعرف، ولكن يمكنني التخمين فقط. وتخميني هو أنها لم تر أي شيء.
- أي أن ذلك كان وهماً؟
- لا، لا يا عزيزتي. أقصد أنها وقفت عند نافذة غرفة الخزين طيلة العصر تنتظر مجيء صديقها... وهي لم تر شيئاً بالمعنى الحرفي للكلمة. أي أن أحداً لم يأت إلى البيت أبداً، لا ساعي البريد ولا أي شخص آخر.
وقد كان من شأنها - وهي بطيئة الفهم - أن تستغرق وقتاً طويلاً حتى تدرك أن ذلك كان أمراً غريباً جداً.. لأن السيدة سيمينغتن قد تلقت ظاهرياً رسالة مجهولة عصر ذلك اليوم.

سألته متحيراً: ألم تتلق رسالة؟

- كلا، بالطبع! إن هذه الجريمة بسيطة جداً كما قلت. الذي حدث أن زوجها وضع لها السيانيد في كبسولة الدواء التي كانت ستشربها بعد ظهر ذلك اليوم بعد تناول الغداء كما هي العادة. كل ما كان على سيمينغتن عمله - بعد ذلك - هو العودة إلى البيت قبل عودة إلسي هولاند أو في نفس الوقت معها، ومناداة زوجته دون أن يسمع منها إجابة، فيصعد إلى غرفتها ويضع قطرة من السيانيد في كأس الماء الذي اعتادت أن تشربه مع قرص الدواء، ثم يلقي بالرسالة المكورة التي أعدها أمام الموقد، ويضع بجانب يدها قصاصة الورق التي كُتبت عليها: ((لا يمكنني المضي))

التفتت الأنسة ماربل إلي وقالت: كنت محقاً تماماً فيما يخص هذه النقطة أيضاً يا سيد بيرتن، إذ أن ((قصاصة الورق)) كانت غير طبيعية أبداً. إن الناس لا

يكتبون رسائل انتحار على قصاصة ورق صغيرة مقطوعة، بل هم يستخدمون ورقة كاملة... ويضعونها غالباً في مغلف أيضاً. نعم، كانت قصاصة الورق غير طبيعية، وأنت عرفت ذلك.

قلت: أنت تبالغين في إطرأي، فانا لم أكن أعرف شيئاً. ولكنك عرفت، عرفت فعلاً يا سيد بيرتن. وإلا لماذا أثرت فيك على الفور الرسالة التي كتبتها أختك على عجل وتركتها على حاملة الهاتف؟ كرتُ ببطء: ((لا يمكنني المضي يوم الجمعة)).. فهمت: ((لا يمكنني المضي))! ابتسمت لي الأنسة ماربل وقالت: بالضبط. لقد عثر السيد سيمنغتن على رسالة شبيهة بهذه ورأى ما يمكن أن تنطوي عليه من احتمالات فقطع الكلمات التي أرادها حتى يستخدمها عندما يحين الوقت.. وكانت رسالة صحيحة كتبت بخط يد زوجته.

سألته: وهل ظهرت أية لمحات ذكية أخرى من طرفي؟ طرقت عينا الأنسة ماربل وهي تنظر إلى وقالت: لقد وضعتني على الطريق الصحيح.. أنت جمعت لي تلك الحقائق على نحو متسلسل، وعلى رأسها أهم نقطة قلتها لي من بين كل تلك النقاط، وهي أن إلسي هولاند لم تتلق أية رسالة مجهولة أبداً.

قلت: هل تعرفين أنني فكرت الليلة الماضية بأنها هي كاتبة الرسائل، وأن ذلك هو سبب عدم تلقيها لأي منها؟

- أوه يا عزيزي.. أنا لم أفكر بذلك؛ فالشخص الذي يكتب رسائل مجهولة يرسل دائماً منها إلى نفسه، وأحسب أن ذلك يشكل جزءاً من.. من الإثارة. ولكن لا، لقد أثارت هذه الحقيقة اهتمامي لسبب مختلف تماماً. كانت هذه - في الواقع - نقطة الضعف الوحيدة عند السيد سيمنغتن؛ لم يستطع حمل نفسه على كتابة رسالة قذرة إلى الفتاة التي أحب. إنها ملاحظة جانبية مثيرة جداً تلقي الضوء على الطبيعة البشرية.. وهي قد تسجل لصالحه بطريقة ما، ولكنها النقطة التي فضحته.

قالت جوانا: وهل هو الذي قتل أغنيس؟ إن ذلك لم يكن ضرورياً بالتأكيد؟
 - ربما كان ضرورياً. إن ما لا تدرينه يا عزيزتي (إذ لم تقتلي أحداً) هو أن أحكام المجرم تتشوه بعد ذلك ويبدو له كل شيء مبالغاً فيه. لا شك أنه سمع الفتاة تهاتف بارتريدج وتقول إنها كانت قلقة منذ وفاة السيدة سيمتختن وأن في الأمر شيئاً لم تفهمه. لم يكن يستطيع المجازفة.. فهذه الحمقاء الغبية ربما رأت شيئاً أو تعرف شيئاً.

- ألم يكن موجوداً في مكتبه طيلة عصر ذلك اليوم؟
 - يُخيّل إلي أنه قتلها قبل مغادرة البيت. كانت الأنسة هولاند في غرفة الطعام، ولعله اكتفى بالخروج إلى الصالة حيث فتح الباب الامامي وأغلقه وكأنه قد خرج من البيت، ثم انسل إلى غرفة الملابس الصغيرة عند الباب الامامي، وعندما بقيت أغنيس وحدها في البيت، وربما قرع جرس الباب وعاد إلى غرفة الملابس بسرعة، ثم جاء من ورائها وضربها على رأسها عندما كانت تفتح الباب، ثم بعد أن حشر الجثة داخل الخزانة، أسرع إلى مكتبه بتأخير قليل جداً خشية أن يلحظه أحد، ولكن ربما لم يلحظ ذلك أحد.. فكما تعرفين لم يكن أحد يشك في رجل.

قالت السيدة كالثروب: يا له من وحش بغيض!
 سألتها: أرى أنك لا تشعرين بالأسف عليه يا سيدة كالثروب؟
 - إطلاقاً. لماذا؟

- لا شيء، إنما يسعدني سماع ذلك.

قالت جوانا: ولكن لماذا إيمي غريفيث؟ أعرف أن الشرطة اكتشفوا أن يد الهاون قد اختفت من صيدلية أوين.. والسيخ أيضاً.

لا أظن أن من السهل على رجل أن يعيد أشياء إلى أدراج المطابخ. واحزري أين كانت موجودة؟ لقد أخبرني المفتش ناش قبل قليل عندما التقيته وأنا في طريقي إلى هنا أنها كانت في واحد من تلك الصناديق القديمة التي يحفظ بها الوثائق في مكتبه. صندوق وثنائق عقارات الراحل السير جاسبر هارينغتون ويست.

قالت السيدة كالثروب: مسكين جاسبر.. كان أحد أبناء عمومتي، وكان عجوراً مستقيماً. لو علم بذلك لأصيب بنوبة قلبية! سألتها: ألم يكن من الجنون أن يحتفظ بها؟ قالت السيدة كالثروب: ربما سيكون أكثر جنوناً لو رماها. لم يكن أحد يرتاب بسيمنغتن أبداً.

قالت جوانا: إنه لم يضربها بيد الهاون. كانت هناك أيضاً كرة حديدية من تلك التي تعلق في الساعات الجدارية، وعليها شعر ودم. ويُظن أنه سرق يد الهاون في اليوم الذي اعتقلت فيه إيمي وأنه أخفى صفحات الكتاب في بيتها. وهذا يعيدني إلى سؤالي الأصلي: ماذا عن إيمي غريفيث، لقد شوهدت عملياً وهي تكتب تلك الرسالة.

قالت الأنسة ماربل: بالطبع، فقد كتبت تلك الرسالة فعلاً. ولكن لماذا؟

- يا عزيزتي! لابد أنك أدركت أن الأنسة غريفيث كانت تحت سيمنغتن طيلة حياتها. قالت السيدة كالثروب بطريقة آلية: المسكينة! لقد كانا صديقين حميمين دائماً، وأحسب أنها رأت بعد وفاة السيدة سيمنغتن أنها ربما استطاعت في يوم من الايام..

تنحنت الأنسة ماربل مفضلة التلميح على التصريح، ثم أضافت: ثم بدأ الكلام ينتشر عن إلسي هولاند، وأظن أن ذلك قد ضايقها كثيراً. رأت في الفتاة امرأة لعبوا تخطط لإيقاع سيمنغتن في أحابيلها وأنها غير جديرة به. وهكذا، أحسبها استسلمت للإغراء: لماذا لا تكتب رسالة إضافية واحدة وترعب الفتاة بحيث تخرجها من المنزل؟ لابد أن ذلك بدا لها آمناً تماماً وظنت أنها قامت بجميع الاحتياطات.

قالت جوانا: وبعد ذلك؟ أكملني القصة.

قالت الأنسة ماربل ببطء: يُخيل لي أن السيد سيمنغتن قد عرف على الفور كاتبة الرسالة عندما أرته إياها الأنسة هولاند ورأى في ذلك فرصة لإنهاء القضية

إلى الأبد وتأمين نفسه. لم يكن ذلك تصرفاً لطيفاً.. نعم، ولكنه كان خائفاً. فلم يكن الشرطة ليقنعوا حتى يمسكوا بكتابة الرسائل المجهولة. وعندما أخذ الرسالة إلى الشرطة، وعرف أنهم قد رأوا إيمي عملياً وهي تكتبها أحس بأن فرصة لا تلوح إلا نادراً تلوح له الآن لإنهاء القضية كلها.

وهكذا أخذ العائلة لشرب الشاي هناك عصر ذلك اليوم، وقد كان من السهل عليه - وهو قادم من مكتبه حاملاً حقيبتة - أن يحضر فيها الصفحات التي قصها من الكتاب لكي يخفيها تحت الدرج ويحسم القضية. وكان إخفاؤها تحت الدرج لمسة بارعة، فهو يذكر الجميع بالطريقة التي أخفيت فيها جثة أغنيس. ومن الناحية العملية كان ذلك سهلاً جداً بالنسبة له، فعندما لحق بإيمي في الصلاة كانت دقيقة واحدة أو دقيقتان تكفي لهذا العمل.

قلت: ومع ذلك، يبقى شيء واحد لا يمكنني غفرانه لك يا أنسة ماربل.. إقناعك ميغان بالمشاركة في هذا الأمر.

وضعت الأنسة ماربل صنارتها جانباً، ونظرت إليّ من فوق نظارتها بعينين صارمتين وقالت: كان يجب عمل شيء يا عزيزي! لم يكن لدينا أي دليل ضد هذا الرجل الذكي جداً والمفتقر تماماً لأي وازع. كنت بحاجة لشخص يساعدني، شخص ذي شجاعة فائقة وذكاء كبير، وقد وجدت الشخص الذي أردته.

- كان ذلك خطراً كبيراً عليها.

- نعم، كان خطراً، ولكننا لم نُخلق يا سيد بيرتن للهروب من الخطر عندما تكون حياة إنسان بريء آخر مهددة. هل فهمتني؟
وقد فهمتها.

الفصل الخامس عشر

ذات صباح في الشارع العام:

خرجت الأنسة إميلي من محل البقالة حاملة حقيبة مشترياتها،
خداها متوردان وعيناها منفلتان: أوه يا عزيزي السيد بيرن،
إنني أشعر حقاً بالإثارة وأنا أفكر في ذهابي في رحلة أخيراً.



- أرجو أن تستمتعي بها.

- أنا واثقة من ذلك. لم أكن لاجرؤ على الذهاب بمفردي يبدو أن الأمور قد
انتهت إلى هذا الحال بفضل العناية الإلهية. لقد شعرت منذ وقت طويل بضرورة
ترك منزل ليتل فيرز، وأدركت أن إمكانياتي المالية ضعيفة، ولكني لم أستطع
تحمل فكرة وجود غرباء فيه. أما وقد اشتريته الآن وقررت العيش فيه مع
ميغان فإن الأمر مختلف تماماً. وإيمي بعد محنتها القاسية.. لا تعرف ماذا تفعل
بنفسها، وأخوها سيتزوج (كم هو جميل أن تقررا - أنت وجوانا - الاستقرار
عندنا) وقد وافقت إيمي على المجيء معي. إننا نعتزم الرحيل لفترة طويلة.
ثم خفضت الأنسة إميلي صوتها وقالت: بل إننا ربما نذهب في رحلة حول
العالم! وإيمي رائعة وعملية جداً. إنني أرى فعلاً أن كل شيء ينتهي نهاية سعيدة.
فكرت للحظة عابرة بالسيدة سيمنغتن وأغنيس ودل في قريبيهما وتساءلت
إن كانتا ستوافقان على كلام إميلي عن النهاية السعيدة، ثم تذكرت أن صديق
أغنيس لم يكن يحبها كثيراً، وأن السيدة سيمنغتن لم تكن لطيفة مع ميغان،
فلماذا أهتم كثيراً؟ لابد أن نموت جميعاً يوماً ما! ووافقت الأنسة إميلي السعيدة
على أن كل شيء انتهى نهاية سعيدة.

ذهبت إلى الشارع ثم إلى بوابة بيت سيمنغتن، وخرجت ميغان لمقابلتي. لم
يكن لقاء رومانسياً لأن كلبا إنجليزيا ضخماً خرج مع ميغان وكاد يوقعني أرضاً

بنشاطه سيء التوقيت.

قالت ميغان: أليس رائعاً؟

- ولكنه مبالغ قليلاً في روعته. أهو لنا؟

- نعم، إنه هدية زفافنا من جوانا. لقد تلقينا هدايا جميلة، أليس كذلك؟ قطعة الصوف تلك التي لا تعرف لماذا تُستعمل من الأنسة ماربل، وطقم الشاي الجميل ذاك من السيد باي، كما أرسلت لي إلشي حمالة توست توضع على المائدة...

- يا لها من هدية تمثل صاحبته.

- كما أنها حصلت على وظيفة عند طبيب أسنان، وهي سعيدة جداً. و..

ماذا كنت أقول؟

- كنت تعدين هدايا الزفاف؟ لا تنسي أن عليك أن تعيدها كلها إلى أصحابها

إذا غيرت رأيك.

- لن أغير رأيي. ماذا تلقينا غير ذلك؟ أوه، نعم، لقد أرسلت السيدة كالشروب

لنا تحفة على شكل خنفساء مصرية.

- امرأة متفردة.

- ولكنك لا تعرف الهدية الفضلى. لقد أرسلت لي بارتريدج هدية. إنها

منشفة للأطباق، أبشع منشفة رأيتها. ولكنني أعتقد أنها تحبني الآن دون شك، فهي تقول إنها طرزتها بيديها.

- أظنها طرزتها بعناقيد حصرم وأشواك.

- كلا، بل بصورة القلب رمزاً للحب.

- يا إلهي، يا إلهي.. إن بارتريدج تتطور!

كانت ميغان قد سحبتني إلى داخل البيت حيث قالت: شيء واحد فقط لا

أستطيع فهمه؛ فإلى جانب الطوق والحبل الموجودين على الكلب أرسلت جوانا طوقاً وحبلًا إضافيين. لأي شيء تظنها أرسلتهما؟

قلت: هذه مزحة من مزحات جوانا.